سيرة الرسول وخلفائه

سماحة العلامة
السيد علي فضل الله الحسني

الجزء الثاني

الدار الإسلامية

سيرة

الرسول وخلفائه

٢

سيرة
الرسول وخلفائه

سماحة العلامة
السيد علي فضل الله الحسني

الجزء الثاني

الدار الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

الدار الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان

كورنيش المزرعة - بناية الحسن سنتر الطابق الثاني
هاتف: 816627. ص ب: 14/5680
المكاتب والمستودعات - حارة حريك شارع دكاش
هاتف: 820704 - 835670. ص ب: 25/209

الفَصْل

التاسع عشر

مبعث الرسول الأعظم محمد (ص)

قضت ارادة الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء تفضلا منه جل جلاله أن تكون الجزيرة العربية مهد الدين الاسلامي الحنيف ، والتطور الحيوي ، والصعود في معارج التقدم والرقي ، بقيادة النبي القرشي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) صاحب المقام العلي المحمود عند ربه ، حيث اجتباه سبحانه وتعالى وارسله على حين فترة من الرسل ، وهداة من العلم ، واختلاف من الملل ، وضلالة عن الحق ، وجهالة بالرب ، وكفر بالوعد .

أرسله سبحانه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أرسله سبحانه الى الناس أجمعين ليهديهم إلى سواء السبيل .

أرسله الباري سبحانه داعياً ، ومبشراً ، ونذيراً لينقذ العالم كافة من حمأة الشرك والضلال ، وعبادة الأوثان .

عندما انحطت المدارك ، ووهنت العقول ، وتحير المدركون وفشا الظلم ، والجور ، وتناكرت الأمم ، وتركت اقوال مرشديها ، وذهب الناس مذاهب شتى .

في تلك العصور المظلمة قضت حكمة الخالق الجبار أن تكون بعثة النبي محمد بن عبد الله المشعل الذي بنوره اضاء الكوَن .

محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وسيد المرسلين، ورحمة الله الى الخلق اجمعين ، أنقذ العالم من الجهالة وحيرة الضلالة ، فهو المنقذ الأوحد ، والرسول المؤيد ، رافع منار التوحيد ، وقائد الناس لخير الدنيا والآخرة .

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب غصن دوحة الشرف من بني هاشم سادة العرب وخيرتهم اختاره الله سبحانه من الاصلاب الطاهرة ، والارحام المطهرة نبياً ورسولاً للعالمين . واميناً على وحيه وهدى ورحمة للناس اجمعين :

قال تعالى : ﴿ **يا ايها النبي إنّا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ـ وداعياً الله باذنه وسراجاً منيراً** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشراً ونذيراً** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **كذلك ارسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم**

---

(١) سورة الاحزاب، آية، ٤٥، ٤٦ .

(٢) سورة الانبياء، آية، ١٠٧ .

(٣) سورة الاسراء، آية، ١٠٥ .

لتتلو عليهم الـذي اوحينا اليـك وهم يكفرون بالرحمٰن قل هـو ربي لا إله الا هو عليه توكلت واليه مناب ﴾[1] .

وقال تعالى : **﴿ وارسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً ﴾**[2] .

وقـال تعـالى : **﴿ إنـا ارسلنـاك بـالحق بشيـراً ونـذيـراً ولا تسـأل عن اصحاب الجحيم ﴾**[3] .

وقـال تعالى : **﴿ ومـا ارسلناك الا كـافة للنـاس بشيراً ونـذيـراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾**[4] .

وقـال تعالى : **﴿ إنـا أرسلنـاك بـالحق بشيـراً ونـذيـراً وان من أمـة إلا خلا فيها نذير ﴾**[5] .

ذكـر المسعودي في مـروجـه أنـه ، كـان مبعثـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) عـلى رأس عشـرين سنـة من ملك كسـرى أبـرويـز ، وذلـك عـلى رأس مـائتي سنة من يـوم التحالف بـالـربـذة ، وذلـك لستـة آلاف ومـائـة وثـلاث عشرة سنـة من هبوط آدم (عليـه السـلام) ، وقـد ذكـر مثـل هـذا عن بعض حكـماء العرب في صـدر الاسـلام ممن قـرأ الكتب السـالفـة عـلى حسب ما استخرج منها ، وفي ذلك يقول في ارجوزة طويلة :

---

(١) سورة الرعد، آية ، ٣٠ .

(٢) سورة النساء، آية ، ٧٩ .

(٣) سورة البقرة، آية ، ١١٩ .

(٤) سورة سبأ ـ آية ٢٨ .

(٥) سورة فاطر ـ آية ـ ٢٤ .

في رأس عـــشـــرة مـن الـــسـنـــين   الى ثـــلاث حـــصـلت يــقـــين[1]
والمـــائـــة المـــعـــدودة الـــتـــمـــام   الى الـــوف ســـدســـت نـــظام
ارســـله الله لـــنـــا رســـولا   وكـــان فينـــا هـــادي السبيـــلا[2]

---

(١) وفي نسخة ثانية : عجز البيت « جعلت يقين » .
(٢) مروج الذهب للمسعودي ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

حياة محمد (ص) في فترة البعثة

تعاقبت السنون ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يشارك أهل مكة المكرمة في حياتهم العامة .

لكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتألم عندما يرى قومه على معتقداتهم الباطلة من العكوف على عبادة الاوثان وتقديس الأصنام .

ويرى أيضاً بقية البلدان كبلاد الفرس ـ والروم وغيرها من الشعوب المعذبة ترسف في أغلال طغيان ملوكها واستبدادهم ، وسيطرتهم على رعاياهم وعلى كل شيء في حياتهم حتى ان الشعوب غير السلاطين لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً .

ومن البديهي ان محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعجبه أي منهج (دكتاتوري) تعسفي يحتوي على فعل المنكرات علاوة على التقتيل والتشريد والجور الذي يحيط بالمستضعفين .

وكاني به (صلى الله عليه وآله وسلم) يترك لنفسه التأمل والتفكير في كيفية تخليص قومه وبني مجتمعه من الصراعات الدامية اللامحدودة التي تجري من حوله ، بين القبائل ، وفي بقاع الأرض مع ما تجره هذه الصراعات من خراب ودمار ، وعداوة وبغضاء .

هذه الصراعات الموروثة المشينة ، التي لم تستند الى الاخلاق

الفاضلة والمزايا الحميدة . . . بل العكس . . . فقد حملت في طياتها كل رذيلة وفساد ، وأغرقت الناس في الجهالة والضلالة .

كانت جميع هذه الأشياء ـ باعتقادي ـ تجعله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينظر الى قومه نظرة الاشفاق ، ويتمنى لهم ولكافة الناس الهداية وسلوك جادة الحق .

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يحمل بين جنبيه السجايا الفاضلة ، والاخلاق العالية ، وروح القوي الملهم ، هذه الروح العظيمة التي وهبها الله سبحانه وتعالى له ، وهذه النفسية الكريمة الخيرة التي اعدتها قدرة الله جلَّ وعلا ، لتحمل اعباء الرسالة السماوية ، ليكون محمد المبلغ لاعظم رسالة من رسالات ربه المنزلة على الأنبياء والمرسلين ﴿ وداعيا الى الله باذنه وسراجاً منيراً ﴾[1] . فهو المبلغ لأحكام ربه ومنقذ البشرية من الظلمات الى النور . كما قال وما اجمل قول الشاعر[2] :

اتيت والناس فوضى لا تمر بهم ... الا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جوراً مسخرة ... لكل طاغية في الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغي في رعيته ... وقيصر الروم من كبر أصمّ عم
يعذبان عباد الله في شبهٍ ... ويذبحان كما ضحيت بالغنم
والخلق يفتك اقواهم باضعفهم ... كالليث بالبهم او كالحوت بالبلم[3]

(١) سورة الاحزاب ، آية ، ٤٦ .
(٢) الشوقيات ، للشاعر احمد شوقي ، ج ١ ، ص ١٩٧ .
(٣) البهم : جمع بهمة ، وهي ولد الضأن والمعز ، والبلم : صغار السمك . والمعنى ان الحوت الكبير يأكل صغار السمك ، والقوي يأكل الضعيف ، تلك شريعة الغاب .

عبادة محمد (ص) قبل البعثة

يسأل الكثير من الناس على اختلاف ميولهم ومذاهبهم ، عن حياة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الدينية قبل البعثة النبوية ، ونزول الوحي عليه . . . وكيف كان تدينه . . . وتعبده . . . .

هل كان تدينه وعبادته على طبق شريعة نبي الله عيسى (عليه السلام) ؟ . . . الناسخة لشريعة النبي موسى (عليه السلام) السابقة ؟

ام كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يتعبد على طبق شريعة ابراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) ؟ .

ومن المعلوم أن كل شريعة سماوية كانت تأتي تنسخ ما قبلها بحسب متطلبات عصرها .

أسئلة كثيرة ترد من هذا القبيل وقد اجاب عنها الكثير من العلماء الأعاظم امثال السيد المرتضى (رضوان الله عليه) باجوبة وافية كافية لا مجال لذكرها الآن لكثرتها ، ومن اراد الاطلاع عليها فليراجعها في مضانها .

لكن أقول من تتبع سيرة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه

وآلـه وسلم) يرى بـوضوح أن النبي محمـداً كان يعمـل عـلى شـريعـة أبيـه نبي الله ابراهيم خليل الرحمان (عليه السلام) .

ويؤ يـد هذا قـولـه تعـالى : ﴿ ثم اوحينـا إليـك ان اتبـع ملة ابـراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾(١) .

فالنبي الأعظم (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) كان في عبـادته لله تعـالى الـواحد الأحـد ـ الفرد الصمـد ـ الذي لم يلد ولم يـولد ، متبعـاً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين .

وممـا لا شك فيـه أن جميع الانبيـاء والمرسلين (عليهم السـلام) كـانـوا متفقين على الـدعوة لله الـذي لا شريـك له ولا مثيـل ولا نظير ، وعـلى فعل الخيروايتاءذي القربى حقه ، والاحسان للفقراء والمعوزين .

كـما أنهم كانـوا (عليهم السلام) متفقـين في الشـرائـع السمـاويـة المنزلة عليهم من الله العزيز الحكيم التي كـانت تنص على محـاربة البغي والعدوان وفعل الشروالفساد في الأرض . . . الى آخره .

ومن المعلوم أيضـاً من سيرة النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) قبـل نـزول الـوحي عليـه أنـه كـان يعبـد الله حق عبـادتـه ، ويصـوم شهـر رمضـان ، ويفعل الخـير ، ويحسن للفقراء والمسـاكـين ، ويصـل الـرحم ، ويطعم الجائع ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر . . .

وهـذا ممـا لا ريب فيـه ولا جـدال يعتـريـه ، حسب اتفـاق جميع اصحاب التواريخ واهل السير .

---

(١) سورة النحل، آية، ١٢٤ .

كـان محمد (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) يتعبد في غـار حراء كـل سنة ـ شهـر رمضان ـ وقـد حبب الله سبحـانـه اليـه الخلوة التي يكـون بهـا فـراغ القلب والانقـطاع عن الخلق ، فهي التي تفـرغ القلب عن اشغـال الـدنيـا لدوام ذكر الله تعالى . . . . فيصفو وتشرق عليه انوار المعرفة .

ذكـر صاحب السيـرة الحلبية : أول من تحنث بحـراء عبد المـطلب جد الـرسول (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) كان اذا دخـل شهر رمضـان صعـد حراء[1] واطعم المساكين .

اشـار الى تعبـد النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) وانقـطاعـه لله سبحانه وتعالى في غار حراء صاحب الهمزية بقوله :

ألـف النسـك والعبـادة والخلـ ـــــوة طفلا وهكذا النجباء[2]

واذا حـلت الهـدايـة قـلبـاً نـشـطت في العبـادة الاعضـاء

لنتـأمل بـامعان . . . هـل يمكن للنبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم)

---

(١) غار حراء : هو كهف في جبل حراء قرب مكة المكرمة .

(٢) اراد صـاحب الهمزيـة بقولـه : طفلا ، أي عنـدما كـان الرسـول الاعـظم في زمن رضاعه ومدة اقامتـه عند حليمـة السعديـة (مرضعتـه) وقد روي عنهـا أنها كانت تقول : لما ترعرع رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) كـان يخرج الى الصبيـان وهم يلعبون فيتجنبهم . . الى قولها فكنت انطلق انا وابوه (أي أبـوه من الرضـاعة وهو زوجها) نسعى اليه سعيا فاذا نحن به قاعداً عـلى ذروة الجبل شـاخصاً ببصـره للسماء ـ وهو يضحك . فاكببت عليـه وقبلته بـين عينيه وقلت لـه : فدتـك نفسي ـ ما الذي دهاك ؟

قال : وهو يبتسم خيراً يا اماه ـ الى آخره ـ .

اتباع شريعة عيسى (عليه السلام) الناسخة لشريعة موسى (عليه السلام) التي كانت قبلها كما أسلفنا ؟ . . . لا . . .

ان النصارى في ذلك العصر غالوا في عيسى (عليه السلام) وفي أُمه أشد المغالاة حتى جعلوه وأمه الهين من دون الله كما جاء في قوله تعالى :

﴿ واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأُمي الهين من دون الله ﴾ قال عيسى (عليه السلام) مجيباً الباري تعالى ينفي ذلك : **﴿ قال سبحانك ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ـ ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا ا ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ﴾**[1] .

ومن المعلوم أيضاً أنه وقع الخلاف بين نصارى ذلك العصر وحصل من المنازعات ، والمشادات والتناقضات والضوضاء الشيء الكثير من تغييرات وتبديلات في كيفية تعاليم الانجيل وتشريعاته ، حتى طغت الفوضى على انسان ذلك العصر ، وعم الهرج والمرج في حينه مما أدى الى اعلان قسم من النصارى وهم اليعاقبة انشقاقهم عن الكنيسة في روما وظل النساطرة على ولائهم لها إلى آخر ما هنالك من التفكك والانشقاق . وقد امتلأت كتب التاريخ بذلك .

---

(١) سورة المائدة ـ آية ١١٦ ، ١١٧ .

وعلى هذا نقطع بأنه لا يمكن للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأخذ بشريعة هذا حالها في عصره .

ولا يمكن أن يأخذ بشريعة موسى (عليه السلام) المنسوخة بشريعة عيسى (عليه السلام) كما اسلفنا لأنها منسوخة ولأن اتباعها غالوا فيها أيضاً حتى جعلوا العزير ابن الله كما في قوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾[١] .

وعلى كل حال نحن لا يهمنا البحث تفصيلا عن حال تلك الشرائع التي كانت سائدة في الفترة التي هي قبل البعثة النبوية ، بل يهمنا البيان اجمالا ليتضح الجواب عن الأسئلة التي تتردد في صدد كيفية عبادة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل نزول الوحي عليه .

وبعد ذكر اللمحة الوجيزة من التناقضات والاختلاف في اقوال وميول متبعي الشريعتين اللتين مرَّ ذكرهما يتضح الجواب . فنقول :

كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على ملة ابيه ابراهيم خليل الرحمن كما أخبر في ذلك القرآن الكريم : ﴿ **واوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** ﴾ والمعنى : وأوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً ، اي مستقيم الطريقة في الدعاء الى توحيد الله جل جلاله ، وخلع الانداد ، والعمل بسنته ، وما كان ابراهيم من المشركين .

---

(١) سورة التوبة ، آية ٣٠ .

وفي كلام الشيخ محي الدين ابن العربي : كما في السيرة الحلبية : « تعبد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل نبوته بشريعة ابراهيم حتى فجأه الوحي ، وجاءته الرسالة .

فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معان القرآن ويكون من المحدثين ، ثم يصير الى ارشاد الخلق » .

ذكر نزول الوحي على رسول الله (ص)

لما طغى طوفان الجهل والفساد وعمت الفوضى وتحكمت الوثنية في قلوب العباد، كان النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يذهب بعيداً عن الناس الى غار حراء، ويتجه الى خالق الكون بعقله وقلبه، نائياً بجسمه الطاهر وروحه الزكية عن ارجاس الجاهلية والوثنية ومساوئها، حتى شارف الاربعين من عمره الشريف وحتى بلغت نفسه القدسية مرتبة تنعكس فيها اشعة الغيب.

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح - كما سنبين هذا في موضع آخر.

وحينما بلغ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اربعين سنة حسب المصادر الصحيحة المتواترة عن المؤرخين والرواة واصحاب السير ارسله الله سبحانه وتعالى بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً ليخرج العالم من الظلمات الى النور ويهديهم الى الصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿وما ارسلناك الا مبشراً ونذيراً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾[2].

---

(١) سورة الاسراء، آية ١٠٥.

(٢) سورة البقرة، آية ١١٩.

وقال تعالى : ﴿ وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاء كم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري[2] قالوا أقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ﴾[3] .

جاء في البداية والنهاية لابن كثير :

قال علي بن ابي طالب (ع) وعبد الله بن عباس (رضي الله عنه) : ما بعث الله نبياً من الأنبياء الا أخذ عليه الميثاق ، لأن بعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه . وأمره أن يأخذ الميثاق على امته ، لأن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه .

وهذا تنويه وتنبيه على شرفه وعظمته في سائر الملل وعلى السنة الأنبياء ، واعلام لهم ومنهم برسالته في آخر الزمان . وانه اكرم المرسلين وخاتم النبيين .

وقد اوضح امره وكشف خبره وبين سره ، وجلى مجده ومولده وبلده ابراهيم الخليل في قوله (عليه السلام) حين فرغ من بناء البيت ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة

---

(١) سورة الانبياء، آية ١٠٧ ، وفي تفسير الجليلين، وما ارسلناك يا محمد الا رحمة للعالمين ـ أي ـ الانس والجن .

(٢) اصري : أي عهدي ـ.

(٣) سورة آل عمران، آية ٨١.

ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ﴾[1] .

فكان اول بيان امره على الجلية والوضوح بين اهل الأرض على لسان ابراهيم الخليل اكرم الأنبياء على الله بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[2] .

ذكر الطبرسي في تفسيره : ﴿ واذ اخذ الله ميثاق النبيين) روي عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) وابن عباس وقتادة : ان الله اخذ الميثاق على الانبياء قبل نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يخبروا امهم بمبعثه ورفعته ، ويبشروهم به ، ويأمروهم بتصديقه)[3] .

---

(١) سورة البقرة، آية ١٢٩ .

(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي .

رسالة السماء . . . في غار حراء

اجمع الرواة والمؤرخون واصحاب السير ان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمكث في غار حراء شهر رمضان من كل سنة ، يقضيه بالتعبد والتذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى بعيداً عن ضوضاء الناس من اهل مكة العاكفين على عبادة الاصنام والمنغمسين في شهوات الدنيا وملذاتها الزائلة .

لما اراد الله جل وعلا كرامة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اصطفاه لرسالته انزل عليه الوحي في شهر رمضان المبارك في غار حراء . وكان عمره الشريف قد بلغ الأربعين سنة كما قيل :

وأتت عليه اربعون فاشرقت　　شمس النبوة منه في رمضان

ذكر ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق قال :

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجاور ذلك الشهر - شهر رمضان - من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به ، اذا انصرف من جواره ، الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً او ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع الى بيته، حتى اذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة

التي بعثه الله تعالى فيها ، خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى حراء كما كان يخرج لجواره . حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل (عليه السلام) بامر الله تعالى .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فجاءني جبريل وانا نائم ، بنمط[1] من ديباج فيه كتاب[2] فقال : اقرأ . . . قال : قلت : ما اقرأ . . . .

قال : فغتني[3] به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ[4] قال : فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ؛ قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغتني به حتى

---

(١) النمط : وعاء كالسفط .

(٢) قال بعض المفسرين : في قوله تعالى : ﴿آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ انها اشارة الى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال له : اقرأ .

(٣) فغتني : الغت ـ حبس النفس ـ وفي السيرة الحلبية يقول : فغتني حتى حسبت انه الموت ، اشارة الى انه (صلى الله عليه وآله وسلم) يحصل له شدائد ثلاث ، ثم يحصل له الفرج بعد ذلك . فكانت الاولى ادخال قريش له (صلى الله عليه وآله وسلم) في الشعب مع اهله ـ والتضييق عليه ـ والثانية اتفاقهم على قتله (صلى الله عليه وآله وسلم) والثالثة ـ خروجه من احب البلاد اليه ، مسقط رأسه ـ مكة المكرمة ـ وبعده عن الكعبة المقدسة .

(٤) ما أقرأ ـ وفي بعض الروايات : ما انا بقارىء ـ يريد أن حكمي كسائر الناس من أن حصول القراءة إنما هو بالتعلم ، وعدمها بعدمه .

ظننت انه الموت ، ثم أرسلني[1] فقال : إقرأ ، قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ـ ما أقول ذلك افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ـ

فقال : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ـ خلق الإنسان من علق ـ اقرأ وربك الأكرم ـ الذي علم بالقلم ـ علم الانسان ما لم يعلم ﴾[2] .

قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً .

قال : فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، انت رسول الله وانا جبريل ، قال : فرفعت رأسي الى السماء أنظر ، فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في افق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وانا جبريل .

قال : فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما اتأخر ، وجعلت اصرف وجهي عنه في آفاق السماء .

قال : فلا أنظر في ناحية منها الا رأيته كذلك ، فما زلت واقفاً ما اتقدم امامي وما ارجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

---

(١) في شرح السيرة لابن هشام : لعل الحكمة في التكرير : الاشارة الى انحصار الايمان الذي ينشأ عنه الوحي بسببه في ثلاث : القول ، والعمل ، والنية ، وان الوحي يشتمل على ثلاث : التوحيد ، والاحكام ، والقصص .

(٢) سورة العلق ، آية ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

وانصرفت راجعاً الى اهلي حتى اتيت خديجة فجلست الى فخذها مضيفاً[1] اليها ، فقالت : يا اباالقاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الي .

ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : ابشر يا بن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل ، فاخبرته بما أخبرها به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه رأى وسمع .

فقال ورقة بن نوفل : قدوس . . . قدوس[2] ، والذي نفس ورقة بيده ، لأن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس[3] الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وانه لنبي هذه الأمة ، فقولي له : فليثبت .

فرجعت خديجة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبرته بقول ورقة بن نوفل . فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا بن أخي ، أخبرني بما رأيت

---

(١) مضيفاً : ملتصقاً ، يقال : أضفت الى الرجل ، اذا ملت نحوه ولصقت به ـ ومنه سُمي الضيف ضيفاً .

(٢) قدوس ـ قدوس : أي طاهر طاهر ، واصله من التقديس ، وهو التطهير .

(٣) الناموس (في الاصل) : صاحب سر الرجل في خيره وشره ، فعبر عن الملك الذي جاءه بالوحي به .

وسمعت؟ فاخبره رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، انك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر ، الذي جاء موسى . . . ولتكذبنه ، ولتؤذينه ، ولتخرجنه ، ولتقاتلنه[1] ، ولئن انا ادركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه .

ثم أدنى ورقة بن نوفل[2] رأسه منه فقبل يافوخه[3] ، ثم انصرف

---

(١) الهاء في هذه الافعال للسكت .

(٢) ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي . وأُمه ام ورقة هند بنت ابي كبير بن عبد بن قصي . ولا عقب لورقة هذا، وهو احد من آمن بالنبي (صلى الله وآله)، قبل البعث، كما تقول بعض الروايات .

وكانت خديجة (رضي الله عنها) قد ذكرت لورقة ـ وهو ابن عمها ـ وكان نصرانياً ، قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ـ ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان يرى من الرسول اذا كان الملكان يظلانه . . فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ان محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا زمانه فجعل ورقة يستبطيء الأمر ويقول : حتى متى ؟ وقال ورقة في ذلك :

لجحت وكنت في الذكرى لجوجا ... لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي ... حديثك أن ارى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس ... من الرهبان اكره ان يعوجا
بان محمداً سيسود فينا ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً ... ويلقى من يسالمه فلوجا
فياليتي اذا ما كان ذاكم ... شهدت فكنت أولهم ولوجا =

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى منزله[1] .

= ولـوجـاً في الـذي كـرهـت قـريش ولـو عجت بمكـتـهـا عـجـيـجـا
أرجـى بـالـذي كـرهـوا جميـعـا الى ذي الـعـرش ان سفلوا عـروجـا
وهـل امـر الـسـفـالـة غـير كـفـر بمن يختـار من سـمـك الـبـروجـا
فـان يـبـقـوا وأبـق تـكـن امـور يـضـج الكـافـرون لهـا ضجيجـا
وان اهـلك فـكـل فـتى سـيـلقى مـن الاقـدار مـتـلفـة خـروجـا

(٣) اليافوخ : وسط الرأس.

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام، ج ١، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

انتباه خديجة (رض) لبرهان الوحي

ذكر ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق قال :

حُدِّث عن خديجة (رضي الله عنها) انها قالت لرسول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) : أي ابن عم . . . اتستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك ؟ . .

قال : نعم ، قالت : فاذا جاءك فاخبرني به .

فجاءه جبريل (عليه السلام) كما كان يصنع ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لخديجة : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني . . .

قالت : قم يا بن عم فاجلس على فخذي اليسرى . . .

قال : فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس عليها .

قالت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قالت : فتحول فاجلس على فخذي اليمنى .

قالت: فتحول رسول الله (ص) فجلس على فخذها اليمنى. . .

قالت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قالت : فتحول فاجلس في حجري .

قالت : فتحول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس في حجرها .

قالت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قال : فتحسرت والقت خمارها ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس في حجرها .

ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا . . .

قالت : يا بن عم ، اثبت وابشر ، فوالله انه لملك وما هذا بشيطان .

قال ابن اسحاق : وقد حدثت عبد الله[1] بن حسن هذا الحديث .

فقال : قد سمعت امي فاطمة بنت حسين (عليه السلام) تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، الا أني سمعتها تقول : ادخلت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان هذا لملك وما هو بشيطان[2] .

ذكر المجلسي في بحاره عن محمد بن كعب وعائشة : أول ما بدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة ، وكان يرى الرؤيا فتأتيه مثل

---

(١) هو عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وام عبد الله هذا هي فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) وهو والد الطالبين الذين ثاروا بوجه طغيان العباسيين وظلمهم مرات عديدة .

(٢) سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فسمع نداء . . . يا محمد . . . فغشي عليه .

فلما كان اليوم الثاني سمع مثله نداء ، فرجع الى خديجة وقال : زملوني زملوني فوالله لقد خشيت على عقلي .

فقالت : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل[١] ، وتكسب المعدم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت خديجة حتى اتت ورقة بن نوفل ، فقال ورقة : هذا والله الناموس[٢] الذي انزل على موسى وعيسى (عليهما السلام) واني ارى في المنام ثلاث ليال أن الله ارسل في مكة رسولا اسمه محمد وقد قرب وقته ، ولست ارى في الناس رجلا افضل منه .

فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) الى حراء فرأى كرسياً من ياقوتة حمراء مرقاة من زبرجد ، ومرقاة من لؤلؤ ، فلما رأى ذلك غشي عليه .

فقال ورقة : يا خديجة فاذا اتته الحالة فاكشفي عن رأسك ، فان خرج فهو ملك ، وان بقي فهو شيطان .

فنزعت خمارها . . . فخرج الجائي فلما اختمرت . . . عاد .

فسأله[٣] ورقة عن صفة الجائي؟ فلما حكاه، قام وقبل رأسه وقال :

---

(١) الكل : الضعيف، اليتيم .

(٢) الناموس ، الوحي وهو كناية عن جبرئيل (عليه السلام) .

(٣) الضمير يعود للنبي .

ذاك الناموس الأكبر الذي نزل على موسى وعيسى (عليهما السلام) .

ثم قال : ابشر فانك أنت النبي الذي بشر به موسى وعيسى (عليهما السلام) وانك نبي مرسل ، ستؤمر بالجهاد . وتوجه نحو خديجة وانشأ يقول :

فان يك حقاً يا خديجة فاعلمي حديثك ايانا فاحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزاً لدينه ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه واخرى باغلال الجحيم تغلل

ومن قصيدة له طويلة اخرجها الحاكم في المستدرك :

يا للرجال لصرف الدهر والقدر وما لشيء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لاخبرها وما لنا بخفي العلم من خبر[1]
فخبرتني بامر قد سمعت به فيما مضى من قديم الناس والعُصر
بان احمد يأتيه فيخبره جبريل انك مبعوث الى البشر

ومن قصيدة له أيضاً :

فخبرنا عن كل خير بعلمه وللحق ابواب لهن مفاتح
وإن ابن عبد الله احمد مرسل الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقاً كما ارسل العبدان نوح وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له بهاء ومنشور من الذكر واضح

---

(١) وفي رواية اخرى، بخفي الغيب.

وفي البحار أيضاً عن علي بن ابراهيم بن هاشم القمي : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأن آتياً أتاه فيقول : يا رسول الله ، فينكر ذلك . فلما طال عليه الأمر كان يوماً بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب فنظر الى شخص يقول : يا رسول الله . . . فقال له : من أنت ؟ قال : انا جبرائيل ارسلني الله اليك ليتخذك رسولا : فاخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خديجة بذلك ، فقالت : يا محمد أرجو ان يكون كذلك ، فنزل عليه جبرئيل وانزل عليه ماء من السماء وعلمه الوضوء ، والركوع والسجود ، فلما تم له اربعون سنة علمه حدود الصلاة ، ولم ينزل عليه اوقاتها . فكان يصلي ركعتين في كل وقت[١] .

وروى المجلسي في بحاره ايضاً : « انه نزل جبرئيل على جياد[٢] اصفر والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين علي (عليه السلام) وجعفر ، فجلس جبرئيل عند رأسه ، وميكائيل عند رجليه ، ولم ينبهاه اعظاماً له .

فقال ميكائيل : الى ايهم بعثت ؟

قال : الى الأوسط . . .

فلما انتبه النبي أدى اليه جبرئيل الرسالة عن الله تعالى .

فلما نهض جبرئيل ليقوم اخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بثوبه ثم قال : ما اسمك ؟

---

(١) بحار الانوار، للمجلسي ، ج ١٨ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) وفي بعض النسخ جواد، وفي بعض النسخ اجياد، والله العالم .

قال : جبرئيل .

ثم نهض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلحق بقومه ، فما مرَّ بشجرة ولا مدرة الا سلمت عليه وهنأته .

ثم كان جبرئيل يأتيه ولا يدنو منه ، الا بعد أن يستأذن عليه . فأتاه يوماً وهو باعلى مكة فغمز بعقبه بناحية الوادي ، فانفجر عين فتوضأ جبرئيل . . . وتطهر الرسول ، ثم صلى الظهر وهي أول صلاة فرضها الله عز وجل ، وصلى امير المؤمنين (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من يومه الى خديجة فاخبرها .

فتوضأت خديجة وصلت صلاة العصر من ذلك اليوم »[١] .

---

(١) بحار الانوار للمجلسي ، ج ١٨ ، ص ١٩٦ .

زمن البعثة ونزول الوحي

بُعِث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الناس كافة هدى ورحمة للعالمين ـ في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب نهار الاثنين .

وقد نزل القرآن الكريم في اللوح المحفوظ في شهر رمضان المبارك في ليلة القدر كما في قوله تعالى : ﴿ انا انزلناه في ليلة القدر ﴾[1] .

ثم تتابع نزول الآيات الكريمة على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كالنجوم لمدة ثلاث وعشرين سنة متتالية حسب مقتضيات الشريعة المقدسة ومتطلبات الزمان والمكان .

ذكر الطبرسي في تفسيره عن ابن عباس قال : « انزل الله القرآن في جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في لية القدر .

ثم كان جبرائيل (عليه السلام) ينزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نجوماً ، وكان من أوله الى آخره ثلاث وعشرون سنة »[2] .

ويقول الشيخ الطوسي في تبيانه : قال ابن عباس : انزل الله

---

(١) سورة القدر، آية، ١ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي .

القرآن جملة واحدة الى سماءالدنيا في ليلة القدر . وقال الشعبي : ان ابتـداء انزالـه في ليلة القدر ، وليلة القـدر هي الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السنة باجمعها من كل أمر ـ في قول الحسن ومجاهد ـ .

يقال : قدَّر الله هذا الأمر بقدره قدراً اذا جعله على مقدار ما تدعو اليه الحكمة . وليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان .

بعض ما ورد في ابتداء نزول الوحي

اختلف القراء والمفسرون واصحاب السير في أول ما ورد في ابتداء نزول الوحي وأي الآيات من القرآن الكريم كانت سابقة في نزولها على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال بعضهم : أول ما نزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو قوله تعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق . . .** ﴾ .

وقال آخرون : أول ما نزل من القرآن قوله تعالى : ﴿ **يـا ايها المدثر قم فانذر . . . إلى آخره** ﴾ .

ذكر الطبرسي في تفسيره : « خاطب سبحانه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ﴿ **يا ايها المدثر** ﴾ أي المتدثر بثيابه ، قال الأوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول : سألت ابا سلمة ـ أي القرآن أنزل من قبل .

قال : يا ايها المدثر ـ فقلت او اقرأباسم ربك . . .

فقال : سألت جابر بن عبد الله أي القرآن انزل قبل ، قال : يا أيها المدثر ـ فقلت او اقرأ فقال جابر : احدثكم ما حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي ، فنوديت ، فنظرت امامي ، وخلفي ، وعن يميني وشمالي فلم أر احداً ، ثم نوديت فرفعت رأسي فاذا هو على العرش في الهواء ، يعني جبرائيل ، فقلت دثروني دثروني ، فصبوا علي ماءً . فانزل الله عز وجل ـ يا أيها المدثر .

وفي رواية : فحييت منه فرقاً حتى هويت الى الأرض ، فجئت الى اهلي فقلت زملوني فنزل : يا ايها المدثر قم فانذر »[1] .

وقد ذكر هذه الرواية ايضاً السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور في المجلد السادس صفحة ـ ٢٨٠ ـ ولكن في اختلاف بسيط في بعض الألفاظ .

وجاء في تفسير ابن كثير عن ابي سلمة قال : اخبرني جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : « فبينا انا امشي اذ سمعت صوتاً من السماء . فرفعت بصري قبل السماء ، فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض . فجثيت منه حتى هويت الى الأرض .

فجئت الى اهلي فقلت : زملوني ـ زملوني . . . فدثروني فانزل الله تعالى : ﴿ يا ايها المدثر ـ قم فانذر ﴾ الى قوله : ﴿ والرجس فاهجر ﴾[2] .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ، ص ١٠٤ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤ ، ص ٤٤٠ .

كما ذكر رواية جابر بن عبد الله الكثير من أصحاب السير منهم صاحب السيرة الحلبية وغيره ولكن وردت الرواية بعبارات مختلفة ومعنى واحد .

اقول : الذي يظهر من الروايات المتتابعة ان أول ما نزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ـ خلق الانسان من علق . . . ﴾[1] .

واما سورة المدثر الظاهر من فحوى الروايات انها نزلت بعد سورة اقرأ .

لأنه يستفاد من قول الرسول الأعظم : (فاذا الملك الذي جائني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض) وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) يعني (بالملك) الذي جاءه في حراء هو جبريل لأن جبريل جاءه بالرسالة السماوية من رب العالمين حينما كان في غار حراء وقال له ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ـ خلق الانسان من علق ﴾ ويستنتج مما ذكرنا أن أول نزول الوحي هو قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ وأما قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر ﴾ فقد نزلت بعدها والله العالم .

---

(١) سورة اقرأ ، آية ، ١ ، ٢ .

مدة فترة الوحي ـ ونزول سورة الضحى

اختلفت الروايات في مدة زمن فترة الوحي واحتباسه عن الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فمنهم من رفع هذه المدة الى ثلاث سنوات ، ومنهم من قال اربعين يوماً ، ومنهم من جعلها خمسة عشر يوماً ، ومنهم من قال اثني عشر يوماً ، ومنهم من رواها أن الفترة كانت ما بين ليلتين أو ثلاث والله العالم .

تقول بعض المرويات أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما فتر الوحي وتأخر نزوله عليه اغتم لهذا التأخير واحتباس الوحي عنه وذلك لا عن شك في نبوته ... بل شوقاً لرؤية جبرئيل واستئناساً به .. وخوفاً من شماتة الاعداء من مشركي قريش كما روي ذلك ، وقد كثر اللغط بينهم حتى قال قائلهم ... يا محمد لقد ودعك ربك وقلاك ... فنزلت سورة الضحى تسلية لقلبه الشريف واكراماً له تعدد نعم الله عليه ... وتؤكد بوضوح ... ما تركك يا محمد ربك وما قطع عنك الوحي توديعاً لك وما قلاك ، وان ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية .

لقد نزلت سورة الضحى اعلاءً لشأن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقوية لمعنوياته ، ليكمل مسيرته الشاقة في اداء رسالته المقدسة .

ذكر الطبرسي في تفسيره عن ابن عباس قوله : احتبس الوحي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة عشر يوماً فقال المشركون : ان محمداً قد ودعه ربه وقلاه ، ولو كان امره من الله تعالى لتتابع عليه ، فنزلت سورة الضحى وهي قوله تعالى : ﴿ **والضحى ـ والليل اذا سجى ـ ما ودعك ربك وما قلى ـ وللآخرة خير لك من الأولى ـ ولسوف يعطيك ربك فترضى ـ الم يجدك يتيماً فآوى ـ ووجدك ضالاً فهدى**[١] **ووجدك عائلاً فأغنى ـ فاما اليتيم فلا تقهر ـ واما السائل فلا تنهر ـ واما بنعمة ربك فحدث** ﴾[٢] .

ويذكر الطبرسي أيضاً : وقيل انما احتبس الوحي اثني عشر يوماً عن ابن جرير ، وقيل اربعين يوماً عن مقاتل .

ولما نزلت السورة قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لجبرائيل (عليه السلام) ما جئت حتى اشتقت اليك ، فقال جبرائيل (عليه السلام) : وأنا كنت أشد اليك شوقاً ولكني عبد مأمور ، وما نتنزل الا بامر ربك .

---

(١) ووجدك ضالا فهدى : قيل في معناه اقوال : (احدها) وجدك ضالاً عما انت عليه الآن من النبوة والشريعة أي كنت غافلاً عنها فهداك اليها (وثانيها) أن المعنى وجدك متحيراً لا تعرف وجوه معاشك فهداك الى وجوه معاشك فان الرجل اذا لم يهتد طريق مكسبه ووجه معيشته يقال أنه ضال لا يدري الى أين يذهب ومن اي وجه يكسب (وثالثها) ان المعنى وجدك لا تعرف الحق فهداك اليه باتمام العقل ونصب الأدلة حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين (ورابعها) وجدك ضالاً في شعاب مكة فهداك الى جدك عبد المطلب .

(٢) سورة الضحى ، آية ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

وقيل : سألت اليهود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذي القرنين ، واصحاب الكهف ، وعن الروح فقال : سأخبركم غداً . . . ولم يقل ان شاء الله ، فاحتبس عنه الوحي هذه الأيام . فاغتم لشماتة الاعداء ، فنزلت السورة (الضحى) تسلية لقلبه .

وقيل ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رمي بحجر في اصبعه فقال :

هـل انت الا اصبع دميت وفي سبيـل الله مـا لقيت

فمكث (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى اليه ، فقالت له ام جميل بنت حرب امرأة أبي لهب : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، لم اره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً . فنزلت السورة[1] .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ، ج ، ٣٠ ، ص ١٣٥ .

الفصل

العشرون

المسلمون الأول

علي بن ابي طالب (عليه السلام)

كـان أول من اسلم من الذكـور عـلي بن ابي طـالـب (عليـه السـلام) ومن النساء خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها .

وقـد اتفق الجميع من العلماء ، والمحققـين ، والـرواة واصحـاب التفـاسير والمؤ رخـين والمحدثـين وغيرهـم عـلى أن اول من اسلم من النـاس عـلى الاطـلاق عـلي بن ابي طـالب (عليـه السـلام) . . . وخـديجـة بنت خويلد ام المؤ منين (رضي الله عنها) .

ولكن اختلف في سن (عـلي) يوم اسـلامه فمن قـائل انـه كان في سن الخامسة عشر كما ورد عن الحسن البصري وغيره .

وقيل : كان في الثالثة عشر من عمره كما ذكر ذلك الكليني وغيره :

وقيل اكثر من ذلك كما جاء عن الاسكافي . . .

وقيـل كان في السـابعـة عشـر من عمـره . وهـذا ضعيف لما ورد عنـه (عليه السلام) قوله :

سـبـقـتـكــم الى الاســلام طــراً   غــلامــاً مــا بـلغت أوان حـلمي

وقـد ذكرنـا فيما مضى في بـاب المبعث أن الـوحي نـزل عـلى الـرسـول

الأعظم وهو في الأربعين من عمره وروي انه كان (صلى الله عليه وآله وسلم) في الثالثة والاربعين من عمره .

وقد ورد في اكثر الروايات على ان (علي بن ابي طالب) ولد بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثين سنة .

وعلى هذا يكون (علي بن ابي طالب) يوم اسلامه في الثالثة عشر على تقدير ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث وهو في الثالثة والأربعين من سنيه .

وعلى تقدير ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث في الأربعين وولادة (علي) بعد ولادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثين سنة يكون علي (عليه السلام) قد بلغ العاشرة من عمره يوم اسلامه وهذا رأي الكثير من اصحاب السير .

ذكر ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق : ان اول ذكر من الناس آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم (رضوان الله وسلامه عليه) ، وهو يومئذ ابن عشر سنين[1] .

جاء في السيرة الحلبية عن سلمان ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أول هذه الأمة وروداً على الحوض اولها اسلاماً علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) وجاء أنه لما زوّجه فاطمة قال لها : زوجتك

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

سيداً في الدنيا والآخرة وانه لأول اصحابي اسلاماً ، واكثرهم علماً ، واعظمهم حلماً واسلم لم يبلغ الحلم .

ويذكر الحلبي في سيرته أيضاً : ان ابا طالب رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلياً يصليان ، وعلي على يمينه فقال لجعفر (رضي الله عنه) : صل جناح ابن عمك . . . فصلى عن يساره . وكان اسلام جعفر بعد اسلام اخيه علي بقليل[١] .-

جاء في البداية والنهاية أنه : اول ذكر آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصل معه وصدقه علي بن أبي طالب .

وعن مجاهد قال : اسلم علي وهو ابن عشر سنين .

وعن زيد بن أرقم : أول من اسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن ابي طالب .

وعن عباد بن عبد الله قال : سمعت علياً يقول : انا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفترٍ ، صليت قبل الناس بسبع سنين .

---

(١) السيرة الحلبية ، لعلي بن برهان الدين الحلبي ، ح ١ ، ص ٢٩٦ .

بعض ما قيل في سبق علي (عليه السلام)

الى الإسلام وسنه يوم اسلامه

وجاء في البداية والنهاية : عن يحيى بن عفيف[1] قال جئت زمن الجاهلية الى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء ، وانا أنظر الى الكعبة ، اقبل شاب فرمى ببصره الى السماء ، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها ، فلم يلبث حتى جاءغلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب ، فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب ، فرفع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجدا معه ،

فقلت يا عباس : أمر عظيم ؟! فقال : أمر عظيم . . .

فقال : اتدري من هذا ؟

فقلت : لا . . .

فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . . . ابن أخي

اتدري من الغلام ؟

---

(١) عفيف هو اخو الاشعث بن قيس الكندي لأمه من اهل الكوفة .

قلت : لا . . .

فقال : هذا علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) .

اتدري من هذه المرأة التي خلفهما ؟

قلت : لا . . .

قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي . وهذا (اي محمد) حدثني ان ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه . وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[1] .

وفي تاريخ ابن الاثير عن ابن اسحاق قال : اول من أسلم علي بن ابي طالب وعمره احدى عشرة سنة ، وكان من نعمة الله عليه أن قريشاً اصابتهم أزمة شديدة ، وكان ابو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال يوماً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه العباس[2] يا عم ان ابا طالب كثير العيال ، فانطلق بنا نخفف عن عيال ابي طالب .

فانطلقا اليه ، واعلماه ما ارادا ، فقال ابو طالب : اتركا لي عقيلا واصنعا ما شئتما .

فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً ، وأخذ العباس جعفراً . فلم يزل علي عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أرسله الله فاتبعه علي .

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير، ج ٣، ص ٢٥ .

(٢) كان العباس بن عبد المطلب من ايسر بني هاشم من حيث السعة في المال.

وكـان النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) اذا اراد الصـلاة انـطلق هـو وعلي الى بعض الشعاب بمكة فيصليان ويعوذان .

وعن ابن الاثـير ايضاً : عن جـابر بن عبـد الله أنـه قـال : بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الاثنين ، وصلى عليٌ يوم الثلاثاء[1] .

أقـول لقد تـواترت الاخبـار واستفاضت الـروايات الصحيحـة على أن عـلي بن ابي طـالب (عليـه السـلام) هـو أول من أسلم من النـاس بعـد خـديجـة بنت خـويلد (رضي الله عنهـا) وهـو أول من آمن بـالنبي محمـد (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وصدقـه بمـا جـاء بـه من عنـد الله عـز وجـل وصـلى خلفه وآزره بكـل جهده للقيـام باعبـاء الـرسـالـة المقـدسـة وضحى بـالنفس والنفيس في سبيـل الإسـلام واعـلاء شـأنـه . وهـذا أمـر واضـح وضـوح الشمس في رابعة النهـار ومن انكر ذلـك فهو مكـابـر معـانـد للحق يريد مغالطة التاريخ ومخالفة الضمير والوجدان .

وقـد ذكرنـا فيما مضى مـا روي عن عـلي (عليـه السـلام) أنـه قـال : « انـا عبد الله وأخـو رسولـه وانا الصـديق الأكبر لا يقـولها بعـدي الاكـاذب مفترٍ صليت مـع رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) قبـل النـاس بسبـع سنين » . ويؤكـد صحة هـذه الروايـة مـا جـاء عن ابن اسحـاق من ان النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) اذا اراد الصـلاة انـطلق هـو وعـلي الى بعض الشعاب بمكة فيصليان ويعودان .

روى صـاحب شـرح النهـج عن أبي عمـر يـوسف بن عبـد البـر ، المحدث ، في كتابه المعروف بالاستيعاب .

---

(١) الكامل في التاريخ ، لابن الاثير، ج ٢ ، ص ٣٧ .

قال ابو عمر في ترجمة علي (عليه السلام) : المروي عن سلمان ، وابي ذر ، والمقداد ، وخباب ، وابي سعيد الخدري ، وزيد ابن اسلم ، ان علياً (عليه السلام) أول من أسلم ، وفضله هؤلاء على غيره .

وقال أيضاً : قال ابن عباس : لعلي (عليه السلام) اربع خصال ، ليست لاحد غيره . . . هو اول عربي وعجمي صلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وهو الذي كان معه لواؤه في كل زحف .

وهو الذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره .

وهو الذي غسّله وادخله قبره[1] . . .

جاء في شرح النهج عن احمد بن يحيى البلاذري ـ وعلي بن الحسين الاصفهاني : أن قريشاً اصابتها ازمة وقحط ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعميه : حمزة ـ والعباس : الا نحمل ثقل ابي طالب في هذا المحل ! ـ

فجاؤوا اليه وسألوه أن يدفع اليهم ولده ليكفوه أمرهم ، فقال : دعوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم ـ وكان شديد الحب لعقيل ـ

فاخذ العباس طالباً ، واخذ حمزة جعفراً ، واخذ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً ، وقال لهم : قد اخترت من اختاره الله لي عليكم ، علياً . . .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن ابي الحديد ، ج ٤ ، ص ١١٦ . راجع الاستيعاب ، ص ٤٥٦ ، وما بعدها .

قالوا فكان علي (عليه السلام) في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ كان عمره ست سنين .

وكان ما يسدي اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) من احسانه وشفقته وبره ، وحسن تربيته ، كالمكافأة والمعاوضة لصنيع أبي طالب به ، حيث مات عبد المطلب وجعله في حجره .

وهذا يطابق أقواله (عليه السلام) : لقد عبدت الله قبل أن يعبده احد من هذه الأمة سبع سنين .

وقوله : كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينئذٍ صامت ما أُذن له في الانذار والتبليغ .

وذلك لأنه اذا كان عمره يوم اظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة ، وتسليمه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ابيه وهو ابن ست سنين ، فقد صح أنه كان يعبد الله قبل الناس باجمعهم سبع سنين ، وابن ست تصح منه العبادة اذا كان ذا تمييز .

على أن عبادة مثله هي التعظيم والاجلال ، وخشوع القلب ، واستخذاء الجوارح اذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وآياته الباهرة[1] .

واعلم ان المحققين والمتكلمين لا يكادون يختلفون في أن أول الناس اسلاماً علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعث النبي (صلى الله عليه

---

(١) شرح نهج البلاغة ، لابن ابي الحديد ، ج ١ ، ص ١٥ .

وآلـه وسلم) يوم الاثنـين وصلى عـلي (عليه السـلام) يـوم الثـلاثـاء وعـلى هـذا يكون (عليـه السلام) اسبق النـاس الى الايمـان . ولا تكـاد تجـد عنـد المحققـين والبـاحثـين خـلافـاً في ذلـك . لأن المخـالف في ذلـك شـاذ معاند . . . والشاذ لا يعتد به .

جعفر بن أبي طالب

جعفـر بن ابي طـالب (رضـوان الله عليـه) جـده عبـد المـطلب وامـه فـاطمـة بنت أسـد وكـان جعفـر يكنى ابـا عبـد الله ، وكـان يلقب بـذي الجنـاحين ـ وجـاء في الحديث : ان الله عـوضه عن يـديه اللتـين قـطعتـا في جهاده في غزوة مؤتة بجناحين يطير بهما في الجنة .

وكـان جعفر (رضي الله عنـه) اشبه النـاس خلقاً وخلقـاً برسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ، وكان اكبـر من علي بعشـر سنـين كـما كـان عقيـل اكبر من جعفـر بعشـر سنـين ، وكـان طـالب اكبـر من عقيـل بعشـر سنين على ما يروى .

وقـد هاجـر جعفر الى ارض الحبشـة مع زوجتـه اسماء بنت عميس مـع من هـاجر من المسلمـين . وقدم منهـا على رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) حـين فتـح خيبـر ، فتلقـاه النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) واعتنقه وقال : ما أدري بايهـما انا اشـد فرحـاً ـ بقدوم جعفـر . . . ام بفتح خيبـر . وقتـل جعفـر في غـزوة مؤتـة عـلى مـا سيأتي عنـد ذكـر غـزوات الرسول الأعظم ان شاء الله .

ويستفـاد من المرويـات ان جعفر بن ابي طـالب :أسلم بعد اخيـه علي (عليـه السلام) . وعـلى هذا يكـون اسلامـه بعـد اسـلام عـلي وخـديجة (رضي الله عنها) .

ذكـر الحلبي في سيرتـه نقـلا عن اسـد الغـابـة : « أن ابـا طـالـب رأى النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وعليـاً يصليـان وعـلي عـلى يمينـه فقـال لابنـه جعفر (رضي الله عنـه) : صل جنـاح ابن عمك فصـلي عن يساره . وكان اسلام جعر بعد اخيه علي بقليل »[1] .

وذكـر ايضاً احمـد زيني المشهور (بـدحلان) في سيـرته عن الـدمياطي « ان رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) بعث نهار الاثنـين وصـلاة خـديجة (رضي الله عنهـا) كانت آخـر يـوم الاثنـين ، وكـان عـلي (رضي الله عنه) صلى يـوم الثلاثـاء وكان عـلي (رضي الله عنـه) يخفي اسـلامـه خـوفاً من ابيـه الى أن اطلع عليه وأمـره بالثبـات عليه ، فـاظهـره حينئـذٍ . وفي اسـد الغابـة لابن الاثير ان ابـا طالب رأى النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) وعليـاً (رضي الله عنه) يصليـان ، وعـلي عـلى يمينـه ، فقـال لجعفـر : صل جنـاح ابن عمك فصـل على يسـاره . فاسلم جعفـر (رضي الله عنـه) . وكـان اسـلامـه بعـد اسـلام اخيـه عـلي (رضي الله عنـه) بقليل »[2] .

ذكـر المجلسي في بحـاره : « ان النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) لمـا أتى له سبـع وثلاثـون سنة كـان يرى في نـومه كأن آتيـاً اتاه فيقـول : يـا رسـول الله ، وكان بـين الجبال يـرعى غنماً فنـظر الى شخص يقول لـه : يـا رسـول الله ، فقـال لـه : من أنت ، قـال : انـا جبـرائيـل ، ارسلني الله اليـك ليتخذك رسـولاً ، وكـان رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) يكتم ذلك . فانزل جبرائيـل بماء من السـماء ، فقال : يـا محمد فتوضأ ،

---

(١) السيرة الحلبية ، لعلي بن برهان الدين الحلبي ، ج١ ، ص ٢٩٤ .
(٢) السيرة النبوية ، لاحمد زيني ، دحلان ، هامش السيرة الحلبية ، ج١ ص ٢٠٢ .

فعلمه جبرائيل الوضوء على الوجه واليدين من المرفق ومسح الرأس والرجلين الى الكعبين ، وعلمه الركوع والسجود . فدخل علي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يصلي ـ هذا لما تم له (صلى الله عليه وآله وسلم) اربعون سنة ـ فلما نظر اليه يصلي قال : يا ابا القاسم ما هذا ، قال : هذه الصلاة التي امرني الله بها ، فدعاه الى الاسلام فاسلم وصلى معه ، واسلمت خديجة .

فكان لا يصلي الا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) وخديجة خلفه . فلما اتى لذلك أيام ، دخل ابو طالب الى منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه جعفر ، فنظر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي بجنبه يصليان ، فقال لجعفر : يا جعفر صل جناح ابن عمك ، فوقف جعفر بن ابي طالب من الجانب الآخر .

ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بعض اسواق العرب فرأى زيداً فاشتراه لخديجة ، ووجده غلاماً كيساً فلما تزوجها وهبته له ، فلما نبىء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اسلم زيد ايضاً ، فكان يصلي خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، علي ، وجعفر ، وزيد ، وخديجة[1] .

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم عند ذكر السابقين الى الاسلام قال : « ومنهم الخطيب المقدام ، السخي المطعام ، خطيب العارفين ، ومضيف المساكين ، ومهاجر الهجرتين ومصلي القبلتين ، البطل

---

(١) بحار الانوار، للمجلسي ، ج ١٨ ، ص ١٨٤ .

الشجاع ، الجواد الشعشاع ، جعفر بن ابي طالب (عليه السلام) .

وروى صاحب الحلية ايضاً عن ابي بردة عن ابيه قال : أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ننطلق مع جعفر بن ابي طالب الى ارض النجاشي ، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد . فجمعوا للنجاشي هدية ، فقدمنا وقدما على النجاشي فاتياه بالهدية فقبلها ، وسجدا له . ثم قال له عمرو بن العاص : ان اناسا من ارضنا رغبوا عن ديننا وهم في ارضك .

قال لهم النجاشي : في ارضي ؟!

قالوا : نعم ! ـ

فبعث الينا . . . فقال لنا جعفر لا يتكلم منكم احد ، انا خطيبكم اليوم .

فانتهينا الى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة عن يساره والقسيسون والرهبان جلوس سماطين سماطين .

وقد قال لهم عمرو وعمارة : انهم لا يسجدون لك ، . . فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك . . .

فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل . . .

قال له النجاشي : وما ذاك ؟! . . .

قال جعفر : ان الله تعالى بعث فينا رسولاً وهو الرسول الذي بشر به عيسى (عليه السلام) قال : (يأتي) من بعدي اسمه احمد ـ فأمرنا

أن نعبـد الله ولا نشرك بـه شيئاً ، ونقيم الصـلاة ، ونؤتي الزكـاة ، وامرنـا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر .

فـاعجب النجاشي قـولـه . فلما رأى ذلـك عمـرو بن العـاص قـال : أصلح الله الملك انهم يخالفونك في ابن مريم . . .

فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبكم في ابن مريم . . . ؟

قـال : يقول فيـه قول الله عـز وجـل : هـو روح الله وكلمتـه أخـرجـه من البتول العذراء ، التي لم يقربها بشر ، ولم يفترضها ولد . . .

فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه .

فقال : يا معشـر القسيسين والـرهبان مـا يزيـد هؤلاء على مـا تقولـون في ابن مريم ما يزن هذه . . . مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده .

وانـا أشهـد أنــه رسـول الله ، وأنــه الـذي بشـر بـه عيسى (عليـه السلام) ، ولولا ما انا فيه من الملك لاتيته حتى اقبل نعله .

- امكثـوا في ارضي مـا شئتم - . وامـر لنـا بـطعـام وكسـوة ، وقـال : ردوا على هذين هديتهما »[1] .

وفي حليـة الأولياء عن ابي هـريرة أنـه قال : « كنت لا آكـل الخمـير ، ولا البس الحـرير ، والصق بـطني من الجوع ، واستقـرى الرجـل الآيـة من كتـاب الله هي معي كـي ينـقلب بي فيـطعمـني . وكـان خـير النـاس للمسـاكين جعفـر بن ابي طـالب ، وكـان ينقلب بنـا فيـطعمنـا مـا كـان في بيته ، ان كان ليخرج الينا العكة فنشقها فنلعق ما فيها .

---

(١) حلية الاولياء ، لابي نعيم الاصبهاني ، ج ١ ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

وعنه ايضاً : قال : كان جعفر يحب المساكين ، ويجلس اليهم ويحدثهم ويحدثونه . وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسميه ابا المساكين»[1] .

(١) حلية الاولياء، لابي نعيم الاصبهاني، ج ١ ، ص ١١٧ .

زيد بن حارثة

من السابقين الى الاسلام زيد بن حارثة بن شرحبيل[1] اسلم هو وزوجته ام ايمن كما جاء في المرويات وكان اسلامه (رضوان الله عليه) بعد اسلام علي (عليه السلام) وخديجة وجعفر بن ابي طالب (رضي الله عنهما) على ما تقدم في اسلام جعفر .

وفي زيد بن حارثة الذي كان قد تبناه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما سيأتي البحث عنه جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **وما جعل أدعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل - ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾[2] .

ذكر الطبرسي في تفسيره : نزلت في زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي من بني عبد ود ، تبناه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الوحي ، وكان قد وقع عليه السبي فاشتراه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسوق عكاظ ، فلما نبيء رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) زيد بن حارثة بن شرحبيل ، وفي رواية ، شراحيل .

(٢) سورة الاحزاب ، آية ، ٤ ، ٥ .

وسلم) دعاه الى الاسلام فاسلم ، فقدم أبوه حارثة مكة وأتى ابا طالب وقال : سل ابن اخيك ، فإما أن يبيعه ، وإما أن يعتقه ، فلما قال ذلك ابو طالب لرسول الله قال : هو حر فليذهب حيث شاء . فأبى زيد ان يفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال حارثة : يا معشر قريش اشهدوا أنه ليس ابني .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اشهدوا أنه ابني ـ يعني زيداً ـ فكان يدعى زيداً بن محمد ، فلما تزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون : تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها .

فقال الله سبحانه : ما جعل الله من تدعونه ولداً وهو ثابت النسب من غيركم ولداً لكم « ذلكم قولكم بافواهكم »[1] .

وفي بعض الروايات ان الذي اشترى زيداً بن حارثة هو حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) كما جاء في سيرة ابن هشام انه : « كان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة وصيف[2] فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذٍ عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لها : اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهولك .

فاختارت زيداً فاخذته ، فرآه رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي ، ج ٢١ ، ص ٩٧ .

(٢) يقال ان ام زيد وهي سعدى بنت ثعلبة ، من بني معن من طيء كانت ، قد خرجت بزيد لتزيره أهلها ، فاصابته خيل من بني القين بن جسر فباعوه بسوق حباشة ، وهو من اسواق العرب ، وزيد يومئذٍ ابن ثمانية اعوام .

وسلم) عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فاعتقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى اليه .

وكان ابوه حارثة قد جزع عليه جزعاً شديداً ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما ادري واني لسائل ... اغالك بعدي السهل أم غالك الجبل
فياليت شعري هل لك الدهر أوبة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بَجَل[1]
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه اذا غربها افل
وان هبت الأرواح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهداً ... ولا اسأم التطواف او تسأم الابل
حياتي أو تأتي علي منيتي ... فكل امريء فان وان غره الأمل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان شئت فاقم عندي ، وان شئت فانطلق مع ابيك . . .

فقال : بل أقيم عندك .

فلم يزل عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بعثه الله فصدقه واسلم ، وصلى معه .

فلما أنزل الله عز وجل : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ قال : انا زيد بن حارثة[2] .

---

(١) بَجَل - بمعنى حسب .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

وفي بعض الـروايات ان زيـداً بن حـارثـة لما بلغـه قـول ابيـه وشعـره قال :

أحن الى اهـلي وان كنت نـائيـاً ... باني قعيـد البيت عنـد المشاعـر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تعملوا في الأرض نص الاباعر
فـاني بحمـد الله في خـير اسيرة ... كـرام معـد كـابـراً بعـد كـابـر

فبلغ اباه فجاء هـو وعمـه كعب ، حتى وقفـا عـلى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآله وسلم) بمكـة ، وذلـك قبـل الاسـلام ، فقـالا لـه : يـا بن عبـد المطلب ، يـا بن سيد قـومـه ، انتم جيـران الله ، وتفكـون العـاني ، وتطعمون الجائع ، وقد جئناك في ابننا عبدك ، فتحسن الينا في فدائه .

فقال : اوغير ذلك ؟

فقالا : وما هو ؟

فقـال : ادعوه ، واخبـره ، فان اختـار كـما فـذاك . . . وان اختـارني فوالله ما انا بالذي اختار على من اختارني احداً . . .

فقالا له : قد زدت على النصف .

فـدعاه رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) فلما جـاء قـال : من هذان ؟

فقـال : هـذا أبي حـارثـة بن شـراحيـل ، وهـذا عمي كعب بن شراحيل .

فقـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) قـد خيَّـرتـك ، ان شئت ذهبت معهما . . . وان شئت اقمت معي . . .

فقال زيد : بل اقيم معك .

فقال له ابوه : يا زيد ، اتختار العبودية على ابيك . . . وامك . . . وبلدك . . . وقومك ؟!.

فقال زيد : اني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ، وما انا بالذي افارقه ابداً .

فعند ذلك اخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده، وقام به الى الملأ من قريش فقال : اشهدوا أن هذا ابني . فطابت نفس ابيه عند ذلك .

وكان يدعى زيد بن محمد ، حتى انزل الله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ فقيل له بعد ذلك زيد بن حارثة .

ابو بكر الصديق

هو ابو بكر بن ابي قحافة ، واسمه عتيق(١) وهو من جملة المسلمين الأول ومن الصحابة المشهورين .

لقد تقدم منا الكلام أن أول الناس اسلاماً واسبقهم ايماناً وتصديقاً للرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ هم خديجة بنت خويلد ـ وعلي بن ابي طالب ـ وجعفر بن ابي طالب ـ وزيد بن حارثة . . .

واختلف المؤرخون واصحاب السير في زمن اسلام ابي بكر وسبقه الى الاسلام فمنهم من قال : اسلم بعد اسلام علي وخديجة . ومنهم من قال اسلم ابو بكر بعد اسلام خديجة ، وعلي ، وجعفر وزيد .

---

(١) قيل سُمِّي عتيقاً ، لأن امه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت ان ولد لها ولد ان تسميه عبد الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش ، وشب سُمِّي عتيقا ، كأنه اعتق من الموت .

وكان يُسمى ايضاً عبد الكعبة الى أن اسلم ، فسماه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله . وقيل كان لابيه ثلاثة من الولد : معتق ، ومعيتق ، وعتيق وهو ابو بكر وام ابي بكر هي ام الخير بنت صخر بن عمر واسمها سلمى وامرأة ابي بكر هي قتلة بنت عبد العزى وهي ام ابنه عبد الله .

راجع شرح سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

ومنهم من ذهب الى ان اسلام ابي بكر كان بعد اسلام سبعة نفر او خمسة ، أو اكثر من ذلك .

ومنهم من يذهب الى ان اسلام ابي بكر كان بعدما اسلم خمسون رجلا كما جاء في البداية والنهاية عن محمد بن سعد بن ابي وقاص : قال : قلت لأبي اكان ابو بكر اولكم اسلاماً ؟ . . .

قال : لا ! ـ لقد اسلم قبله اكثر من خمسين ولكن كان افضلنا اسلاماً[1] .

روى ابن عساكر عن سعد بن ابي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالا : لم يكن ابو بكر أولهم اسلاما ولكن كان افضلهم اسلاما .

قال سعد : وقد آمن قبله خمسة[2] الى آخر ما ورد من الروايات المتقاربة في المعنى والسند .

وعن محمد بن اسحاق كما في البداية والنهاية انه قال : « فلما أسلم ابو بكر واظهر اسلامه دعا الى الله عز وجل ، وكان ابو بكر رجلاً مألفاً لقومه محباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، واعلم قريش بما كان فيها من خير وشر .

وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته .

فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ، ويجلس

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٨ .
(٢) البداية والنهاية ، للحافظ ، ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٨ .

اليه فاسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف .

فانطلقوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسم) ومعهم ابو بكر فعرض عليهم الاسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وانبأهم بحق الإسلام فآمنوا .

وفي البداية والنهاية ايضاً عن محمد بن ابي طلحة قال : قال طلحة بن عبيد الله حضرت سوق بصرى ، فاذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل الموسم ، أفيهم رجل من اهل الحرم ؟ قال طلحة : قلت : نعم . . . انا . . .

فقال : هل ظهر احمد بعد ؟ . . . .

قلت : ومن احمد ؟

قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، مخرجه من الحرم ، ومهاجره الى نخل ، وحره ، وسباخ ، فاياك أن تسبق اليه .

قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال : فخرجت سريعا حتى قدمت مكة ، فقلت هل كان من حديث ؟

قالوا : نعم . . . محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبو بكر بن ابي قحافة .

قال : فخرجت حتى قدمت على ابي بكر ، فقلت : أتبعت هذا الرجل ؟

قال : نعم . . فانطلق اليه فادخل عليه ، فاتبعه فانه يدعو الى الحق . فاخبره طلحة بما قال الراهب .

فخرج ابو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاسلم طلحة ، واخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما قال الراهب فسر بذلك .

فلما اسلم ابو بكر وطلحة اخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية . ـ وكان يدعى اسد قريش ـ فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم فلذلك سمى ابو بكر وطلحة القرينين[1] .

وعن عائشة بنت ابي بكر . قالت : لما اجتمع اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ، الح ابو بكر على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الظهور . قال : « يا ابا بكر انا قليل » فلم يزل ابو بكر يلح حتى ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتفرق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجل في عشيرته .

وقام ابو بكر في الناس خطيباً ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس فكان أول خطيب دعا الى الله والى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وثار المشركون على ابي بكر ، وعلى المسلمين ، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووطىء ابو بكر وضرب ضرباً شديداً . ودنا منه

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه . ونزا على بطن ابي بكر حتى ما يعرف وجهه من انفه .

وجاء بنو تيم يتعادون فاجلت[1] المشركين عن ابي بكر ، وحملت بنو تيم ابا بكر في ثوب حتى ادخلوه منزله ولا يشكون في موته .

(١) البداية والنهاية، ج ٣، ص ٣٠.

عرض وتحليل في افضلية السبق الى الاسلام

نقف قليلاً لنتأمل في منعطف التاريخ ، ونلقي نظرة عميقة على الاتجاهات ، والميول ، والاهداف التي يسلكها الكتاب ، والمؤرخون ، واهل الحديث واصحاب السير وغيرهم . حيث نجد الكثير منهم متفرقين اشتاتاً ضائعين في متاهات ومتاهات ، كل فئة تذهب الى حيث يستميلها الهوى ، فيأخذنا العجب من قوم يحاولون تغيير الواقع عن واقعه بكل اسلوب وكل وسيلة ، للوصول الى مآربهم النفسية ، واغراضهم الدنيوية جاهدين بأن يجعلوا الحق باطلا والباطل حقاً ، ولم يلتفتوا الى ان الواقع يفرض نفسه في كل زمان ومكان . والغشاوة عن الاعين لا بد ان تنجلي فيظهر الصبح لذي عينين وغياهب الظلام لا بد أن تزول ويرجع كل ذي لب وبصيرة الى لبه وبصيرته ، ويرى العارفون الحق واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار .

اراد اعداء علي بن ابي طالب (عليه السلام) ان ينتقصوه بشتى انواع الحيل والخداع ، واختلاف الروايات والاحاديث التي ترضى انفسهم المريضة .

لكن ويا للاسف لم يجدوا لنيل مآربهم سبيلاً .

اجل بأي شيء ينتقصون علي بن ابي طالب او يغمزون من قناته او

ينالون من كرامته . أيقولون انه ليس بقريب لرسول الله من حيث الحسب والنسب وطيب الارومة وهو القائل :

محمد النبي اخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

ام يقولون ان عليا غير زاهد في دنياهم ؟ . . .

كذبوا والله . . . كان (عليه السلام) يخصف نعله بيده ، ويلبس المدرعة المرقعة ايام سلطانه وخلافته ، وهو باستطاعته يوم ذاك أن يلبس الديباج والحرير . . .

كان (عليه السلام) من تقشفه وزهده يلبس الخشن ، زاده خبز الشعير ، وغموس زاده ماء الملح ، لا يهمه من امر الدنيا الا احقاق الحق ومؤاساة الفقراء ، وهو الذي يقول في كتاب له الى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة ، وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها :

اما بعد يا بن حنيف : قد بلغني ان رجلا من فتية اهل البصرة ، دعاك الى مأدبة فاسرعت اليها ، تستطاب لك الألوان ، وتنقل اليك الجفان ، ما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو .

الى ان يقول : ولو شئت لاهتديت الى مصفىّ هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز .

ولكن هيهات ان يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخير الأطعمة ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ، ولا عهد له بالشبع -

أو ابيت مبطاناً وحولي بطون غرثى ، واكباد حرى ، أو اكون كما قال القائل :

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد

أأقنع من نفسي بان يقال هذا امير المؤمنين !! ولا اشاركهم في مكاره الدهر أو أكون اسوة لهم في جشوبة العيش[1] إلى آخره . . .

ام يتقول اعداء علي بن ابي طالب (عليه السلام) بانه لم يكن له يد في ادارة الملك والسياسة ! كما زعم المنحرفون عن جادة الحق .

كذبوا والله . . . فعلي (عليه السلام) لم يراهن على دينه ، ولم يبع آخرته بدنياه ،حتى لاقى من المتاعب والمصاعب الشيء الكثير ، وتحمل من الشدائد ما يعجز عنه البيان ، وذلك لأنه نهج سبيل الحق وتمشى على طبق العدل والانصاف والمساواة ، لم يفضل احداً على احد مما جعل عبيد الدنيا ، واهل الشهوات ومحبي السيطرة يتخاذلون عنه ،لأن الحق مر وقليل فاعله .

ولو اراد (عليه السلام) ابتياع ضمائر الناس بالاموال كما فعل غيره لم يستطع اعداؤه الوقوف امامه ، او محاذاته . لكنه حاشا اميرالمؤمنين علي من اتباع طريق الهوى وهو الامام المعصوم من الزلل ، وباب العلم ، وركن العدل ، والمجاهد العظيم في تركيز قواعد الدين واعلاء كلمة الإسلام .

فاذا انحرف عن جادة الحق والعدل كما فعل غيره . . . فمن يسلكها ؟!

---

(١) راجع كتابنا الاخلاق الاسلامية .

ام يتقول اعداء علي (عليه السلام) فيقال : انه ليس بشجاع ولا خبرة له في الحرب . . .

كذبوا والله انه افتراء على الاسلام وحماته ، وحاملي لوائه وليس لاحد ان يقول ان علي بن ابي طالب لم يكن اشجع الخلق بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فشجاعته معروفة وغزواته موصوفة، وبحقه قال الرسول الأعظم : قام الدين بسيف علي ومال خديجة .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الخندق حيث برز علي لقتال عمر بن ود العامري بطل المشركين ـ برز الإسلام كله الى الشرك كله ـ .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل الثقلين . . .

ام يتقول اعداء علي فيصفونه بانه لم يكن له علم بالقضاءوفصل الخصومات . . . .

كذبوا والله . . . فمحمد مدينة العلم وعلي بابها ، وافعاله في القضاء مشهورة ولا يسعنا المجال لذكرها بل نكتفي بقول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ـ لا بقيت لمعضلة الا ولها ابو الحسن ـ.

وماذا اقول في حق علي فان القلم يعجز والقرطاس يضيق ، عن ذكر بعض مزاياه ومكارم اخلاقه ، فلسنا في هذا الصدد الآن وسنأتي على ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب ان شاء الله .

ليت شعري ما يتخرص المتخرصون في حق علي بن ابي طالب اول القوم اسلاماً ، وهو اخو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفته

في أمته ، صفوة المؤمنين ، ويعسوب الدين ، وقائد الغر المحجلين ، المبرأ من كل عيب .

لقد اعيت اعداء علي الحيل ، وضاقت بهم السبل ، والحقد يعمي ويصم وكل ما ارادوا قوله وتحينوا الفرص للغمز من قناته انه ربي في حجر الرسول واسلم تبعاً لمربيه وحاضنه .

وكونه : اول من اسلم ليس له افضلية السبق للإسلام ، فمن الطبيعي على حد زعمهم ان ينشأ علي على الإسلام وهذا ليس بكثير اهمية . بخلاف اسلام ابي بكر فانه اسلم وهو كبير السن وما كان تبعاً لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ او غيره فكان لاسلامه بنظرهم اهمية كبرى .

اقول : ليس معنى كون علي ربي في حجر الرسول أنه لم يعلم ما كانت عليه قريش من تنكب الطريق وعبادة الأوثان . بل العكس كان على اطلاع من ذلك اذ أن جده عبد المطلب لم يسجد الا لله كذلك والده شيخ قريش وزعيمها المهاب . والدليل على هذا أن قريشاً لم تستطع ايذاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الا بعد وفاة عمه ابي طالب .

ولا يخفى على كل ذي لب وبصيرة ان انساناً مثل علي في ذكائه وفطنته لا بد وأن يعلم ما كان عليه قومه ولا يخفى عليه شيء من امور الناس ، وعاداتهم ، وتقاليدهم . فكان اسلامه (عليه السلام) عن اقتناع وتفهم وايمان ، لا كما يزعم الحاقد والناصب والمكابر والمعاند .

اليس عليه السلام هو القائل باعتراف التاريخ : عبدت الله قبل

الناس بسبع سنين[1] وهو القائل ايضاً : لو كشف لي الغطاء ما ازددت الايقينا .

لم يجد المتخرصون سبيلا للحد من كرامة علي بن ابي طالب سوى القول بان ابا بكر اول الناس اسلاما واسلامه كان افضل من اسلام علي وانفع للمسلمين .

ثم يتدرجون شيئاً فشيئاً ويطلقون لأنفسهم العنان ، فيروون الاحاديث الكثيرة في فضائل ابي بكر منها قول الرسول الأعظم : ما دعوت احداً من الناس الى الإسلام الا تلكأ وكانت عنده كبوة الا ابو بكر فانه ما عكم ان اسلم .

وقد ذكرنا فيما مرَّ من بحثنا آنفاً رواية عائشة ام المؤمنين أن ابا بكر عذب وذلك عندما قام خطيباً ورسول الله جالس في المسجد فثارا المشركون ووطيء ابو بكر وضرب ضرباً شديداً . . . الى آخره .

وفي رواية ثانية : كان ابو بكر رجلاً تاجراً ذا خلق مألفاً لقومه محباً سهلاً . . . الى آخره .

ويقولون : فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه . فاسلم على يديه الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان

---

(١) اشارة الى انه كان يصلي خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في شعاب مكة سراً عن كل احد وقد ذكر جميع اهل التاريخ قوله (عليه السلام) : انا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر - صليت قبل الناس بسبع سنين - راجع البداية والنهاية لابن كثير - ج ٣ ، ص ٢٦ .

وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابي وقاص ـ وعبد الرحمن بن عوف . الى آخر ما هنالك من روايات لا مجال لذكرها وتكرارها .

ليت شعري كيف غاب عن فكر من روى أنه أسلم بواسطة ابي بكر جماعة كالزبير ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم الذين اسلموا باقناعه وحسن تدبيره وسلوكه . وغاب عن هؤلاء الرواة ان ابا بكر لم يتمكن من اقناع أقرب الناس اليه كولده عبد الرحمن وابيه أبي قحافة اللذين لم يسلما إلا بعد فتح مكة .

وليت شعري كيف غاب عن فكر من روى من ان ابا بكر كان مألفاً لقومه وأنسب قريش لقريش . . . الى آخره . فكيف تمكن رجل مثل عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين كما في رواية ام المؤمنين عائشة .

اين كان اصدقاء ابي بكر ومحبيه عنه في الوقت الذي كان يضرب فيه ويعذب ، فلم ينجده احد سوى بني تيم الذين حملوه الى منزله وهم لا يشكون في موته .

اقول : نحن لا نتجنى على الخليفة ابي بكر أو نخرجه عن كونه الصحابي المعروف، بل نقول انه كان من السابقين الأول الى الاسلام ، وكيف لا وهو صاحب رسول الله في الغار ، ورفيقه الى دار هجرته المدينة المنورة (يثرب) ، وان يكن قد اخطأ بتوليه الخلافة على ما سيأتي ولا نخرجه عن كونه من شيوخ المهاجرين .

لكن ليس معنى هذا أن ابا بكر افضل من علي بن ابي طالب ، وليس معنى هذا أيضاً أن نأخذ بكلام الحاقد على علي ونأنس برواياته

وطعنه بحق حامي حمى الاسلام علي بن ابيطالب .

على اننا لم نعثر على رواية واحدة تشهد للخليفة الأول ابي بكر بان له اي موقف بطولي او شجاعة فائقة في الحروب والغزوات التي خاضها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) . وهذا ما يثير الدهشة والاعجاب .

بخلاف علي والحمزة فالتاريخ يشهد لهما بالمواقف المشهورة التي رفعت راية الاسلام عالية .

نرى ان حمزة بن عبد المطلب حينما تجرأ ابو جهل على النبي الأعظم، فذكر ذلك لحمزة اقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة . . . الى آخره ، وكان ابو جهل بين قومه من عتاة قريش وطغاة اهل مكة وعندما أعلن حمزة اسلامه ، لم تتمكن قريش من ايذاء الحمزة بل كل ما قالوه له : يا ابا عمارة ان ابن اخيك سفه عقولنا وسب آلهتنا ، وخالف دين آبائنا . وهكذا . . .

اعود للقول : لو كان لأبي بكر تلك القوة أو العشيرة المهابة في قريش لما تمكن عتبة أو أي أحد من الناس النيل منه وايذاءه .

واعود للقول ايضاً: ان اعداء علي بن ابي طالب هم من اغرتهم الدنيا الزائلة ، الموتورون من حروبه وضرباته ، ومن قتل صناديد المشركين من آبائهم وذويهم . كل هؤلاء ليس باستطاعتهم أن يروا لعلي أي فضل او منقبة ـ وما عميت منهم الابصار ولكن عميت منهم البصائر التي في القلوب ـ فعمدوا الى النيل منه والتقليل من اهمية منزلته التي وضعه الله فيها . وسنأتي على شرح ما يتيسر لنا في موضع لاحق ان شاء الله .

ابو ذر الغفاري

يحدثنا التاريخ عن الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري كان فتى شريف النفس ، شجاع القلب ، حباه الباري سبحانه وتعالى بعقل مفكر وبيان ساحر ، بشخصية فذة وقلب كبير ، لا تميله الرغبة عن الجادة ولا تقصيه الرهبة عن اتباع سنن الحق . فكان رضي الله عنه مثال القدوة الصالحة الذي سجل بتضحياته العظيمة على مر الايام وكر السنين ، صفحات رائعة حافلة باروع امثلة البطولة ، واجملها في شتى شؤون الحياة العامة وتخفيف ويلات الكادحين والمحتاجين من بني الانسان .

نشأ ابو ذر في قبيلته ـ غفار ـ من قبائل الجزيرة العربية التي كانت في ذلك الوقت (القرن السادس الميلادي) التي كانت تسبح في ظلام دامس من الجهل والضلال .

وقبيلة غفار ، كغيرها من قبائل الجزيرة العربية ، كانت تعبد الاصنام وتقدسها ، تتقاذفها الاهواء والشهوات والمطامع ، ويتزعمها اناس لا عصمة لهم ولا دين ولا رادع من ضمير ، يقترفون اسوأ المنكرات .

في هذه البيئة الفاسدة التي يرتع اهلها في خضم اللهو والضلال ، راح الفتى (ابو ذر) المحبوب من اهله وعشيرته يفكر ويدقق النظر

ويتأمل في عظمة خالق السماوات والأرض علّه يجد قبساً من النور يهديه الى الصراط المستقيم .

وراح يفكر . . . ويفكر . . . ويتأمل يقضي الساعات والليالي لا يعرف معنى الراحة بل دائماً يتطلع الى السماء ثم يردد بكل خشوع : انت إله رؤوف رحيم . . . عليم حكيم . . . ما خلقت شيئاً عبثاً ولا باطلا . . . وانما خلقت كل شيء بالحق ، وان وجودك حق ، والايمان بك حق ، والاعتماد عليك حق .

لقد اعلن ابو ذر كفره بالاصنام عندما رأى بثاقب فكره أن عبادة الاحجار الصماء وتقديسها فكرة لا يقبلها منطق ولا يستسيغها عقل ، فكان يذهب الى الصحراء بعيداً عن الناس وهناك يتطلع الى السماء متأملا ، ثم يعكف على دراسة الكون ، لعله يجد ما يريح نفسه المتعطشة الى الحق ، المتطلعة الى خالق الخلق . هناك في قلب الصحراء يتضرع ويدعو ويبتهل الى خالق الكون ان يمده بالهداية والتوفيق ، ويلهمه الرشد والخير ، وينير بصيرته بالايمان .

وتقول المرويات ان أبا ذر كان بحكم عادات الجاهلية يعبد الاصنام وسبب اتصرافه عنها أنه كان لقبيلته غفار صنم يقال له ـ مناة ـ ويروى انه قدم لصنمه مناة في بعض الأيام لبناً ، ومضى بعيداً عنه ، فبينما هو يفكر في عمله هذا ، واذا بثعلب يهجم على وعاء اللبن فيشرب ما فيه ، ولا يكتفي بذلك حتى يبول على الصنم ، فأثر هذا الحادث عليه ، وهالته جرأة الثعلب على معبوده ، ورجع يفكر في أمر هذا المعبود الذي لم يستطع ان يدفع عن نفسه ضرر الثعلب وتحديه ، فكيف يدفع الضرر

عن غيره ممن يعبدونه ويرجونه لدفع ما يحيط بهم من اضرار ونكبات ؟! .

ومضى ابو ذر يقول : ما عسى أن يكون لهذا المعبود من قدرة ؟ وهو حجر جامد لا يستطيع تحريك يديه ليرد عنه عادية كلب من كلاب البر امطره ببوله . فقال مردداً .

اربٌ يبول الثعلبان برأسه | لقد ذل من بالت عليه الثعالب
فلو كان رباً كان يمنع نفسه | ولا خير في رب نأته المطالب
برئت من الاصنام فالكل باطل | وآمنت بالله الذي هو غالب

وفي رواية : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا اراد أن يبتسم قال لأبي ذر : يا ابا ذر . . . حدثني عن بدء اسلامك .

قال ابو ذر : كان لنا صنم يقال له (نهم) فاتيته فصببت له لبنا ووليت ، فحانت مني التفاتة ، فاذا كلب يشرب ذلك اللبن فلما فرغ رفع رجله فبال على الصنم ، فأنشأت اقول :

يا الا يا نهم اني قد بدا لي | مدى شرف يبعد منك قربا
رأيت الكلب سامك حط خسف | فلم يمنع قفاك اليوم كلبا

فسمعتني ام ذر فقالت :

لقد اتيت جرما ، وابت عظماً ، حين هجرت نهماً ؟!

فلما اخبرتها الخبر . . . قالت :

الا فابغنا ربا كريما | جواداً في الفضائل يا وهب
فما من سامه كلب حقير | فلم يمنع يداه لنا برب

فما عبد الحجارة غير غاوٍ ركيك العقل ليس بذي لب

فيبتسم الرسول ويقول : صدقت ام ذر . . . فما عبد الحجارة غير غاوٍ .

اسلام ابي ذر

ذكر الاميني في غديره عن عبد الله بن الصامت : قال : قال ابو ذر : صليت قبل الإسلام ، قبل ان القى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث سنين .

فقلت : لمن ؟ قال : لله . . . .

فقلت : أين توجه ؟

قال : اتوجه حيث يوجهني الله[1] .

وعن حلية الأولياء : ابو ذر العابد الزهيد ، القانت الوحيد ، رابع الإسلام ، ورافض الازلام قبل نزول الشرع والاحكام ، تعبد قبل الدعوة بالشهور والاعوام ، واول من حيا الرسول بتحية الاسلام ، لم يكن تأخذه في الحق لائمة اللوام ، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكام .

اول من تكلم في علم البقاء والفناء ، وثبت على المشقة والعناء حفظ العهود والوصايا وصبر على المحن والرزايا ، واعتزل مخالطة البرايا ، الى ان حلَّ بساحة المنايا .

---

(١) كتاب الغدير، للاميني، ج ٨، ص ٣٠٨ .

ابو ذر الغفاري (رضي الله عنه) خدم الرسول ، وتعلم الأصول ، ونبذ الفضول .

وعن الحلية ايضاً : عن ابن الصامت : قال : قال لي ابو ذر (رضي الله عنه) : يا ابن اخي صليت قبل الاسلام باربع سنين .

قلت له : من كنت تعبد ؟

قال : إله السماء .

قلت : فاين كانت قبلتك ؟

قال : حيث وجهني الله عز وجل .

وعن الحلية ايضاً : عن مالك بن مرثد عن ابيه عن ابي ذر (رضي الله عنه) قال : كنت رابع الاسلام ، اسلم قبلي ثلاثة وانا الرابع[(١)] .

ذكر الاميني في غديره في باب (إسلام ابي ذر) قال : اخرج ابن سعد والشيخان في الصحيحين من طريق ابن عباس واللفظ للأول قال : لما بلغه أن رجلا خرج بمكة يزعم أنه نبي ، ارسل اخاه فقال : اذهب فأتني بخبر هذا الرجل وبما تسمع منه .

فانطلق الرجل حتى اتى مكة فسمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرجع الى ابي ذر فاخبره أنه : يأمر بالمعروف . . . وينهى عن المنكر . . . ويأمر بمكارم الاخلاق . فقال ابو ذر : ما شفيتني .

فخرج ابو ذر ، ومعه شنة[(٢)] فيها ماؤه وزاده حتى اتى مكة ففرق

---

(١) حلية الاولياء ، للحافظ ابي نعيم ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) الشنه : القربة الصغيرة الخلقة .

أن يسـأل احـداً عن شيء ، ولمـا يلق رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فـادركـه الليـل فبـات في نـاحيـة المسجـد ، فلما اعتم مـر بـه علي فقال : ممن الرجل ؟

قال : رجل من بني غفار .

قال : قم الى منزلك .

قـال : فـانـطلق بـه الى منـزلـه ، ولم يسـأل واحـد منهـما صـاحبـه عن شيء . وغـدا أبـو ذر يـطلب (الـرسـول الأعـظم) فلم يلقـه . وكـره ان يسـأل احـداً عنـه ، فعـاد فنـام حتى أمسى فمـرَّ بـه عـلي فقـال : أمـا أن للرجـل ان يعرف منـزله ؟ . . . فـانطلق بـه . فبـات حتى اصبـح لا يسـأل واحـد منهما صـاحبه عن شيء . فـاصبح اليـوم الثالث ، فـاخـذ عـلى عـلي لئن افشى اليـه الذي يـريد ليكتمن عليـه وليسترنه . . . ففعل . فـاخبـره أنـه بلغه خـروج هذا الـرجـل يـزعم أنـه نبي . . . فـارسلت اخي ليـأتيني بخبـره ، وبمـا سمـع منـه فلم يـأتني بمـا يشفيني من حـديثـه فجئت بنفسي لالقاه .

فقـال له عـلي : اني غاد فـاتبع أثـري فـاني إن رأيت مـا أخـاف عليـك اعتللت بالقيام كأني اهريق المـاء فآتيـك . وان لم أر أحداً فـاتبع أثـري حتى تدخل حيث أدخل .

ففعـل (ابو ذر) حتى دخـل على اثـر علي على النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فاخبـره الخبر وسمـع قـول رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فاسلم من ساعته . ثم قال : يا نبي الله ما تأمرني ؟

قال : (الرسول) : ترجع الى قومك حتى يبلغك امري .

قال : فقال له : والذي نفسي بيده لا ارجع حتى اصرخ بالاسلام . في المسجد .

قال : فدخل المسجد فنادى باعلى صوته : أشهد أن لا إله الا الله ، وان محمداً عبده ورسوله .

قال : فقال المشركون : صبأ الرجل . . . صبأ الرجل .

فضربوه حتى صرع . فاتاه العباس فاكب عليه وقال : قتلتم الرجل يا معشر قريش . . ! أنتم تجار وطريقكم على غفار ، فتريدون ان يقطع الطريق . . . فامسكوا عنه .

ثم عاد اليوم الثاني ، فصنع مثل ذلك ، ثم ضربوه حتى صرع فاكب عليه العباس فقال لهم مثل ما قال في أول مرة ، فامسكوا عنه .

ويقول صاحب الغدير أيضاً : ضربه لاسلامه فتية من قريش ، فجاء الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله . . . أما قريش فلا ادعهم حتى اثأر منهم . . ضربوني ! ! .

فخرج (ابو ذر) حتى اقام بعسفان . وكلما اقبلت عير لقريش يحملون الطعام ينفر لهم على ـ سنية غزال ـ فتلقى احمالها . فجمعوا الحنط[1] فقال لقومه : لا يمس احد حبة حتى تقولوا : لا إله الا الله . . . فيقولون : لا إله الا الله : ويأخذون الغرائر[2] .

---

(١) الحنط ـ جمع حنطه .

(٢) الغدير ـ للاميني ـ ج٨ ـ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

ذكر ابو نعيم ايضاً في الحلية عن ابن عباس عن ابي ذر (رضي الله عنه) قال : اقمت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة ، فعلمني الاسلام وقرأت من القرآن شيئاً ، فقلت يا رسول الله اني اريد أن اظهر ديني .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اني اخاف عليك أن تقتل » .

قلت : لا بد منه وان قتلت .

قال : فسكت عني . . . فجئت وقريش حلقاً يتحدثون في المسجد .

فقلت : اشهد ان لا إله إلا الله ـ واشهد ان محمداً رسول الله .

فانتفضت الحلق فقاموا فضربوني حتى تركوني كأني نصب أحمر ، وكانوا يرون أنهم قد قتلوني . فافقت فجئت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ورأى ما بي من الحال فقال لي : « الم انهك . . » ؟ .

فقلت يا رسول الله كانت حاجة في نفسي فقضيتها ، فأقمت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال : « الحق بقومك ، فاذا بلغك ظهوري فأتني »[1] .

هذا هو الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري رابع الاسلام على اكثر الروايات .

---

(١) حلية الاولياء، لابي نعيم ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

لقد هداه الله سبحانه وتعالى للايمان فكان القدوة الصالحة للمؤمنين والمثل الاعلى في الاخلاص والوفاء والجهاد والتضحية في سبيل رسالة الاسلام . فكان (رضي الله عنه) صادق اللهجة حتى قال في حقه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما اظلت الخضراء ـ ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق ولا أوفى من ابي ذر . شبه عيسى بن مريم » .

فقال عمر بن الخطاب كالحاسد : يا رسول الله ؟ افتعرف ذلك له ؟! قال : نعم فاعرفوه »(١) .

---

(١) الغدير، للاميني، ج-، ص ٣١٢.

حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه)

حمزة بن عبد المطلب هو عم الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اسد الله واسد رسوله كان رجلاً شريفاً مهاباً من خيرة رجال بني هاشم وسادات قريش ، اعز الله به الاسلام لشجاعته ومروءته وطيب ارومته ، واخلاصه في الدفاع عن دين الله ورسالة الاسلام المقدسة .

لقد كانت مواقف حمزة (رضي الله عنه) مشهورة وضرباته في سبيل الحق معروفة سجلها التاريخ على صفحاته باحرف من نور .

اليس حمزة هو قاتل الاسود بن عبد الاسد المخزومي وشيبة بن ربيعة يوم وقعة بدر الكبرى . . .

اليس هو الذي قاتل يوم أُحد وقتل صناديد قريش من المشركين وحامى عن رسول الله وفداه بنفسه كما سيأتي .

اليس هو (حمزة) الذي وقف في وجه ابي جهل عندما لم يتمكن احد من مواجهة المشركين وضرب وجه ابي جهل لأنه تكلم على الرسول الأعظم واساء اليه .

جاء في سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق قوله : « حدثني رجل من أسلم ، كان واعية :

ان ابـا جهل مـرَّ برسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) عنـد الصفا فـآذاه وشتمـه ونـال منه بعض مـا يكـره ، من العيب لـدينـه والتضعيف لأمـره ، فلم يكلمه رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ومـولاة لعبـد الله بن جـدعان بن عمـرو بن كعب بن سعـد بن تيم بن مـرة في مسكن لها تسمـع ذلك ، ثم انصـرف عنـه ، فعمـد الى نـادٍ من قـريش عنـد الكعبـة فجلس معهم .

فلم يلبث حمـزة بن عبد المـطلب (رضي الله عنه) ان أقبـل متـوشحـاً قـوسه راجعـاً من قنص[1] له وكـان صاحب قنص يـرميه ويخـرج لـه وكـان اذا رجـع من قنصه لم يصـل الى اهله حتى يطوف بـالكعبة ، وكـان اذا فعـل ذلـك لم يمر عـلى ناد من قـريش إلا وقف وسلم وتحـدث معهـم ، وكـان اعـز فتى في قريش وأشد شكيمة .

فلما مـر بالمـولاة وقـد رجـع رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) الى بيتـه ، قالت لـه : يا أبـا عمـارة ، لـو رأيت مـا لقي ابن اخيـك محمـد آنفـاً من أبي الحكم بن هشام . . . وجـده هـا هنـا جالسـاً فـآذاه وسبـه وبلغ منـه مـا يكـره ، ثم انصـرف عنـه ولم يكلمـه محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) .

فـاحتمل حمـزة الغضب لما اراد الله بـه من كرامتـه ، فخـرج يسعى ولم يقف عـلى احـد ، معـداً لأبي جهـل اذا لقيـه ان يـوقـع بـه ، فلما دخـل المسجـد نظر اليـه جالسـاً في القوم فـاقبل نحـوه ، حتى اذا قـام عـلى رأسـه رفـع القوس فضـربه بهـا فشجه شجـة منكـرة ثم قـال : أتشتمـه وانـا عـلى

---

(١) القنص ، الصيد .

دينه اقول ما يقول ؟ فرد ذلك علي إن استطعت . . . ؟!

فقامت رجال من بني مخزوم الى حمزة لينصروا اباجهل .

فقال ابو جهل : دعوا أبا عمارة . . . فاني والله قد سببت ابن اخيه سباً قبيحاً .

وتمَّ حمزة (رضي الله عنه) على اسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله .

فلما اسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عزَّ وامتنع سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[1] .

وقال حمزة بعد اسلامه :

حمدت الله حين هدى فؤادي — الى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز — خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا — تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء احمد من هداها — بآيات مبينة الحروف

---

(١) سيرة ابن هشام ، ج١ ص ٣١١ - ٣١٢ .

عمار بن ياسر (رضي الله عنه)

كانت الجزيرة العربية باجمعها (وخاصة المجتمع المكي) قد تدهورت فيها الاخلاق ، وتفككت عرى الآداب ، وفشا فيهم كل خلق أثيم .

كان في ذلك المجتمع ثلة من الاثرياء قد تسلطت على رقاب الناس وتحكمت الطبقية ـ والدكتاتورية ـ وعندما ساد الفساد والاستهتار وعمت الفوضى ، اصبح الوضع العربي ـ أو العالمي ـ بمجموعه في امس الحاجة الى عطف سماوي ينقذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة ، وينتشلهم من الهوة السحيقة والمجتمع الموبوء، ويرتفع بهم الى سمو الذات ومكارم الاخلاق .

في وسط الظلام الدامس التي كانت تتخبط به الجزيرة العربية ، انبثق نور الإسلام ليضيء بشعاعه دروب الحياة لبني الانسان . وظهر المصلح الأكبر الذي كان يتحنث[1] في غار حراء . وارتفع صوت محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو الناس الى كلمة التوحيد ، ويعرض على المجتمع المتفكك افضل ما اهتدت اليه الانسانية من المثل العليا ، والتعاليم السامية .

---

(١) تحنث : ترك الاثم واعتزل عبادة الاصنام .

في الجو الخانق الذي عاشته الجزيرة العربية ومكة خاصة خرج محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يحمل باحدى يديه تعاليم الباري سبحانه (القرآن الكريم) وبالاخرى الاخلاق الفاضلة والمباديء السامية . يدعو الناس الى كلمة لا إله الا الله وحده لا شريك له . . . يدعوهم الى الايمان بالله والتصديق بالنبوة المقدسة . ودخل الناس في دين الله افواجاً نساء ورجالاً .

يحدثنا التاريخ عن السابقين للاسلام كعمار بن ياسر (رضي الله عنه) وابيه ، وامه سمية ، واخيه عبد الله ، الذين اعتنقوا الإسلام وكفروا بالاصنام ، ولاقوا في سبيل ايمانهم بدين الله وعقيدتهم الراسخة في نفوسهم ما لاقوه من التعذيب والاضطهاد ، مالا حد له ولا وصف .

يا لروعة الايمان ، وعظمة الحق ، وقوة النفوس الزكية التي تحلت بها اسرة عمار وامثالها من اصحاب الضمائر الحية التي تجيش بالاحساسات النبيلة والارادة السامية والشعور الصادق .

اي روعة تلفت النظر وتستمر مع الزمن اعظم من روعة الايمان الذي كان يلف ـ اسرة عمار . تتقدم اسرة بكاملها في ساعة العسرة الى الإسلام لتعتنقه وتدافع عنه دون ما اكتراث للملابسات الزمنية التي تحوطها في ذلك الظرف القاسي على النبي الاعظم واتباعه . ولا تراعي اغضب الحاقدين والمستبدين من المشركين عند جيشان النفوس وغليانها . مع العلم ان اسرة عمار لا ناصر لها ولا معين سوى الايمان بالله وحده .

لم تبالي افراد هذه الاسرة ولم تلتفت الى ما جرَّ عليها اسلامها

من الاذى والتنكيل ، وان بلغ العذاب منها كل مبلغ .

كانت طواغيت قريش وعتاتها تلهب ظهور المسلمين بالسياط فتخرجهم في حر الهجير وتعذبهم بالنار والحديد تحت اشعة الشمس المحرقة على رمضاء مكة .

لقد تفننت قريش في تعذيب المسلمين المستضعفين . لأن الكفار المستبدين من قريش كانوا لا يجرؤ ون على اهانة النبي وتعذيبه لوجود عمه ابي طالب السيد المهاب في المجتمع المكي الذي حامى عنه ودافع . ثم ان المسلمين الذين لهم قبائل وعشائر تمنعهم كانوا في منعة من تعذيب قريش .

لذلك نرى أن المشركين قد صبوا جام غضبهم ، وحقدهم على المستضعفين الذين لا قبائل تمنعهم ولا عشائر تحميهم أمثال آل ياسر حتى بلغ العذاب اوجه .

لم يملك الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لهؤلاء المستضعفين ردءاً غير الرثاء والحنان فنراه يقول بكل مرارة : « صبراً ابا اليقظان » . ثم يرفع يديه الى السماء مبتهلا الى الواحد القهار : « صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة » .

وفي رواية عن جابر ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرَّ بعمار واهله وهم يعذبون فقال : « ابشروا آل عمار . . . وآل ياسر فان موعدكم الجنة »[1] .

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير، ج ٣ ، ص ٥٩ .

وعن صاحب الحلية عند ذكر المسلمين الأول قوله : « ومنهم عمار ابن ياسر ابو اليقظان، الممتلىء من الايمان ، والمطمئن بالايقان ،والمسبت حين المحنة والافتتان » والصابر على المذلة والهوان ، من السابقين الأولين .

سبق الى قتال الطغاة زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبقي الى طعان البغاة مع الوصي[١] .

كان له من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا استأذن البشاشة والترحيب . والبشارة بالتطييب .

كان لزينة الدنيا واضعا ، ولنخوة النفس قانعا ، ولانصار الدين رافعا ، ولامام الهدى تابعاً .

كان من اهل بدر » وبعثه عمر على الكوفة اميراً ، وكتب اليهم انه من النجباء من اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

. كان احد الأربعة الذين تشتاق اليهم الجنة[٢] ، لم يزل يدأب لها ويحن اليها الى أن لقي الاحبة ، محمداً وحزبه[٣] .

---

(١) اشارة الى ان عمار بن ياسر حارب البغاة مع الوصي علي بن ابي طالب يوم صفين .

(٢) جاء في الغدير عن طريق انس بن مالك مرفوعا : ألجنة تشتاق الى ثلاثة : علي، وعمار وابي ذر. وفي رواية عن بريدة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان الله (عزّ وجلّ) امرني بحب اربعة واخبرني انه يحبهم علي - وابو ذر - والمقداد - وسلمان - الى آخره . . .

(٣) حلية الاولياء-ج ١ ، ص ١٣٩ .

جاء في نهاية الأرب عن ابن اسحاق قوله : كان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبابيه وامه ، وكانوا اهل بيت اسلام - اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول : « صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » .

فاما أُمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام . قال ابو عمر : وهي سمية كانت امة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . فزوجها من حليفه ياسر بن عامر بن مالك العبسي ، فولدت له عماراً فاعتقه ابو حذيفة .

وسمية هذه أول شهيدة في الإسلام . وجاءها - اي ضربها - ابو جهل بحربة في قلبها فقتلها ، فقال عمار : يا رسول الله بلغ منا - او بلغ منها كل مبلغ - فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « صبراً يا أبا اليقظان ، اللهم لا تعذب احداً من آل ياسر بالنار »[1] .

---

(١) نهاية الارب في فنون الادب ، للنويري ، ج ١٦ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

المقداد بن الاسود (رضي الله عنه)

نستنطق التاريخ الذي يحدثنا عن عظماء الرجال من صحابة الرسول المخلصين ممن سارعوا الى الايمان بالله والتصديق برسوله الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

نقف هنيهة عند ذكر الصحابي الجليل المؤمن بالله والمصدق للرسول الفارس الشجاع ، والبطل المقدام ـ المقداد بن الاسود الذي كان من السابقين الأول الذين هداهم الله للاسلام فابلوا البلاء الحسن في سبيل اعلاء كلمته ، فجزاهم الله بما صبروا الجنة . . ونعم عقبى الدار . .

كان المقداد بن الاسود (رضي الله عنه) من الفضلاء النجباء ، الكبار الاخيار ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد كلها .

كان اول من حارب فارساً في الاسلام ، كان فارساً يوم بدر، ولم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره .

كان رضي الله عنه) ـ كما تقول الروايات ـ احد المخلصين من الصحابة الاخيار للنبي واهل بيته المعصومين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

لقد بلغ المقداد منزلة عظيمة بين الصحابة من حيث التُقى والدين

والايمان ، حتى سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . أوَّاباً . . [١].

قال الاميني في غديره : أنَّى يسع للباحث ان يستكنه ما لهذا الصحابي العظيم من الفضائل، او يدرك شأوه ، وبين يديه قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الثناء عليه : « ان الله امرني بحب اربعة ، واخبرني أنه يحبهم : علي ، والمقداد ، وابوذر ، وسلمان .

وقوله (صلى الله عليه وآله) : ان الجنة تشتاق الى اربعة : علي ، وعمار ، وسلمان ، والمقداد[٢] .

وفي حلية الاولياء عن ابن اسحاق أنه قال : لما خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بدر استشار الناس ، فقام المقداد بن عمر[٣] فقال : يا رسول الله امض لما امرك الله به فنحن معك ، والله ما نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (عليه السلام) : « : ﴿ اذهب انت وربك فقاتلا إنَّا ها هنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب انت وربك فقاتلا إنَّا معكم مقاتلون . والله الذي بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خيراً . . ودعا له [٤].

---

(١) أواب : اي رجّاع الى الله تعالى في امور دينه ابتغاء مرضاته .

(٢) الغدير : للاميني، ج ٩، ص ١١٧ .

(٣) المقداد بن عمر بن ثعلبة مولى الاسود بن عبد يغوث السابق الى الاسلام : حلية الاولياء .

(٤) حلية الاولياء ، للحافظ ابي نعيم ، ج ١ ص ١٧٥ .

وفي الحلية ايضاً : عن عبد الرحمن بن جبير عن ابيه قال : جلسنا الى المقداد بن الاسود يوماً فمرَّ به رجل ، فقال :

طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . والله لودننا أنا رأينا ما رأيت . . وشهدنا ما شهدت . . فاستمعت ، فجعلت اعجب ، ما قال إلا خيرا![1].

ثمّ اقبل ـ المقداد ـ عليه فقال : ما يحمل احدكم على أن يتمنى محضراً غيبه الله عز وجل عنه ؟ ! لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه ؟ . . . والله لقد حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اقوام كبهم الله عز وجل على مناخرهم في جهنم . لم يجيبوه . . . ولم يصدقوه .

أو لا تحمدون الله اذ أخرجكم الله عز وجل لا تعرفون الا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم (عليه السلام). وقد كفيتم البلاء بغيركم ؟ ! .

والله لقد بُعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على اشد حال بُعث عليه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ، ما يرون ديناً أفضل من عبادة الاوثان .

فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق به بين الوالد وولده ، حتى ان الرجل ليرى والده ، أو ولده ، أو أخاه كافراً . . وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للايمان . . ليعلم أنه قد هلك من دخل النار فلا

---

(١) هكذا ورد في الاصل.

تقر عينه وهو يعلم ان حميمه في النار .

وأنها للتي قـال الله عز وجـل : ﴿ربنا هب لنـا من ازواجنـا وذريـاتنـا قرة أعين ﴾[1] .

اقـول : رضي الله عنـك يـا مقـداد ايهـا العبـد الصـالـح المـطيـع لله ولرسوله المتفاني في نصرة الاسلام .

لقـد قلت كلمة الحق : « مـا يحمل احـدكم على أن يتمنى محضـراً غيبه الله عز وجل عنه ، لا يدري لو شهده كيف يكون فيه الى آخره » .

لقد صدقت في كلامك الـذي له من المعـاني العميقة ذات الابعـاد . . والابعـاد . . مما يجعلنـا نرجـع بذاكـرتنا عبـر القرون الغـابرة لنقف في جـو تلك الحقبـة ـ حقبة البعثـة النبويـة ـ ونتصفح احـوال من كان مـع الرسـول الاعـظم (صلى الله عليـه وآله وسلم) وشهـد مواقفـه والحـروب التي كـان يخـوضهـا ، والحيـاة التي كـان يحيـاهـا بجهـاده المضني ، وهـو يحمـل اعبـاء رسالة الاسلام المقدسة . ثم نتساءل :

هـل كان جميـع من عرف الـرسـول وشـاهـده وعـاصـره من المسلمـين مصيرهم للجنة يدخلونها افواجا ؟ !

أم كان منهم الصالح . . والطالـح . . والمؤمن . والمتظاهـر بالاسـلام ووو الى آخره .

نعم اننـا اذا انصفنـا وجعلنـا منـطق الحق رائـدنـا ، وتجنبنـا الاهـواء

---

(١) حلية الاولياء، لابي نعيم الاصبهاني ، ج ١ ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

الشخصية والغايات النفسية لوجدنا كلام المقداد (رضي الله عنه) هو عين الصواب .

فليس كل من كان مع الرسول الاعظم مسلماً حقيقياً .

وليس كل من أظهر الاسلام مؤمناً ورعاً وتقياً .

وليس كل من شهد مواقع الرسول الاعظم وحروبه مجاهداً ومخلصاً ووفياً .

ليت شعري : ألم يكن بين صفوف المسلمين من لم يلامس الاسلام قلبه .

ليت شعري : ألم يكن بين المسلمين من كان اسلامه رياء - أو طمعا - او خوفاً .

ليت شعري ألم يكن بين المسلمين من دخل في الاسلام رغبة في الجاه والسلطان وتحصيل المال . كالمؤلفة قلوبهم .

يقول صاحب مجمع البيان في تفسير (المؤلفة قلوبهم) : كان هؤلاء قوماً من الاشراف في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) وكان يعطيهم سهماً من الزكاة ليتألفهم به على الاسلام ، ويستعين بهم على قتال العدو .

ومن هنا نرى ان المؤلفة قلوبهم والمنافقين كانوا ولم يزالوا في كل زمان ومكان يتزيون بكل زي يعتنقون ما شاؤوا من المبادىء او المذاهب . ويركضون وراء الجهة التي تجر لهم المال والجاه .

يقــولــون بــافــواههم مــا ليس في قلوبهم . اقــوالهم غــير افعــالهم ،
وظاهرهم غير باطنهم ، كل ذلك للوصول الى مطامعهم الدنيوية الدنيئة .

كفى الله المسلمين شر الحاقدين والمنافقين .

الفصل

الحادي والعشرون

الامر باظهار الدعوة للاسلام

كان المسلمون الأولون يجتمعون خفية عن اعين الرقباء يستترون عند ممارسة شعائرهم الدينية خوفاً من الاضطهاد الذي يصيبهم من عتاة قريش وطغاتها الذين كانوا يلحقون الاذى بالمسلمين الذين كفروا بالاوثان وتركوا عبادة الاصنام .

كان المسلمون اذا ارادوا الصلاة انطلقوا في شعاب مكة ، وصلوا فيها ، وبقيت حالتهم هذه ثلاث سنوات على ما يروى وهم لا يتظاهرون امام الملأ .

ازداد الاسلام هذه المدة من الزمن انتشاراً بين اهل مكة وغيرها من القبائل ونزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من القرآن العظيم ما زاد المسلمين ايماناً وعقيدة . إذ كانت شخصية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث معاملته مع قومه وتواضعه وصدقه وحنوه وعطفه ومواساته للفقراء وعدالته الاجتماعية هي الباعث على تفشي الاسلام ايضاً .

كان (صلى الله عليه ووآله وسلم) براً رحيماً ، كامل الرجولية ، عذب الحديث، يعطي كل ذي حق حقه ، ينظر الى الضعيف واليتيم والبائس والمسكين نظرة مملؤة بالحنان والعطف والمودة يعامل الجميع على السواء .

لم يفضل احداً على احد، فالكل في منزلة واحدة، وليس لاحد فضيلة الا الورع وحسن الاسلام والتقوى: تلك هي (الديمقراطية) العادلة .

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) في تهجده وسهره في الليل وترتيله ما أنزل عليه من الآيات البينات، ودوام نظره وتأمله، والتماس العبرة من الوجود كله بكل ما فيه ، وتوجهه الدائم لله وحده سبحانه وتعالى ، كل هذه الامور جعلته مثلا للذين آمنوا به واسلموا . كما جعلتهم اشد انكاراً لما كان عليه اباؤ هم من الجهل والضلال . وجعلتهم ايضاً اشد احتمالا لاذى المشركين المستبدين ممن لم يدخل الايمان في قلوبهم .

آمن بالرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلة من تجار مكة واشرافها ومن عرفت نفوسهم الطهر والنزاهة ، ومن وعت قلوبهم معنى المحبة والرحمة .

آمن بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً : كل ضعيف وكل بائس، وكل محروم ، وانتشر أمره بمكة ، ودخل الناس في الاسلام نساء ورجالاً .

وتحدث الناس عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعن دعواته الى الايمان بالله وعبادة الواحد القهار ونبذ عبادة الاوثان وتطهير النفوس من رجس الجاهلية ، وانتشال بني البشر من بؤرة الضلال والجهل والفساد

لقد كان اهل مكة والاعراب من حولها قساة الاكباد وممن على قلوبهم اقفالها ، لم يعبؤا بحديث الرسول أول الأمر وظنوا أن حديثه هذا

لم يزد عن حديث الكهنة ، او الرهبان أو من كانوا يعتقدون بوجود الخالق جل وعلا امثال قس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن ابي الصلت ، وغيرهم ممن تركوا عبادة الأصنام وخرجوا من بلادهم يبحثون عن دين تقبله عقولهم وتطمئن اليه نفوسهم .

وظن المشركون ايضاً ان دعوة محمد لا بد وأن تنهار تحت الضغط والاكراه وان اتباعه من المسلمين لا بد وانهم عائدون الى دين آبائهم واجدادهم .

لكن المشركين نسوا وغاب عنهم أن دين الاسلام العظيم هو دين الحق ، وأن الحق لا بد أن ينتصر وان الايمان بالله لا يغلبه غالب .

وبعد سنوات ثلاث من مبعث الرسول الاعظم جاء النداء من الباري عز وجل آمراً رسوله الكريم ان يظهر أمره وأن يصدع بما أمر به وما انزل عليه من رسالة السماء .

ذكر الطبري في تاريخه : « ان الله عز وجل أمر نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وان يبادي الناس بامره ، ويدعو إليه ، فقال له : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾[1] وكان قبل ذلك في السنين الثلاث من مبعثه ، الى أن امر باظهار الدعاء الى الله مستتراً مخفياً امره (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وانزل عليه : ﴿ **وانذر عشيرتك الاقربين ـ واخفض جناحك لمن**

---

(١) سورة الحجر، اية، ٩٤.

اتبعك من المؤمنين*فان عصوك فقل اني بر ىء مما تعملون ﴾[١].

قال : وكان اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا صلّوا ذهبوا الى الشعاب ، فاستخفوا من قومهم ، فبينا سعد بن ابي وقاص في نفر من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلوهم ، فاقتتلوا ، فضرب سعد بن ابي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى[٢] جمل فشجه ، فكان أول دم اهريق[٣] في الاسلام[٤].

وفي تاريخ الطبري عن ابن عباس قال : « صعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم الصفا ، فقال : يا صباحاه . . .

فاجتمعت اليه قريش فقالوا : مالك ؟

قال : أرأيت أن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أما كنتم تصدقوني . . . ؟

قالوا : بلى .

قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

---

(١) سورة الشعراء ، آية ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .
(٢) اللحى : العظم الذي على الفخذ من الجمال ، وهو من الانسان ، العظم الذي تنبت عليه اللحية .
(٣) اهريق الماء ، صبه ، وأصله ، اراقه ، ابدلت الهمزة هاء .
(٤) تاريخ الطبري : ج ٢ ، ص ٣١٨ سيرة ابن هشام ، ج ١ ص ٢٨٢ .

فقال ابو لهب : تباً لك . . ألهذا دعوتنا ، أوجمعتنا ؟ !

فانزل الله عز وجل : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ الى آخر السورة[1] .

وفي رواية ثانية عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾[2] خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه . . .

فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟

قالوا : محمد . . .

فقال : يا بني فلان[3] يا بني عبد المطلب . . يا بني عبد مناف . . فاجتمعوا اليه . فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟

قالوا : ما جربنا عليك كذبا .

قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال ابو لهب : تبا لك . . . ! ما جمعتنا إلا لهذا ؟! ثم قام ،

---

(١) سورة المسد : وفي رواية ان ابا لهب كان يقول : يعدني محمد اشياء لا ارها ، يزعم انها كائنة بعد الموت ، فما وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه ويقول : تباً لكما . ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فانزل الله تعالى فيه ﴿ تبت يدا ابي لهب وتب ﴾ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ـ ٢١٤ .

(٣) هكذا ورد في الأصل .

فنزلت هذه السورة : ﴿ تبت يدا ابي لهب وتب ﴾ الى آخر السورة[1] .

(١) تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص ٣١٩ .

دعوة محمد (صلى الله عليه وآله) لعشيرته الأقربين

جاء في تاريخ ابن الاثير عن جعفر بن عبد الله بن ابي الحكم قال: لما أنزل الله على رسوله ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ اشتد عليه، وضاق به ذرعا، فجلس في بيته كالمريض. فاتته عماته يعدنه، فقال: ما اشتكيت شيئاً ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين.

فقلن له: فادعهم.. ولا تدع أبا لهب فيهم فانه غير مجيبك.

فدعاهم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحضروا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة واربعين رجلا، فبادره ابو لهب فقال: هؤلاء هم عمومتك، وبنو عمك، فتكلم ودع الصبأة.. واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأن احق من اخذك فحبسك بنو أبيك، وان اقمت على ما انت عليه، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب.. فما رأيت أحداً جاء على بني ابيه بشر مما جئتهم به..!

فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعاهم ثانية، وقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، ثم قال:

إن الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله الا هو إني رسول الله اليكم خاصة ، والى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها الجنة أبداً . . والنار ابدا .

فقال أبو طالب : ما أحب الينا معاونتك ، وأقبلنا لنصيحتك ، واشد تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وانما انا أحدهم ، غير أني اسرعهم الى ما تحب ، فامض الى ما أُمرت به ، فوالله لا أزال احوطك وامنعك .

فقال أبو لهب : هذه والله السوأة . . خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم[1] .

---

(١) ان ابا لهب اسمه عبد العزى ، وكنيته ابو لهب ، بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان شديد المعاداة والمناصبة له ، ففي مجمع البيان عن طارق المحاربي ، قال : بينا انا بسوق ذي المجاز ، اذ أنا بشاب يقول : أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا .
فاذا برجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ، ويقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه . .
فقلت : من هذا ؟ !
فقالوا :
هو محمد يزعم أنه نبي . . وهذا عمه ابو لهب يزعم أنه كذاب .
وروي أنه لقي هند بنت عتبة بن ربيعة زوجة ابي سفيان ام معاوية فقال لها : يا بنت عتبة كيف رأيت . . هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاهر عليها . .
قالت : نعم ـ فجزاك الله خيرا يا أباعتبة .
اقول ليت شعري ، لقد تباهى ابو لهب لعنه الله امام هند بانه نصر اللات والعزى ، وفرح بالثناء عليه من هند آكلة الاكباد ، ولكنه نسي أنه باء بغضب من =

فقال ابو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا[1] .

= الله تعالى، ولعنة ابدية الى يوم الدين، هو وامرأته حمالة الحطب حيث ان ملايين المسلمين يرددون قوله تعالى: ﴿ تبت يدا ابي لهب وتب ـ ما اغنى عنه ماله وما كسب* سيصلى ناراً ذات لهب* وامرأته حمالة الحطب* في جيدها حبل من مسد ﴾ وحمالة الحطب هذه هي امرأة ابي لهب واسمها ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان . لقد نصبت العداوة للاسلام، وتفننت في ايذاء الرسول والمسلمين وتعاونت مع زوجها ابي لهب واخيها ابي سفيان وزوجة اخيها هند بنت عتبة على نصرة المشركين . وجاءت ام جميل بنت حرب عندما نزلت سورة ﴿تبت﴾ ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول : ـ مذمما ابينا ـ ودينه قلينا ـ وأمره عصينا .

(١) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج ٢، ص ٤٠، ٤١ .

الوليمة . . والانذار

نـزل الوحي من لـدن عزيـز حكيم آمراً الـرسـول العـظيم أن يصـدع بالرسالة المقدسة ، ويبتدىء بعشيرته الاقربين .

اجمع المؤرخون واصحاب السير عـلى أن الرسـول الاعظم (صـلى الله عليـه وآله) عنـدما نـزلت عيه آيـة الانذار ﴿وأنـذر عشيرتـك الاقربـين﴾ دعـا بني عبد المـطلب الى وليمة ، وهنـاك وقف بينهم بعد تنـاول الطعـام ، يـدعوهـم الى الاسـلام وترك عبـادة الاصنام وان الله واحـد احد لا شـريـك له وانه رسول الله .

جـاء في تـاريـخ ابن الاثـير عن عـلي (عليـه السـلام) أنـه قـال : لمـا نـزلت ﴿ وأنذر عشيـرتـك الاقـربـين ﴾ دعـاني النبي (صـلى الله عليـه وآلـه) فقال : يـا علي إن الله امـرني ان انـذر عشيرتي الاقـربـين ، فضقت ذرعـا وعلمت اني متى ابادرهم بهـذا الأمر ارى منهم مـا اكـره فصمت عليـه حتى جـاءني جبـريـل ، فقـال : يـا محمـد إلا تفعـل مـا تؤمـر بـه يعـذبـك ربـك . فاصنـع لنا صـاعاً من طعـام واجعل عليـه رجل شـاة ، وامـلأ لنـا عسـاً من لبن واجمـع لي بني عبـد المـطلب حتى اكلمهم وابلغهم مـا أمـرت بـه .

قـال : ففعلت مـا امرني به ، ثم دعـوتهم وهم يـومئـذٍ اربعـون رجـلا

يـزيـدون رجـلاً أو ينقصـونــه ، فيهم اعمـامــه ـ ابـو طــالب ـ وحمـزة . والعباس ـ وابو لهب .

فلما اجتمعـوا اليه دعـاني بـالـطعـام الـذي صنعتـه لهم ، فلما وضعتـه تنـاول رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) حـزة من اللحم[1] فنتفهـا باسنانه ثم القاهـا في نواحي الصحفـة[2] ثم قال : خـذوا باسم الله ، فـاكل القـوم حتى ما لهم بشيء من حـاجة ، ومـا أرى الا مواضـع أيـديهم . وايم الله الـذي نفس علي بيـده ان كان الـرجل الـواحد منهم ليـأكل مـا قـدمت لجميعهم .

ثم قـال (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) اسق القـوم ، فجئتهم بـذلـك العس[3] ، فشربوا منـه حتى رووا جميعا . وايم الله ان كـان الرجـل الواحـد ليشرب مثله .

فلما أراد رسـول الله (صـلى الله عليــه وآلـه وسلم)أن يكلمهم بــدره ابـو لهب الى الكلام ، فقـال : لعلما سحركم بـه صاحبكم ، فتفـرق القوم ولم يكلمهم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فلما كـان الغد قـال : يا عـلي ان هذا الـرجل سبقني الى مـا سمعت من القـول فتفرقـوا قبل أن اكلمهم ، فعـد لنا من الـطعام ، بمثـل مـا صنعت ثم اجمعهم إلي . ففعـل مثل مـا فعل بـالامس ، فاكلوا . . وسقيتهم ذلـك العس فشربوا حتى رووا جميعاً وشبعوا .

---

(١) حزة من اللحم : هي قطعة من اللحم تقطع طولا .
(٢) الصحفة جمع صحاف ، قطعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة .
(٣) العس بالضم ـ هو القدح الكبير وجمعه عساس .

ثم تكلم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فقال : يا بني عبد المطلب إني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بافضل مما قد جئتكم به ، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة . وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر على أن يكون اخي ووصي وخليفتي فيكم . . ؟

فاحجم القوم عنها جميعاً وقلت ـ واني لأحدثهم سناً ،وارمصهم عينا ، واعظمهم بطنا ، واحمشهم ساقا ـ أنا يا نبي الله اكون وزيرك عليه ، فاخذ برقبتي ثم قال : هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا .

قال : فقام القوم يضحكون فيقولون لابي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع . . ![1].

وفي رواية الطبري عن ربيعة بن ماجد أن رجلا قال لعلي (عليه السلام) يا امير المؤمنين ، بما ورثت ابن عمك دون عمك . . ؟

فقال علي : هاؤم ـ ثلاث مرات ، حتى اشرأب الناس، ونشروا آذانهم .

ثم قال : جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ أو دعا رسول الله ـ بني عبد المطلب منهم رهطه ، كلهم يأكل الجذعة[2]ويشرب الفرق[3].

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(٢) الجذعة ، والجذع جمع جذعان من البهائم ، صغيرها .

(٣) الفرق ، بكسر الفاء ، وبعضهم يقول بالفتح ، مكيال كبير لاهل المدينة يكال به اللبن .

قـال : فصنع لهم مـداً من طعام ، فـاكلوا حتى شبعـوا وبقي الـطعـام كما هو ، كانه لم يمس .

قـال : ثم دعـا بغمـر[1] فشـربـوا حتى رووا وبقي الشـراب كـأنـه لم يمس ، ولم يشربوا .

قـال : ثم قـال : يـا بني عبـد المطلب ، إني بُعثت اليكم بخـاصـة ، وإلى النـاس بعـامـة ، وقـد رأيتم من هـذا الأمـر مـا قـد رأيتم ، فـايكم يبـايعني عـلى ان يكـون أخي وصـاحبي ووارثي ؟ فلم يقم اليـه احـد ، فقمت اليه ـ وكنت اصغر القوم .

قال : فقال : اجلس ،

قـال : ثم قـال ثـلاث مـرات ، كـل ذلـك أقـوم اليـه ، فيقـول لي : اجلس حتى كان في الثالثة ، فضرب بيده على يدي . .

قال : فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي [2] .

---

(١) الغمر ، القدح الصغير.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، للطبري ، ج ٢ ، ص ٣٢١ .

سفارة عتبة بن ربيعة

ضاقت قريش ذرعا بمحمد (صلى الله عليه وآله) وباصحابه المسلمين إذ رأتهم يزدادون كل يوم عن يوم قوة ، ثم لا يثنيهم عن ايمانهم بالله وعقيدتهم الصادقة الأذى والهوان . ولا يصرفهم العذاب الذي يلاقونه في سبيل الله والتصديق برسالة الرسول الأعظم والجهر بها .

ولا يثنيهم أيضاً كل ما يلاقونه ويتعرضون اليه من التعذيب عن اداء واجبهم الديني .

لقد خُيِّل للمشركين أن محمداً (صلى الله عليه وآله) يبغي من وراء دعوته جاهاً ـ او مالاً ـ او سلطاناً . فسعوا جاهدين في ارضاء مطامعه حسب ما خُيل لهم . ناسين عظمة الدعوة الإسلامية ، ونزاهة جوهرها الروحي ، الذي تسامى عن جميع الرغبات ، والمطامع المادية . والمعنوية .

جاء في البداية والنهاية عن ابن اسحاق أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً . قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش : يا معشر قريش . ألا اقوم الى محمد فأكلمه واعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها . ويكف عنا ـ وذلك حين اسلم حمزة ورأوا اصحاب رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) يزيدون ويكثرون .

فقالوا : بلى يا ابا الوليد . . فقم اليه وكلمه ، فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فقا : يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت ، من الشطر[1] في العشيرة ، والمكان في النسب ، وانك قد أتيت قومك بامر عظيم ، فرقت جماعتهم ، وسفهت به احلامهم ، وعبت به آلهتهم ، ودينهم ، وكفّرت به من مضى من آبائهم .

فاسمع مني حتى اعرض عليك اموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

قال : فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « يا ابا الوليد اسمع »

قال : يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وان كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه . . حتى اذا فرغ عتبة . . قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): « أفرغت يا ابا الوليد ؟ »

قال : نعم . . .

---

(١) هكذا وردت في الاصل .

قال : اسمع مني . .

قال : افعل . .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : **﴿ حمٓ ـ تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾**[1] فمضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها والقى بيديه خلفه ، أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى السجدة فسجدها ثم قال : « سمعت يا ابا الوليد ؟ » .

قال : سمعت . .

قال : « فانت وذاك » .

ثم قام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ !

قال : ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا الكهانة . .

يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي . خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم اسعد الناس به .

---

(١) سورة فصلت ، آية ، ١ ، ٢ ، ٣ ، .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم .[1]

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير، ج ٣، ص ٦٣ .

وفد قريش الى ابي طالب

أي سمو للعقل الانساني اعظم من سمو دعوة محمد (صلى الله عليهوآله وسلم) وأي تحطيم للقيود البشرية الزائفة اشد من تحطيم دعوة الرسول الاعظم للبغي والفساد .

حسب الانسان أن يفهم ما يصلح وما يفسد من شؤ ون الحياة حتى يصل الى الذروة العليا .

في سبيل هذه المكانة السامية التي يتبوؤ ها الانسان تهون كل تضحية على من يؤ من بالمثل العليا .

لقد كان من جلال موقف النبي (صلى الله عليه وآله) وروعة تعاليمه ان ازداد اتباعه تصلباً ، وثباتاً ، وازداد بنو هاشم وبنو المطلب منعاً له ودفعاً للاذى عنه، وازدادت قريش تعنتاً وغروراً .

عندما رأى مشركوا قريش أن أمر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) آخذ بالانتشار ولم يتمكنوا من ايقافه بشتى الوسائل، وبعدما جربوا جميع الحيل ، وبعدما وصفوه (صلى الله عليه وآله وسلم) بانه كاهن . . وساحر . . ومجنون الى آخره . **﴿كبرت كلمة تخرج من افواههم﴾** .

ولما ضاقت بهم السبل ونفذت الحيل ولم يجدوا ما يجدي لردع محمد

(صلى الله عليه وآله) من اظهار دينه ، وعلموا ان محمداً العظيم لا يقدرون عليه لوجود كفيله وحاميه (ابي طالب) (رضي الله عنه) ، يدافع عنه ولا يتركه ويمنعه منهم ، لم يجدوا أمامهم إلا التوجه الى ابي طالب لعل بامكانهم بواسطته ايقاف محمد عن المضي في سبيل دعوته .

جاء في تاريخ الطبري عن ابن اسحاق أنه قال : لما صدع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بامر الله ، وبادى قومه بالاسلام ، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه بعض الرد ، حتى ذكر الهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك ، ناكروه واجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام ، وهم قليل مستخفون .

وحدب عليه ابو طالب عمه ، ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أمر الله مظهراً لأمره ، لا يرده عنه شيء .

فلما رأت قريش أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعتبهم[1] من شيء يكرهونه مما انكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن ابا طالب قد حدب عليه ، وقام دونه ، فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من اشراف قريش الى ابي طالب : منهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وابو البختري بن هشام ، والاسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وابو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . . .

---

(١) لا يعتبهم ـ أي ـ لا يرضيهم .

فقالوا : يا اباطالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه احلامنا ، وضلل اباءنا . . فاما ان تكفه عنا ، واما أن تخلي بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه .

فقال لهم ابو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلا ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما هو عليه ، يظهر دين الله ويدعوا اليه .

وفي رواية اخرى : أن مشركي قريش بعثوا رجلا منهم يدعى المطلب ، فاستأذن لهم على ابي طالب ، فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم[1]، يستأذنون عليك .

قال : ادخلهم .

فلما دخلوا عليه، قالوا : يا ابا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، فانصفنا من ابن اخيك ، فمره فليكف عن شتم آلهتنا ، وندعه وإلهه .

قال : فبعث اليه ابو طالب ، فلما دخل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قال : يا ابن اخي ، هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم ، وقد سألوك النّصف ، ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك .

قال : أي عم .. أولا ادعوهم الى ما هو خير لهم منها ؟ .

قال : وإلام تدعوهم ؟ .

قال : ادعوهم الى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم .

---

(١) سروات القوم ، ساداتهم .

قـال : فقـال ابـو جهـل من بـين القـوم : مـا هي وابيـك ؟ . . لنعطنيكها وعشرة أمثالها .

قال : تقول : لا إله الا الله . .

قال : فنفروا وتفرقوا وقالوا : سلنا غير هذه .

فقـال : لو جئتمـوني بالشمس حتى تضعـوها في يـدي . . ما سـألتكم غيرها ! . .

قـال : فغضبوا وقـامـوا من عنـده غضـابي ، وقـالـوا : والله لنشتمنـك والهـك الذي يـأمـرك بهـذا (وانـطلق المـلأ منهم ان امشـوا واصبـروا عـلى آلهتكم ان هـذا لشيء يـراد ـ مـا سمعنـا بهـذا في الملة الآخـرة ان هـذا الا اختلاق[1] .

وفي البـداية والنهـاية أن قـريشاً حـين قالت لابي طـالب هذه المقـالة ، بعث الى رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) فقـال لـه : يـا بن اخي ان قـومك قـد جاؤ ني فقـالوا لي : كـذا وكذا ، فـابق عـلي وعـلى نفسـك ، ولا تحملني من الأمر ما لا اطيق . .

فـظن رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) أنه قـد بـدا لعمـه فيـه بداء[2] وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

فقال رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) يا عمـاه . . لو وضعـوا

---

(١) سورة ص ، آية ، ٦ ، ٧ .
(٢) البداء : الاسم من بدا ـ يريد : ظهـر له رأي ، وسمي الـرأي بداء ، لأنـه شيء يبدو بعدما خفي ، وهذا لا يحدث الا عند الانسان .

الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ما تركته .

ثم استعبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبكى ، ثم قام . فلما قام ناداه ابو طالب: فقال : اقبل يا ابن اخي . . . فاقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال :

اذهب يا ابن اخي ، فقل ما احببت فوالله لا اسلمك لشيء أبداً[1] .

قال ابن اسحاق ثم قال ابو طالب في ذلك :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فامض لامرك ما عليك غضاضة ... أبشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمت انك ناصحي ... فلقد صدقت وكنت قدم امينا
وعرضت دينا قد عرفت بانه ... من خير اديان البرية دينا[2]

وجاء في تاريخ الطبري : ان قريشاً لما عرفت أن ابا طالب أبى خذلان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإسلامه واجماعه لفراقهم في ذلك ، وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وقالوا له: يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى في قريش، واشعرهم ، واجملهم ، فخذه فلك عقله ، ونصرته ، واتخذه ولداً فهو لك ، واسلم لنا ابن اخيك ـ هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه احلامهم ـ فنقتله . . فانما رجل كرجل .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير، ج ٣ ، ص ٤٣ .

فقال : والله لبئس ما تسومونني ! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم . . واعطيكم ابني تقتلونه ؟ ! هذا والله ما لا يكون ابداً .

فقال المطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف : والله يا ابا طالب ، لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً .

فقال ابو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد اجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي ، فاصنع ما بدا لك .

قال : فحقب[1] الأمر عند ذلك ، وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضا .

قال : ثم ان قريشاً تذامروا على من في القبائل منهم من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين اسلموا معه . فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب .

وقد قام ابو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والقيام دونه .

فاجتمعوا اليه ، وقاموا معه ، واجابوا الى ما دعاهم اليه من الدفع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الا ما كان من ابي لهب . فلما رأى ابو طالب من قومه ما سره من جدهم معه وحدبهم عليه ،

---

(١) فحقب الأمر عند ذلك ، يريد اشتد ، ويستعمل في الأمر اذا عسر .

جعل يمدحهم، ويذكر فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهم ، ومكانه منهم ، ليشد لهم رأيهم[1] .

(١) تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

الهجرة الأولى الى الحبشة

اجمع المؤرخون على ان المشركين تفننوا في تعذيب من دخل في دين الاسلام، وكفر بعبادة الاصنام .

ومما لا ريب فيه كما يحدثنا التاريخ أن المشركين عدوا على كل من اسلم واتبع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الا من كان في عزة ومنعة .

ووثبت كل قبيلة على من أسلم منها من المستضعفين ، واستعمل المشركون جميع انواع التعذيب والاضطهاد . فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم بالضرب تارة ، وبالجوع والعطش طورا ، وبرمضاء مكة اذا اشتدت حرارة الشمس . وكل هذه الأساليب الظالمة من التعذيب التي سلكها المشركون الطغاة كانت ليفتنوا المسلمين عن دينهم ـ فمنهم من لقي حتفه من شدة البلاء . ومنهم من بقي صابرا على الآلام والتعذيب متمسكا بدينه وعقيدته .

عن ابن اسحاق كما في نهاية الارب انه قال « لما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يصيب اصحابه من البلاء والعذاب ، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالى ومن عمه ابي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكاً لا يُظلم عنده احد ، وهي ارض صدق ـ حتى يجعل الله لكم

فرجاً مما انتم فيه ، فخرج عند ذلك من خرج منهم مخافة الفتنة ، وفراراً الى الله تعالى بدينهم ، فكانت أول هجرة في الاسلام .

قال الواقدي : خرجوا متسللين سراً، وكانوا احد عشر رجلا واربع نسوة ، حتى انتهوا الى الشعيبة[1] منهم الراكب والماشي، ووفق الله لهم ساعة جاؤ وا سفينتين للتجار، حملوهم فيهما الى ارض الحبشة بنصف دينار ، وكان مخرجهم في نصف رجب من السنة الخامسة من حين تنبأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوهم .

قال ابن اسحاق : كان أول من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس ـ عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومن بني عبد شمس : ابو حذيفة بن عتبة ـ معه امرأته سهلة ابنة سهيل ، ولدت بارض الحبشة ـ محمد ـ بن ابي حذيفة .

ومن بني اسد بن عبد العزى : الزبير بن العوام .

ومن بني عبد الدار : مصعب بن عمير بن هاشم .

ومن بني زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف .

ومن بني مخزوم : ابو سلمة بن عبد الاسد ـ معه امرأته ـ ام سلمة بنت ابي أمية بن المغيرة .

---

(١) الشعيبة ـ كجهينة : مرسى السفن من ساحل بحر الحجاز، وكان مرسى سفن مكة قديماً قبل جدة .

ومن بني جمح : عثمان بن مظعون بن حبيب .

ومن بني عدي بن كعب : عامر بن ربيعة ـ معه امرأته ليلى بنت ابي حتمة بن غانم .

ومن بني عامر بن لؤي : أبو سبرة[1] بن ابي رهم بن عبد العزى .

ومن بني الحارث ابن فهر : سهيل بن بيضاء ـ وهو سهيل بن وهب بن ربيعة .

قال : هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين الى أرض الحبشة وكان عليهم عثمان بن مظعون .

وزاد الواقدي : حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، فجعلهم احد عشر رجلا واربع نسوة .

قال : فقدمنا ارض الحبشة فجاورنا بها خير جار ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه» والله اعلم[2].

اقول : اذا كان لعثمان بن عفان ولعبد الرحمن بن عوف كما ادعى بعض اصحاب الروايات غير المتثبتين ـ من أنهما كانا من اثرياء مكة ووجهائها ، وأن لهما المكانة الاجتماعية المرموقة والمقام الرفيع . . فلماذا تركا مكة وهاجرا الى ارض الحبشة مع المستضعفين ؟ ! .

---

(١) ذكر ابن كثير عن ابن اسحاق أن ابا سبرة كانت معه امرأته ام كلثوم بنت سهيل ابن عمرو. وعلى هذا يكون عدد من هاجر الهجرة الأولى الى الحبشة احد عشر شخصاً كما نصت عليه الروايات .

(٢) نهاية الارب في فنون الارب ـ للنويري ـ ج ـ ١ ـ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

يقف القارىء متسائلاً . . لماذا الهجرة ؟ لماذا لم يبقيا في ارض الوطن كما بقي حمزة بن عبد المطلب وغيره ممن كان له مال ومنعة .

لكن ماذا اقول ؟ ! لقد شاءت ارادة الرواة أن يكون عثمان صهر الرسول كما يدعون ويفندون .

وشاءت ارادة الرواة ايضاً ان يجعلوا لعثمان بن عفان قصب السبق في الهجرة والايمان وتركوا لخيالهم واقلامهم العنان ، فسجلوا له المآثر والفضائل والاحسان .

وشاءت ارادة الرواة والمحدثين أيضاً أن يكون لعثمان من المكانة المرموقة والوجاهة ما يجعل له الطريق ممهداً وسهلاً لتولي الخلافة ـ وحمل بني أمية على رقاب المسلمين فيما بعد فاصبح حسب دعواهم وزعمهم صهر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

نعود بالكلام الى اصحاب الهجرة الاولى الى الحبشة ، هؤلاء النفر القليلون الذين هاجروا من ديارهم خوف الفتنة وفرارا من طواغيت اهل مكة وعتاتها .

هذه الثلة من المسلمين كان يرأسها عثمان بن مظعون حسب التوجيه الاسلامي .

فيا لروعة النظم الاسلامية حيث لم تترك هذه الثلة القليلة من المسلمين بلا راع وقائد قدير يدبر امورها لتكون يدا واحدة يحافظ بعضهم على بعض ، وينظر اليهم الاحباش نظرة الاكبار والاحترام .

يقول ابن الاثير في تاريخه : وكان عليهم عثمان بن مظعون فهو

رئيس المهاجرين في الهجرة الاولى، ليشرف على شؤونهم ، ويراقب اعمالهم ، كي لا تتفرق كلمتهم .

ومن هنا نعلم ان المسلمين يجب أن لا يخرجوا عن النظام الاسلامي الذي وضعه لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وان يكون لهم قائد يدير أمورهم وان كانوا قليلين . وان ترك المسلمين القيادة وانصراف كل حسب رأيه وميله وهواه ، جعلهم كالغنم الشاردة، فصاروا طعمة للمستعمرين .

اقول : ولو أنهم اتبعوا دينهم العظيم وجعلوا لهم من وسطهم غيوراً على مصالحهم يكافح عنهم حسب التعاليم الاسلامية (لا تأخذه في الله لومة لائم) فيناضل الاعداء ، لتلافي النقصان ، واصلاح الخلل . . لنهضت الامة الى حيث المكانة العالية ، الى السعادة والشرف .

اسطورة الغرانيق

جاء في تاريخ الطبري أنه لما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تولي قومه عنه ، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله ، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه ، وكان يسره مع حبه قومه وحرصه عليهم ، أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم ، حتى حدث بذلك نفسه ، وتمناه وأحبه ، فانزل الله عز وجل : ﴿ **والنجم اذا هوى ـ ما ضل صاحبكم وما غوى*وما ينطق عن الهوى** ﴾[1]فلما انتهى الى قوله : ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى** ﴾[2]القى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدث به نفسه ، ويتمنى أن يأتي به قومه : « تلك الغرانيق العلا، وان شفاعتهن لترتجى » .

فلما سمعت ذلك قريش فرحوا ، وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فاصاخوا له ـ والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاء به عن ربهم ، ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل ـ فلما انتهى الى السجدة منها وختم السورة سجد فيها ، فسجد المسلمون بسجود نبيهم ، تصديقا لما جاء به ، واتباعاً لامره .

---

(١) سورة النجم، آية، ١، ٢، ٣ .

(٢) سورة النجم، آية، ١٩، ٢٠ .

وسجد من في المسجد من المشركين ، من قريش وغيرهم ، لما سمعوا من ذكر آلهتهم ، فلم يبق في المسجد مسلم ولا كافر الا سجد ، الا الوليد بن المغيرة ، فانه كان شيخاً كبيراً فلم يستطع السجود ، فاخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرق الناس من المسجد ، وخرجت قريش ، وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ، يقولون : قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر ، قد زعم فيما يتلو : « أنها الغرانيق العلا ، وان شفاعتهن لترتجى » وبلغت السجدة من بارض الحبشة من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقيل : اسلمت قريش ، فنهض منهم رجال وتخلف آخرون ، واتى جبريل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا محمد ، ماذا صنعت ؟ ! لقد تلوت على الناس ما لم آتيك به عن الله عز وجل ، وقلت ما لم يقل لك . . فحزن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ذلك حزنا شديداً ، وخاف من الله خوفاً كثيراً ، فانزل الله عز وجل ـ وكان به رحيما ـ يعزيه ويخفض عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يك قبله نبي ولا رسول تمنى كما تمنى ، ولا أحب كما أحب ، الا والشيطان قد القى في أُمنيته كما القي على لسانه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فنسخ الله ما القى الشيطان واحكم آياته ، أي فانما أنت كبعض الانبياء والرسل ، فانزل الله عز وجل : ﴿ **وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أُمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم** ﴾[1] .

---

(١) سورة الحج ، آية ، ٥٢ .

فاذهب الله عز وجل عن نبيه الحزن، وآمنه من الذي كان يخاف، ونسخ ما القى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم [1].

أقول يأخذني العجب من قول بعض المؤرخين الذين دوّنوا قصة الغرانيق ، واخذوا في تفسيرها وتأويلها، وبذلوا الجهد من عصر أدمغتهم ، ليجعلوا من هذه القصة حقيقة ثابتة، وحاشا للرسول الاعظم الذي اضطلع باعباء الرسالة المقدسة واتصف منذ حداثته بالصدق والأمانة والذي اختاره الله سبحانه لتبليغ رسالته ، ان يستسلم للشيطان .

وحاشا للرسالة التي هي كلام الله ، أن يدخلها كلام الشيطان ويحولها الى مدح الأوثان .

وحاشا للنبي المرسل المعصوم أن يصدر عنه ما رواه الأفاكون - كبرت كلمة تخرج من افواههم - خدعوا بها المغفلين من الرواة ، واخذها هؤلاء اخذ المسلمات ، فكانوا آلة هدامة بيد الظالمين والافاكين والمستعمرين .

ولقد اتخذ من قصة الغرانيق كثير من المستشرقين مادة دسمة لتشويه صفاء الدين الاسلامي الرائع ، وللتشويش على سير الرسول الأعظم ، اذ تابعوا المفسرين المسلمين الذين حاولوا تفسير الحديث (قصة الغرانيق) وتسويفه فاستندوا الى آيات كثيرة منها : ﴿ **وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره** ﴾ الى قوله : ﴿ **ثم**

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

لا تجد لك علينا نصيرا ﴾[1] والى قوله تعالى : ﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في اُمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ـ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد ﴾[2] واخذ هؤلاء المفسرون لكلام الله تعالى يفسرون الآيات بعدة تفاسير على حسب ميولهم ـ واهوائهم . وتابعهم المستشرقون فنسجوا على منوالهم ونهجوا منهجهم وزادوا عليه وقالوا : بان الرسول الاعظم ذكر اصنام المشركين بالمدح دفعا لأذاهم له ولاصحابه . امثال (سير وليام موير) الذي اضاف الى رواية الغرانيق بعض الروايات التي وردت في بعض كتب السيرة وكتب التفسير التي لا مجال لذكرها الآن . فجعل من هذه الروايات بنظره حجة قاطعة بصحة حديث الغرانيق .

---

(١) سورة الاسراء، آية ٧٣ ، ٧٤ .
(٢) سورة الحج، آية، ٥٢، ٥٣ .

نظرة ـ وتحليل

اذا امعنا النظر في قصة الغرانيق نجدها افتراء على الله جل وعلا وعلى رسوله . وتحطيماً للإسلام في ادق واعظم دعائم الرسالة . اذ جعل المفترون للات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الشفاعة التي ترتجى على لسان صاحب التبليغ .

وهذا افتراء منهم لا صحة له على الاطلاق لأنه طعن للدين الاسلامي .

ولكن شياطين الانس نقلوها للناس من طريق رواية بعض الكتاب او الرواة المغفلين الموجودين في كل زمان ومكان ليجعلوها آلة فتاكة لهدم الدين الاسلامي ـ وتحطيم المسلمين .

وقد ابتلي المسلمون بامثال هؤلاء الضالين والمضلّين من بدء الدعوة الاسلامية الى يومنا هذا ـ وقانا الله شرَّهم اجمعين .

وفي نظر اهل التحقيق والتمحيص ان رواية ـ الغرانيق ـ باطلة ، محتجين بالقرآن . . والمعقول .

اما القرآن فقوله تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الاقاويل ـ لاخذنا منه باليمين ـ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾[1] .

---

(١) سورة الحاقة ، آية ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

وقوله تعالى : ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي إني اخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلا ﴾[3].

وهذه الآية تكشف عن كثرتهم ومدى اصرارهم وشهادتهم زوراً بانه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك الغرانيق العلا الخ.. وشأن البشر أن يتأثر بكثرة الشهود وتواطئهم، فكذبهم الله وحمى نبيَّه من ذلك.

ولو حصل شيء من ذلك لكان تكذيباً لقول الله تعالى، ولا مانع من أن تكون قريش قد اختلقوها من أول الأمر ثم روجها بعد ذلك المنافقون ومن على خططهم .

واما المعقول : فان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان يصلي عند البيت الا في اوقات الخلوة لشدة عداوة قريش لانهم ما كانوا يتركونه يقرأ الى آخر السورة لو لم يكونوا متآمرين على عمل قبيح من دس ـ او افتراء ـ او تضليل ، كما روجوا عن لسان النبي هذه القصة

---

(١) سورة يونس، آية، ١٥.

(٢) سورة النجم، آية، ٣، ٤.

(٣) سورة الاسراء، آية، ٧٣.

ثم لـو جاز أن يتكلم الـرسول الأمـين بما لا يقصـده لارتفـع الاعتمـاد علـى الشريعـة . . ولجاز ذلـك في كل الاحكـام وحاشـا الرسـول وتنـزهت الاحكام عن ذلك .

الفَصْل

الثاني والعشرون

عودة المهاجرين من الحبشة

توالت الليالي والايام والرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) جاهد في تبليغ رسالته ، يدعو الناس الى التوحيد سراً وجهراً ، وصار الناس يدخلون في دين الله .

ضاقت قريش ذرعاً بمحمد ومن اتبعه من المسلمين الذين يزدادون يوماً بعد يوم ، وخصوصاً بعد أن هاجر فريق منهم الى ارض الحبشة ، وبعدما لم يتمكن المشركون من استمالتهم أو تحويلهم عن عقيدتهم الاسلامية وايمانهم الصادق بشتى انواع الوسائل من تهديد ووعيد او تعذيب وتشريد .

اختلق المشركون والمنافقون قصة الغرانيق كما أسلفنا وروجوها ، واذاعوها ، حتى بلغت مسامع من هاجر الى الحبشة من المسلمين فعادوا الى مكة ارض الوطن ، مقر الاهل والاحباب هذا ما نقله الينا المؤرخون واصحاب السير .

لنقف هنيهة عند هذا المنعطف التاريخي ونتساءل هل أن عودة المهاجرين الذين كانوا بالحبشة هي مجرد سماعهم قصة الغرانيق المختلقة ومهادنة قريش لمحمد . . ؟ ام لا . . . ؟

فاغلب الظن ان المسلمين الذين عادوا الى مكة من الحبشة انما دفعهم الى العودة سببان .

السبب الأول : ان ما تنال به قريش محمداً واصحابه من الاذى يوشك ان يثير حربا اهلية بين القبائل والعشائر لا يعرف احد منهم مداها ، ولا على من تدور دائرتها ، فقد اسلم من القبائل العربية وبيوتات قريش رجال لهم منزلتهم الاجتماعية ، تثور قبيلتهم اذا تعرض احد منهم لأي سوء او تعذيب، أو أذى ، وان كانت القبيلة على غير دين من اسلم مع النبي محمد (صلى الله عليه آله وسلم) .

السبب الثاني : الذي حملهم على العودة الى مكة ،ذلك هو أن الحبشة ظهرت بها فتنة اثناء وجودهم واندلعت نار الحرب على النجاشي (ملك الحبشة) الذي كان قد ابدى عطفا على المسلمين .

وقد ابتهل المسلمون حين اندلاع الثورة وتضرعوا للباري بان ينصر الله النجاشي على خصومه لما لاقوه عنده من الراحة والاطمئنان .

لكن المسلمين لم يكونوا ليشاركوا في تأييد النجاشي مشاركة فعالة لأنهم اجانب وقليلون ، ولم يكن قد مضى على مقامهم في الحبشة غير أشهر قلائل .

اما وقد ترامت اليهم انباء هدنة بين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين قريش . فوجدوا من الافضل لهم ان يَدَعوا الثورة التي نشبت في الحبشة وراء ظهورهم والعودة الى بلادهم وهذا ما فعلوه .

على ان هؤلاء المهاجرين عندما اقتربوا من مشارف مكة وجدوا أن الأمر عكس ما ترامى الى اسماعهم ، وأن قريشا قد ازمعت على

مواصلة العداء لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وللمسلمين .

ذكر ابن الأثير في تاريخه انه « لما قرب المسلمون الذين كانوا بالحبشة من مكة بلغهم ان اسلام اهل مكة باطل فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفياً . فدخل عثمان في جوار ابي احيحة سعيد بن العاص بن أُمية فأمن بذلك ، ودخل ابو حذيفة بن عتبة بجوار ابيه ، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة ، ثم قال : اكون في ذمة مشرك . . ! جوار الله أعز . . فرد عليه جواره .

وكان لبيد بن ربيعة ينشد قريشاً قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل . . فقال عثمان بن مظعون : صدقت فلما قال : وكل نعيم لا محالة زائل . . قال : كذبت ـ نعيم الجنة لا يزول .

فقال لبيد : يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا ، ولا كان السفه من شأنكم ، فاخبروه خبره وخبر ذمته . فقام بعض بني المغيرة ، فلطم عين عثمان ، فضحك الوليد شماتة به حيث رد جواره .

ثم قال لعثمان : ما كان اغناك عن هذا .

فقال : ان عيني لمحتاجة إلى ما نال لمثل هذا .

فقال له : هل لك أن تعود الى جواري . . ؟

قال : لا اعود الى جوار غير الله .

فقام سعد بن ابي وقاص الى الذي لطم عين عثمان ، فكسر أنفه ـ

فكان اول دم اريق في الاسلام في قول[1] .

واقـام المسلمون بمكـة يؤذَون . فلما رأوا ذلـك رجعـوا مهـاجـرين الى الحبشة ثانيا »[2] .

وخلاصة القـول أن المهاجـرين بعد عـودتهم حين بلغهم ان المشـركين اسلمـوا ، فلما قدمـوا مكة لم يجـدوا مـا اخبـروا بـه صحيحـا ، فـرجـع من رجع منهم . ودخل منهم من دخل مكة بجوار أو مستخفيا كما اسلفنا .

---

(١) والقـول الآخـر ان الصحـابـة من المسلمـين كـانـوا يـذهبـون الى شعـاب مكـة لـلاجتماع، وللصـلاة، خشية من كثـرة ايذاء قـريش لهم . فاطلع عليهم نفـر من سفهـاء قريش، فنـاكروهم، وعـابوا عليهم دينهم، عنـدهـا اقتتلوا قتـالاً شـديـداً فضرب سعد رجلا من المشركـين بلحى جمل، فشجـه، فكان هـذا اول دم اريق في الاسلام والله العالم .

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج ٢ ص ٥٣، .

الهجرة الثانية الى الحبشة

لما كثر المسلمون وازداد عددهم ، ازداد المشركون تعنتاً وظلماً وطغيانا ، فاخذوا يكيلون الاذى لكل من آمن بالله ورسوله ، ولم يكن الله سبحانه وتعالى في تلك الفترة قد أمر رسوله بالجهاد ، والرسول في ذلك الوقت لم يتمكن من حماية المسلمين ودفع الاذى عنهم .

اشار رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم) على المسلمين بالعودة الى الحبشة . فخرج جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه) وتتابع المسلمون مهاجرين ، منهم من خرج باهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا اهل له معه .

فكان جميع من لحق بارض الجبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً ـ اوولدوا فيها ـ ثلاثة وثمانون رجلا .

ذكر ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق انه قال : « لما رأت قريش ان اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أمنوا واطمأنوا بارض الحبشة ، وأنهم قد اصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين الى النجاشي ، فيردهم عليهم ، ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة ، وعمرو بن العاص بن

وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته[١] ثم بعثوهما اليه[٢] فيهم .

فقال ابو طالب ، حين رأى ذلك من رأيهم ، وما بعثوهما فيه ، ابياتا للنجاشي يحضه على حسن جوارهم ، والدفع عنهم :

ألا ليت شعري كيف في النأي[٣] جعفر
وعمرو وأعداء العدو الاقارب
وهل[٤] نالت أفعال النجاشي جعفراً
واصحابه أو عاق ذلك شاغب[٥]
تعلم ، ابيت اللعن[٦] انك ماجد
كريم فلا يشقى لديك المجانب[٧]

---

(١) البطارقة جمع بطريق ، وهو القائد ، او الحاذق في الحرب .

(٢) ويقال ان قريشا بعثت مع ابن ابي ربيعة وعمرو بن العاص عمارة بن الوليد الذي عرضته قريش على ابي طالب ليأخذه ويدفع اليهم محمداً ليقتلوه . وقد سافر عمراً بامرأته فلما ركبوا البحر، وقد كان عمارة قد هوى امرأة عمرو وهوته ، فعزما على دفع عمرو في البحر، فدفعاه فسقط فيه ثم سبح ، ونادى اصحاب السفينة فاخذوه ورفعوه الى السفينة ، واضمرها عمرو في نفسه، ولم يبدها لعمارة. فلما اتيا ارض الحبشة مكر به عمرو، في حديث طويل ذكره ابو الفرج الاصفهاني في كتابه الاغاني .

(٣) النأي البعد .

(٤) كذا في الأصل ، وفي سائر الاصول ـ «فهل نال افعال، وهو الأصح لئلا يختل الوزن .

(٥) عاق ، منع، وشاغب : من الشغب : ويروى شاغب (بالعين المهملة والشاغب ـ المفرق .

(٦) ابيت اللعن : هي تحية كانوا يحيون بها الملوك في الجاهلية، ومعناه : ابيت أن تأتي ما تذم عليه . وقيل معناه : ابيت أن تذم من يقصدك .

(٧) المجانب : الداخل في حمى الانسان، المنضوي الى جانبه .

تـعـلـم فـان الله زادك بـسـطة
واسـبـاب خـير كـلـهـا بـك لازب[1]
وانـك فـيض ذو سـجـال غـزيـرة
يـنـال الاعـادي نـفـعـهـا والاقـارب[2]

(١)لازب، لاصق.
(٢) الفيض : الجواد ـ والسجال : العطايا ـ واحدها سجل ، واصل السجل : الدلو المملوءة ، ثم يستعار للعطية .

جعفر بن ابي طالب والنجاشي

كان رئيس المهاجرين في الهجرة الثانية الى الحبشة، الهاشمي الشجاع ، جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه) وذلك بتوجيه من الرسول الأعظم والقائد الحكيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كي لا تتفرق كلمة المسلمين ويعمل كل واحد منهم برأيه .

وحفاظاً على جمع كلمة المسلمين كانت رئاسة جعفر لهم وهم في بلاد الغربة .

واذا تأملنا ملياً وأمعنا النظر في رئاسة جعفر ، نجد روعة هذه الخطة الحكيمة ، التي جعلت من وسط المسلمين ، غيوراً على مصالحهم ، وقائداً يكافح عنهم ويدافع كيد الاعداء بحسن تصرفه وتدبيره ، ويسعى لتلافي النقصان واصلاح الامور بعقل وروية حتى يصل بهم الى ذروة السعادة والأمان .

من هنا نرى أن موقف جعفر بن ابي طالب مع النجاشي (ملك الحبشة) ، بعد أن أوغر صدره عمرو بن العاص ورفيقه بمكائدهما، من أروع المواقف .

فكان من حسن تصرف جعفر ورجاحة عقله ، أن دارت الدائرة على عمرو الداهية ، ورجع مع رفيقه خائبا مذموما مدحورا .

لنستمع الى التاريخ وهو يحدثنا عن موقف جعفر بن ابي طالب البطولي مع النجاشي ، كما جاء في حديث ام المؤمنين ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انها قالت :

« لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار ، النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه .

فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم ان يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين منهم ، جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ،وكان من اعجب ما يأتيه منها الأدم[١] ، فجمعوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ابي ربيعة ، وعمرو بن العاص وامروهما بامرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدِّما الى النجاشي هداياه ، ثم سلاه ان يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم .

قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته ، قبل أن يكلما النجاشي ، وقالا لكل بطريق منهم : انه قد ضوى[٢] الى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم ، ليردهم اليهم ، فاذا كلمنا الملك فيهم ، فاشيروا عليه

---

(١) الأدم : الجلود ، وهو اسم جمع .
(٢) ضوى : لجأ ، ولصق ، وأتى ليلا .

بـان يسلمهم الينا ولا يكلمهم ، فـان قومهم أعـلى بهم عينـاً[1]، واعلم مما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم .

ثم انهما قـدمًا هـداياهمـا الى النجاشي ، فقبلهـا منهما ، ثم كلمـاه فقالا لـه : ايها الملك ، أنـه قد ضـوى الى بلدك منا غلمـان سفهاء ، فـارقـوا دين قـومهم ، ولم يدخلوا في دينـك ، وجاؤ وا بـدين ابتدعـوه ، لا نعـرفـه نحن ولا أنت ، وقـد بعثنـا اليـك فيهم أشـراف قـومهم من آبـائهم واعمـامهم وعشـائـرهم ، لتـردهم اليهم ، فهم اعـلى بهم عينا ، واعلم بمـا عـابـوا عليهم ، وعاتبوهم فيه .

قـالت : ولم يكن شيء أبغض الى عبـد الله بن ابي ربيعـة وعمـروا بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي .

قالت : فقالت بطارقته حوله : صـدقا أيهـا الملك ، قومهم اعـلى بهم عينـاً ، وأعلم بما عـابـوا عليهم ، فـاسلمهم اليهـما فليـرداهم الى بـلادهم وقومهم .

قـالت : فغضب النجاشي ، ثم قـال : لاهـا الله . . . اذاً لا اسلمهم اليهـما ، ولا يُكَـادُ قـوم جـاوروني ، ونـزلـوا بـلادي ، واختـاروني عـلى من سـواي ، حتى ادعوهم ، فـأسألهم عـما يقول هـذان في امرهم ، فـان كانـوا كـما يقولان ، اسلمتهم اليهـما ، ورددتهم الى قومهم ، وان كـانوا عـلى غـير ذلك ، منعتهم منهما ، واحسنت جوارهم ما جاوروني .

قـالت : ثم أرسـل الى اصحـاب رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه)

---

(١) اعلى بهم عينا ـ ابصر بهم ، أي اعينهم وابصارهم فوق عين غيرهم .

فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل اذا جئتموه ؟ . . .

قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) كائناً في ذلك ما هو كائن . .

فلما جاؤوا ، وقد دعا النجاشي اساقفته[1]، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين احد من هذه الملل ؟ ! .

قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه) فقال له : أيها الملك ، كنا قوما اهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف . . فكنا على ذلك ، حتى بعث الله الينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وامانته ، وعفافه . فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث، واداء الامانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، واكل مال اليتيم، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام . .

قالت : فعدد عليه امور الاسلام . . فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا . واحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ،

(١) الاساقفة : علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم ، واحدهم اسقف.

وفتنونا عن ديننا ، ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا ، وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك ايها الملك .

قالت: فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

قالت : فقال له جعفر : نعم .

فقال له النجاشي : فاقرأه علي .

قالت : فقرأ عليه صدراً من : « كهيعص » .

قالت : فبكى والله النجاشي ، حتى اخضلت[1] لحيته ، وبكت أساقفته ، حتى اخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال لهم النجاشي : ان هذا . . . والذي جاء به عيسى[2] ليخرج من مشكاة[3] واحدة .

انطلقا . . فلا والله لا أسلمهم اليكما ، ولا يكادون[4] .

---

(١) اخضلت لحيته ، ابتلت .

(٢) وفي رواية ـ موسى .

(٣) المشكاة : الكوة غير النافذة ، وقيل هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل ، اراد النجاشي ان القرآن والانجيل كلام الله تعالى ، وانهما من شيء واحد . والله العالم .

(٤) في الاصل : كاد .

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً بما استأصل به خضراءهم[1].

قالت : فقال له عبد الله بن ابي ربيعة : وكان أتقى[2] الرجلين فينا ـ لا نفعل ، فان لهم أرحاماً ، وان كانوا خالفونا .

قال عمرو : والله لأخبِرَنّه أنهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد .

قالت : ثم غدا عليه من الغد . فقال له : أيها الملك ، انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيما ، فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه .

قالت : فارسل اليهم ليسألهم عنه .

قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . .

فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم اذا سألكم عنه ؟ .

قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن .

قالت : فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟

قالت : فقال جعفر بن ابي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

(١) خضراءهم : شجرتهم التي منها تفرعوا .

(٢) في الاصل : ابقى .

يقول : هو عبد الله ورسوله وروحه ، وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول .

قالت : فضرب النجاشي بيده الى الأرض ، فاخذ منها عوداً ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت ـ هذا العود[1] .

قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال :

فقال : وان نخرتم والله . . . اذهبوا فانتم شيوم بارضي ـ والشيوم[2] الآمنون ـ من سبَّكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم . ما احب الي ان لي ديراً من ذهب واني آذيت رجلا منكم[3] ، ردُّوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ،

فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين ردَّ علي ملكي ، فآخذ الرشوة فيه . وما اطاع الناس في فاطيعهم فيه .

قالت (ام سلمة) :فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، واقمنا عنده بخيردار مع خيرجار .

قالت : فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه .

---

(١) اي مقدار هذا العود ـ يريد أن قولك لم يعد عيسى بن مريم بمقدار هذا العود .

(٢) قيل : يحتمل ان تكون هذه اللفظة (ثيو) لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل ان يكون لها اصل في العربية ، وأن تكون من شمت السيف ـ أي اغمدته ـ لأن الآمن مغمد عنه السيف ـ أو لأنه مصون في حرز كالسيف في غمده .

(٣) ويقول ابن هشام : ويقال : دبراً من ذهب ويقال: فانتم سيوم ـ، والدبر، بلسان الحبشة، الجبل.

قالت : فوالله ما علمتُنَا حَزنًا حزناً قط كان اشد علينا من حزن حزناه عند ذلك ، تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه .

قالت : وسار اليه النجاشي وبينهما عرض النيل .

قالت : فقال اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟

قالت : فقال الزبيربن العوام : انا .

قالوا : فانت . وكان من احدث القوم سناً .

قالت : فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم . . ثم انطلق حتى حضرهم .

قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده .

قالت : فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع[1] بثوبه وهو يقول : الا ابشروا فقد ظفر[2] النجاشي ، واهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده .

قالت : فوالله ما علمتُنَا فرحنا فرحة قط مثلها .

---

(١) لمع بثوبه وألمع به ـ اذا رفعه ـ وحركه ليراه غيره فيجيء اليه .
(٢) في الاصل ، ظهر.

قـالت : ورجـع النجـاشي ، وقـد اهلك الله عـدوه ، ومكن لـه في بـلاده ، واستوسق[1] عليـه امر الحبشـة ، فكنـا عنـده في خـير منـزل ، حتى قدمنا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بمكة »[2] .

(١) استوسق تتابع ، واستقر ـ واجتمع .

(٢) السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ ج ١ ـ ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٢ .

اسلام عمر بن الخطاب
(رضي الله عنه)

لنقف هنيهة في منعطف التاريخ ، ونمعن النظر حول كيفية اسلام عمر بن الخطاب الذي كان قبل من اشد الناس عداوة للاسلام واذية للمسلمين .

ذكر المؤرخون باسهاب ما كان من امر عمر بن الخطاب واسلامه ، فاعطوا لاقلامهم العنان ومنحوه اوصافاً كثيرة تجعل منه شخصية مرموقة .

ويذكر اهل التاريخ أيضاً ان عمر كان شديداً ، حاد الطبع ، معروفاً بالقسوة والغلظة ، وكان يكره النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كرها شديدا ، وقد عمل جهده في التنكيل بالمسلمين ، حتى انهم قالوا أن اسلام عمر كان نصراً للمسلمين ، ورووا عن لسان النبي انه قال عندما دخل عليه عمر « اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب » وفي رواية ثانية عن أنس بن مالك من أن النبي قال قبيل اسلام عمر « اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب . . او بعمرو بن هشام » الى غير ذلك من الروايات والأحاديث .

روى ابن هشام في سيرته عن ام عبد الله بن عامر بنت ابي حثمة أنها قالت : والله انا لنترحل الى ارض الحبشة ، وقد ذهب عامر في

بعض حاجاته ، اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه ـ قالت : وكنا نلقى منه البلاء اذىً لنا وشدة علينا ـ .

قالت : فقال : انه للإنطلاق يا ام عبد الله ؟

قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في ارض الله ، آذيتمونا ، وقهرتمونا حتى يجعل الله مخرجا .

قالت : فقال : صحبكم الله . . ورأيت له رقة لم اكن اراها .

ثم انصرف ، وقد احزنه ـ فيما أرى ـ خروجنا .

قالت : فجاء عامر بحاجته تلك[1] فقلت له : يا ابا عبد الله ، لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا ! .

قال : اطمعت في اسلامه . . ؟ !

قالت : قلت : نعم .

قال : فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب .

قالت : يأساً منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الاسلام[2] .

وعن الشيخ الغزالي أنه قال في كتابه فقه السيرة : أما عمر بن الخطاب فكان من أول الفتانين ، المستهزئين بالاسلام ، وكان مع ذلك معروفا بحدة الطبع وقوة الشكيمة ، وطالما لقي المسلمون منه الوانا من الأذى .

---

(١) عامر بن ربيعة هو زوج ام عبد الله بنت ابي حثمة ، صاحبة الحديث .

(٢) السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ ج ١ ـ ص ٣٦٧ .

كيفية اسلام عمر بن الخطاب

ذكر ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق أنه قال : « كان اسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت واسلم بعلها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان باسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام ، رجل من قومه ، من بني عدي بن كعب قد أسلم ، وكان أيضاً يستخفي باسلامه فرقاً من قومه .

وكان خباب بن الارت[1] يختلف الى فاطمة بنت الخطاب ، يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورهطا من اصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من اربعين ما بين رجال ونساء . ومع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمه حمزة بن عبد المطلب ، وابو بكر بن ابي قحافة ، وعلي بن ابي طالب ، في رجال من المسلمين رضي

(١) خباب بن الارث، كان قينا يعمل السيوف في الجاهلية، ويكنى ابا عبد الله، وقيل ابا محمد. مات بالكوفة سنة ٣٩ بعدما شهد صفين مع علي بن ابي طالب (عليه السلام) وشهد النهروان، وقيل مات سنة ٣٧. وذكر ان عمر بن الخطاب سأله يوما عما لقي في ذات الله فكشف ظهره ـ فقال عمر ما رأيت كاليوم! فقال خباب : لقد أوقدت لي نار فما اطفأها الا شحمي .

الله عنهم ، ممن كان اقام مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى ارض الحبشة . . . فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر . . ؟

فقال : اريد محمداً هذا الصابىء ، الذي فرق امر قريش ، فسفه احلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فاقتله .

فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر . . أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض ، وقد قتلت محمداً !! أفلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

قال : واي اهل بيتي ؟ .

قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو واختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله اسلما وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما .

قال :فرجع عمر عامداً الى اخته وختنه ، وعندهما خباب بن الارث معه صحيفة ، فيها (طه) يقرئهما اياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب في مخدع[1] لهم ، أو في بعض البيت ، واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها . وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة[2] التي سمعت ؟

قالا له : ما سمعت شيئاً .

---

(١) البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير، وتضم ميمه وتفتح .

(٢) الهيمنة ، صوت كلام لا يفهم .

قال : بلا والله ، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت اليه اخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها . فلما فعل ذلك قالت له اخته وختنه : نعم قد اسلمنا آمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى[1] وقال لاخته : أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون انفاً انظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك : قالت له اخته : انا نخشاك عليها . . .

قال : لا تخافي ، وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها . فلما قال ذلك طمعت في اسلامه .

فقالت له : يا اخي ، انك نجس . . على شركك ، انه لا يمسها الا الطاهر .

فقام عمر فاغتسل ، فاعطته الصحيفة ، وفيها : (طه) فقرأها . . فلما قرأ منها صدراً قال : ما احسن هذا الكلام واكرمه ! .

فلما سمع ذلك خباب خرج اليه ، فقال له : يا عمر ، والله اني لارجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فاني سمعته امس وهو يقول : اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هاشم ـ أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر .

فقال له عند ذلك عمر : فدُلني يا خباب على محمد حتى آتيه

---

(١) ارعوى، رجع الى رشده.

فأسلم ، فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من اصحابه .

فاخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمع صوته ، قام رجل من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنظر من خلل الباب ، فرآه متوشحاً السيف ، فرجع الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهوفزع . .

فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له . . فان كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وان كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أئذن له . فاذن له الرجل ، ونهض اليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى لقيه في الحجرة ، فاخذ حجزته[١] ، أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه به جبذة[٢] شديدة وقال له : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ ! فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة[٣] .

فقال عمر : يا رسول الله ـ جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تكبيرة عرف

---

(١) الحجزة ، موضع شد الإزار .
(٢) جبذ ، جبذاً ، أي جذبه اليه .
(٣) القارعة ، الداهية .

اهـل البيت من اصحاب رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلـم) أن عمراً قد اسلم .

فتفرق اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكانهم وقـد عزوا[1] في انفسهم حين اسلم عمـر مـع اسـلام حمزة ، وعـرفـوا أنهما سيمنعـان رسـول الله(صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، وينتصفـون بهـما من عدوهم .[2] .

اقـول : هذه الـرواية تبـين لنا مـدى اهمية اسـلام عمر بن الخـطاب في نـظر الرواة واصحـاب السير من المسلمـين إذ جعلوا لهذه الـرواية ـ وغيـرها من المـرويات التي أوردوهـا في اسـلام عمـر ـ من المكـانـة والاهميـة الشيء الكثير .

واذا تـأملنـا نجـد ان هـذه الـروايـة تـظهـر لنـا بعض مـزايـا عمـر بن الخطاب قبل اسـلامه ، وكيف كـان شديـداً على المسلمـين حتى انه ضـرب اخته فاطمة بنت الخطاب فشجها وهي تدافع عن زوجها ـ سعيد ـ الذي ليس لـه من ذنب عنده سـوى أنه اسلم واتبـع دين محمـد (صـلى الله عليـه وآله وسلم) .

ويأخذني العجب أن الشيء الـوحيد الـذي يكاد يكـون متفقا عليـه أن عمـراً كـان بـطلا مهـابـا ، وان اسـلامـه كـان نقـطـة تحـول في تـاريـخ المسلمـين ـ فانقـذهـم من الـذلـة والهـوان . . الى العـزة والمنعـة . واصبـح المسلمون اعزاء لا يخشون عدواً ، وصاروا قوة مهابة الجانب .

---

(١)وفي رواية ، وقد عزّ ما في انفسهم .

(٢)السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

في حين اننا اذا امعنا النظر وتصفحنا كتب التاريخ نرى أن تاريخ عمر بن الخطاب قبل الاسلام وبعده وخلال حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وغزواته المتتابعة لا تشير الى عمر بشيء من البطولات او بموقف من مواقف التضحية قام بها في مصلحة الاسلام خاصة سوى الفتوحات الاسلامية التي فتحت في ايامه ـ وهذا شأن السلاطين الفاتحين .

وكل من له اطلاع على سير الماضين يجد حمزة بن عبد المطلب عم الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الذي اسلم قبل عمر بسنتين على اقل تقدير كان له من المواقف البطولية ، ما يجعل التاريخ فخوراً بامثاله ، وهو (الحمزة) من المعروفين بالنجدة ، والمشهورين بالشجاعة ، وكانت له اليد الطولى في التضحية في سبيل الاسلام .

ومن المسلم به كما ذكرنا سابقاً ، ان حمزة افتتح اسلامه بالثأر لكرامة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والذود عن رسالته المقدسة ، وذلك حينما تحدى قريشا وجبابرتها ، وانهال بالضرب على رأس الشرك ابي جهل ، غير مبال بطواغيت مكة وعتاتها ، وكان سيفاً من سيوف الله سلطه الله على اعدائه .

وجدير بكل مسلم له بصيرة أن يقول : بان اسلام حمزة كان نقطة تحول اعز الله بها جانب المسلمين .

ومع كل ما لحمزة من الفضائل ، لم نجد احداً من المؤ رخين أو الكتاب قد جعل لاسلام حمزة من الاهمية ما جعل لاسلام عمر . . لماذا ؟ ! . .

الفَصل

الثالث والعشرون

المقاطعة الاقتصادية والمعنوية لمحمد (صلى الله عليه وآله) واصحابه

لما أيقنت قريش أن مهما تنال به محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاذى ، وتوقع باصحابه من التنكيل والاضطهاد ، ومهما اشتدت مناوأتها لهم ، لن تحول دون اقبال الناس على دعوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والدخول في دين الله .

ولما كان كل ما بذلت قريش من جهود أو مكائد أو حيل ، لمحاربة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : الذي سفه احلامها ، وعاب دين آبائها واجدادها .

ولما عملت قريش جاهدة طيلة شهور واعوام للقضاء على الدعوة الإسلامة الجديدة واستعملت من سبل المكر وفنون الخدع فوق ما يتصوره العقل، فتارة تهدد محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم)ومن تابعه من اهله واعمامه . . وطوراً تتهكم به وبدعوته ، وتسخر منه وممن اتبعه . . وحيناً آخر تغري الشعراء لهجوه لينعتوه بانه ساحر . . ومجنون .

ولما نالته ايضاً بالاذى ، ونالت من اتبعه بالسوء والعذاب ، واخيراً سلكت معه سبيل الترغيب ، فعرضت عليه المال . . . وعرضت عليه الملك . . وعرضت عليه كل ما يطمع الناس به . ولم تر من محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم) تجاوباً او ليناً خاب أملها ، لقد فشلت مكائدها ، فمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يزده ذلك الا اعتصاماً بحبل الله ، والسير بقوة وعزيمة ، لنشر الدعوة الى التوحيد وعبادة الله سبحانه وتعالى والامتثال لاوامره ونواهيه .

لقد شردت قريش انصار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن اوطانهم ، واصابتهم في تجارتهم وارزاقهم ، واعلنت عليهم حربا شعواء فلم يزدهم الا تمسكاً بالدين الحنيف وذوداً عن رسول الله ، وعن دين الله .

لم يحل دون انتشار دعوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى التوحيد وعبادة الرحمن ونبذ عبادة الاصنام كل ما عملته جبابرة قريش وعتاتها من مكائد وأساليب ، ولكن على العكس، لقد ذاع امر النبي العظيم بين القبائل العربية ، مما جعل دين الاسلام القويم يفشو ذكره في شبه الجزيرة العربية ، بعد ان كان لا يتجاوز جدران مكة - وحدودها .

هذا ما جعل قريشا تزيد إمعاناً في التفكير والتدبير للوصول الى كيفية التخلص من محمد الرسول الكريم واصحابه الدائبين على نبذ عبادة الاصنام وتكفير اتباعها .

اخذت قريش تعقد المؤتمرات ، وتؤم الندوات ، ولم يعد يدور في نواديها من احاديث سوى شيء واحد ، هو كيف تقف دون انتشار دعوة محمد بن عبد الله بين قبائل العرب ؟ . . وهي تعلم كل العلم أن هذه القبائل لا غنى لمكة عنها . . ولا غنى لها عن مكة ، وخصوصاً في

التجارة المتصلة التي تصدر عن ام القرى . . وترد اليها .

وبعد تداول طويل ، واخذ ورد بين زعماء قريش ، لم يجدوا امامهم سوى انتهاج سبيل واحد هو - سياسة التجويع والمقاطعة ، لعل هذه السياسة تفت في عضد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتكون اكثر اثراً من سياسة الاذى والتعنت ، واظهار القوة والبأس .

كانت قريش ترجو من خلال سياسة - التجويع والمقاطعة - أن تصل أو تنال من محمد العظيم بعض ما ترجو من اعتزال قومه اياه ، لأن الجوع والحرمان لا يطاقان . عندها يعود محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحيدا ، ولا يبقى له ولا لدعوته من خطر .

إئتمرت قريش فيما بينها ، واتفقت على كتابة صحيفة ، وكتبوا كتاباً يحتوي على ما اتفقوا عليه . وتعاقدوا ودونوا شروطهم في هذا الكتاب (الصحيفة) وهي مقاطعة بني هاشم وبني المطلب على الأخص مقاطعة تامة . فلا ينكحوا اليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم الى آخره . وعلقوا هذه الصحيفة - أو هذا العقد - في جوف الكعبة توكيدا لها وتسجيلا .

وكان اكبر ظنهم أن هذه السياسة السلبية هي الدواء الناجع .

الصحيفة

يروي لنا التاريخ في صفحاته عظمة مسيرة محمد الرسول الكريم في دعوته المقدسة ، وجهود قريش بما بذلته لمحاربته . خصوصاً بعد أن وجد المسلمون لهم في الحبشة مستقراً أميناً .

لم تُبق قريش الظالمة سلاحا من اسلحة النضال الا وحاربت به محمداً واصحابه كما اسلفنا . ومع ذلك ظلّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يشتد في اظهار دعوته ، ويدعو الناس بالحسنى الى الحق الذي بعثه الله به هاديا . . . ومبشراً . . . ونذيراً .

وأخيراً لجأت قريش الى آخر سهم في جعبتها لحرب محمد العظيم وانصاره . فرأت أن تحاربهم بالمقاطعة . والحرمان من كافة انواع الحياة الاجتماعية والاقتصادية . وذلك بان تحاصرهم وتميتهم جوعا ان استطاعت الى ذلك سبيلا .

وخيِّل لقريش ايضاً ـ أن هذه الحرب الاقتصادية والاجتماعية ـ تستطيع بواسطتها أن تكسب الموقف وتكون هي الرابحة ، فتستبقي لأصنامها مكانتها السامية . فكانت الاتفاقية وكتابة الصحيفة الظالمة الفاجرة .

جاء في البداية والنهاية عن الزهري قوله : أن المشركين اشتدوا على

المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علانية .

فلما رأى ابو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شعبهم ، وأمرهم ان يمنعوه ممن أرادوا قتله .

فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واجمعوا على ذلك ، اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم ، ان لا يجالسوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يدخلوا بيوتهم ، حتى يسلموا رسول الله (صلى الله عليه وآله) للقتل .

وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق ، لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً ابدا ولا يأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموه للقتل . فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة ، ولا بيعاً الا بادروهم اليه فاشتروه ، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فكان ابو طالب اذا اخذ الناس مضاجعهم ، أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من اراد به مكراً واغتيالاً له . فاذا نام الناس ، أمر احد بنيه أو اخوته او بني عمه ، فاضطجعوا على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمر

رسـول الله (صـلى الله عليــه وآلـه وسلم) أن يـأتي بعض فـرشهم فينـام عليه[1] .

وعن ابن هشـام في باب خبـر الصحيفة أن مشـركي قريش ، اجتمعـوا وائتمـروا بينهم ان يكتبـوا كتـابـا يتعـاقـدون فيـه عـلى بني هــاشم ، وبني المـطلب ، على ان لا ينكحـوا اليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعـوهم شيئـاً ولا يبتـاعـوا منهم ، فلما اجتمعـوا لـذلـك كتبـوه في صحيفـة ، ثم تعـاهــدوا وتواثقوا عـلى ذلك ، ثم علقـوا الصحيفة في جـوف الكعبة تـوكيدا عـلى أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة[2] .

فـدعـا عليـه رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فشُـلَّ بعض اصابعه فلما فعلت ذلـك قريش ، انحـازت بنو هـاشم وبنو المـطلب الى ابي طـالب بن عبد المـطلب ، فدخلوا معـه في شعبـه واجتمعـوا اليـه ، وخـرج من بني هــاشم ، أبـو لهب ، عبـد العـزى بن عبـد المـطلب الى قـريش فـظاهـرهم[3]وعن ابن هشـام ايضـاً « لمــا اجتمعت عـلى ذلــك قـريش ، وصنعوا فيه الذي صنعوا قال ابو طـالب شعراً في قـريش حين تـظاهـروا على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :

ألا ابلغــا عني عــلى ذات بـينـنــا   لؤ يــا وخصــا من لؤ ي بني كعب
ألم تعلمــوا أنـا وجـدنـا محـمـدا   نبيــا كمـوسى خط في اول الكتب

الى قوله :

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير، ج ٣، ص ٨٤ .
(٢) ويقال النضر بن الحارث ، ويقال طلحة بن أبي طلحة العبدوي كاتب الصحيفة .
(٣) سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب[١]
وتستجلبوا حربا عواناً وربما أمرٌّ على من ذاقه جلب الحرب[٢]
فلسنا ورب البيت نسلم احمداً لعزَّاء من غض الزمان ولا كرب[٣]

الى قوله :

أليس ابونا هاشم شد أزره ؟ ! واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب
ولكننا اهل الحفائظ والنهى اذا طار ارواح الكماة من الرعب[٤].

---

(١) الأواصر : اسباب القرابة ، والمودة .
(٢) الحرب العوان التي قُوتل فيها مراراً .
(٣) العزاء الشدة ، والكرب الضيق .
(٤) الكمي : جمع كماة ، الشجاع ، أولابس السلاح . والرعب ، - بالفتح - الوعيد .

قصة ابي البختري مع ابي جهل

اقـام المسلمون في شعب ابي طـالب مدة عـامين او ثـلاثـا عـلى ارجـح الأقوال ، لاقوا بها من الجوع والحرمان ما يعجز عنه البيان .

تقـول بعض المرويـات أنهم بلغوا من الجهـد الشديـد حتى كان يسمـع اصـوات صبيـانهم يتضـاغـون جـوعـاً من وراء الشعب . لكن المسلمـين كـانوا يستمـدون من ايمانهم قـوة ، ومن عقيدتهم عـزيمة وصـلابـة جعلتهم المثل السامي للاجيال المتتالية ، وقدوة صالحة لمن اقتدى .

جـاء في البدايـة والنهايـة عن ابن اسحاق أنـه قـال : « فـاقـامـوا عـلى ذلـك (رسول الله واصحـابـه) سنتـين او ثـلاثـا ، حتى جهـدوا ولم يصـل اليهم شيء الا سـراً مستخفيـا بـه من اراد صلتهم من قـريش ، وقـد كـان ابـو جهـل بن هشـام ـ فيـما يـذكـرون ـ لقي حكيم بن حزام بن خـويلد بن اسـد ، معه غـلام يحمل قمحـاً يريـد به عمتـه خـديجـة بنت خـويلد ، وهي عنـد رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) في الشعب ، فتعلق بـه وقـال : أتـذهب بـالـطعـام الى بني هـاشم ؟ . . والله لا تـذهب انت وطعامك حتى افضحـك بمكة . فجـاءه ابو البختـري بن هشام بن اسـد . فقال : مالك . . وله ؟ .

فقال : يحمل الطعام الى بني هاشم . !

فقال له ابو البختري : طعام كان لعمته عنده ، بعثت به اليه . اتمنعه أن يأتيها بطعامها؟! خل سبيل الرجل . . .

قال : فابى ابو جهل لعنه الله حتى نال احدهما من صاحبه. فاخذ ابو البختري لحى بعير فضربه ، فشجه ، ووطأه وطءاً شديدا ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه فيشمتون بهم . ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك يدعو قومه ليلا ونهاراً، وسراً وجهاراً ، منادياً بامر الله تعالى لا يتقي فيه احداً من الناس[1] .

وفي شرح النهج عن امالي ابي جعفر محمد بن حبيب أن ابا طالب (عليه السلام) كان اذا رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) احياناً يبكي ويقول : اذا رأيته ـ أي محمد ـ ذكرت اخي ، وكان عبد الله اخاه لامه وابيه . واضاف الى ذلك أنه كثيراً ما كان يخاف عليه البيات . فكان يقيمه ليلاً من منامه ، ويضجع ابنه عليا مكانه . فقال له علي (عليه السلام) : يا أبت اني مقتول لا محالة . . فقال له ابو طالب :

اصبرن يا بني فالصبر احجى — كل حي مصيره لشعوب[2]
قد امرنا بالصبر وهو شديد — لفداء الحبيب وابن الحبيب

---

(١) البداية والنهاية . لابن كثير ـ ج ٣ ، ص ٨٣ .
(٢) شعوب بفتح الشين : علم للمنية ، اي كل حي مصيره للموت ، وشعوب اسم غير منصرف .

ان تصبـك المنـون فـالنبـل تبـرى ومـصيـب منهـا وغـيـر مـصيـب

فاجابه علي (عليه السلام) :

اتـأمـرني بـالصبـر في نصـر احمـد ووالله مـا قلت الذي قلت جـازعـا
ولكنني احببت أن تـرى نـصـرتي وتـعـلـم أني لم ازل لـك طـائـعـا
سـأسعى لوجـه الله في نصـر احمـد نبي الهدى المحمود طفلا ويافعا[1]

---

(١) شرح النهج، ج ٣، ص ٣١٠.

نقض الصحيفة

لما رأى بعض القرشيين من سادات مكة أن المسلمين لم تزدهم سياسة المقاطعة والتجويع ، الا تمسكا بالاسلام وثباتا على الحق ، وتضحية في سبيل الرسول الاعظم بكل غال ورخيص ، وما اصاب بني هاشم وبني المطلب، وهم السادة الاجلاء في قريش، بسبب المقاطعة الجائرة التي فُرضت عليهم ، وما عانوه من الضيق والحرمان حتى أن الغذاء لا يحصلون عليه الا سراً وبشق الانفس ، واصبح من الواضح ان المقاطعة هي ظلم واستبداد ، وان الحرب الاقتصادية التي طُبقت على المسلمين كانت جائرة ، تلاوم هذا البعض من اصحاب الضمائر الحية ، وتداولوا فيما بينهم على العمل في سبيل انقاذ المسلمين من الهلاك جوعا ، وعلى الاخص بني هاشم وبني المطلب . فقام من هؤلاء البعض ، رجال اصحاب نخوة ، وحمية وغيرة عربية ، لنقض الصحيفة كما يحدثنا التاريخ .

جاء في تاريخ ابن الاثير أنه « قام في نقض الصحيفة نفر من قريش ، وكان احسنهم بلاء فيه هشام بن عمرو بن الحرث بن عمرو ابن لؤي وهو ابن اخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه . وكان يأتي بالبعير قد اوقره طعاما ليلاً ، ويتسقبل به الشعب ، ويخلع خطامه فيدخل الشعب .

فلما رأى هشام ـ المسلمين ـ وما هم فيه وطول المدة عليهم ، مشى الى زهير بن أبي امية بن المغيرة المخزومي أخي ام سلمة ، وكان شديد الغيرة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين ، وكانت امه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال : يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء واخوالك حيث قد علمت ؟ أما أني احلف بالله لو كانوا اخوال ابي الحكم ـ يعني ابا جهل ـ ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه ما اجابك ابداً .

فقال : فماذا أصنع ؟ وانما انا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لنقضتها .

فقال : قد وجدت رجلا .

قال : ومن هو ؟

قال : أنا . . قال زهير : ابغنا ثالثاً .

فذهب الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : أرضيت أن يهلك بطنان[1] من بني عبد مناف وانت شاهد ذلك موافق فيه ؟ أما والله لئن امكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم اسرع ، قال : ما أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : قد وجدت ثانياً .

قال : من هو ؟

قال : أنا

(١) البطنان هما بنو هاشم وبنو المطلب.

قال : ابغنا ثالثا .

قال : قد فعلت .

قال : من هو ؟

قال : زهير بن أبي أمية .

قال : ابغنا رابعاً ؟ فذهب الى ابي البختري بن هشام ، وقال له : نحواً مما قال للمطعم .

قال : وهل من احد يعين على هذا ؟

قال : نعم .

قال : من هو ؟

قال : انا . . . وزهير . . والمطعم . .

قال : ابغنا خامساً ذهب الى زمعة بن الأسود بن المطلب بن اسد ، فكلمه وذكر له قرابتهم .

قال : وهل على هذا الأمر معين؟

قال : نعم ، وسمى له القوم ، فاتعدوا خطم الحجون الذي باعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك فتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة ، فقال زهير أنا أبدؤكم ، فلما اصبحوا ، غدوا الى أنديتهم وغدا زهير فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال : يا اهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنوه هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل : كذبت والله لا تشق .

قال زمعة بن الاسود : أنت والله اكذب ما رضينا بها حين كتبت .

قال ابو البختري : صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها .
قال المطعم بن عدي : صدقتما وكذب من قال غيرذلك .
وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

قال أبو جهل : هذا أمر قضي بليل . وابو طالب في ناحية المسجد ، فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها إلا ما كان باسمك اللهمَّ كانت تفتتح بها كتبها[1] وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده .

وقيل : وكان سبب خروجهم من الشعب أن الصحيفة لما كتبت وعلقت بالكعبة اعتزل الناس بني هاشم وبني المطلب ، واقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبو طالب ومن معهما بالشعب ثلاث سنين . فارسل الله الارضة واكلت ما فيها من ظلم ، وقطيعة رحم ، وتركت ما فيها من اسماء الله تعالى ، فجاء جبريل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاعلمه بذلك .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه ابي طالب ، وكان ابو طالب لا يشك في قوله ، فخرج من الشعب الى الحرم فاجتمع الملأ من قريش وقال : ان ابن أخي اخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الارضة فاكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله تعالى . فاحضروها فان كان صادقاً علمتم انكم ظالمون لنا وقاطعون لارحامنا . وان كان كاذباً علمنا أنكم على حق وأنا على باطل .

فقاموا سراعاً وأحضروها فوجدوا الأمر كما قال رسول الله (صلى

---

(١) هكذا ورد في الأصل .

الله عليه وآله وسلم) .

وقويت نفس ابي طالب واشتد صوته وقال : قد تبين لكم أنكم اولى بالظلم والقطيعة . فنكسوا رؤوسهم ثم قالوا : انما تأتوننا بالسحر والبهتان . وقام أولئك النفر في نقضها كما ذكرنا .

وقال ابو طالب في امر الصحيفة واكل الارضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم ابياتاً منها :

وقد كان في امر الصحيفة عبرة　　متى ما يُخبَّر غائب القوم يعجب
محا الله منهم كفرهم وعقوقهم　　وما نقموا من ناطق الحق معرب
فاصبح ما قالوا من الامر باطلا　　ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب[١]

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٢، ص ٦١، ٦٢ .

قصة ابن ام مكتوم

عاد محمد واصحابه من الشعب بعد نقض الصحيفة ، ولكنه لم يستكن الى راحة بل جعل يذيع دعوته في مكة . وقف جاهداً يدعو الناس الى عبادة الله الواحد الأحد ونبذ عبادة الأوثان .

كانت رسالته السماوية المقدسة رسالة عقلية روحية ، اساسها الدعوة الى الحق والخير .

كانت رسالته دعوة مجردة في بدئها وفي غايتها ، دعوة بعيدة عن كل خصومة من الخصومات السياسية التي كانت سائدة في المجتمع المكي .

اخذ (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو النّاس من دون تفرقة او تمييز كان يدعو الفقراء . . . والاغنياء ـ الرؤساء . . والمرؤسين ـ الاقارب . . والاباعد ـ الاصدقاء . . والاعداء ـ الاحرار . . . والعبيد . فالكل بالدين سواء يجمعهم الايمان بالله ، والتصديق برسوله ﴿ **لا فرق لعربي على عجمي الا بالتقوى** ﴾ فالتقي عنده هو المقدم والمكرم ﴿ **إن اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾ .

ولما كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شديد الحرص على هدي قومه لينقذهم من رجس الوثنية ، اخذ يجتمع بهم على اختلاف ميولهم وطبقاتهم يرغبهم في دين الله ويحذرهم من عذاب يوم

الحساب ، ويتلو عليهم من آيات الترغيب والترهيب لعلها تزيل عن قولبهم اقفالها .

وتقول المرويات أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بينما كان مجتمعا مع عتبة بن ابي ربيعة ، وابي جهل بن هشام ، والعباس بن عبد المطلب ، وغيرهم من زعماء قريش، يحدثهم طمعا في اسلامهم ، جاءه عبد الله ابن ام مكتوم فقال له : اقرئني وعلمني مما علمك الله ، والح في الطلب فبان الضيق في وجه الرسول لأن ابن ام مكتوم اراد ان يقطع كلامه ويشغله عن هؤلاء النفر الذين طمع في اسلامهم . فعاتبه الله سبحانه لانشغاله بزعماء قريش اصحاب الجاه وان طمع في اسلامهم ، واعراضه عن ابن ام مكتوم الفقير الأعمى .

بقوله تعالى : ﴿ **عبس وتولى ـ أن جاءه الأعمى ـ وما يدريك لعله يزَّكى ـ أو يذكر فتنفعه الذكرى ـ اما من استغنى ـ فانت له تصدى ـ وما عليك ألا يزَّكى ـ واما من جاءك يسعى ـ وهو يخشى ـ فانت عنه تلهَّى** ﴾[1] .

جاء في مجمع البيان أنه « نزلت الآيات في عبد الله بن ام مكتوم[2] وذلك أنه اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يناجي عتبة ابن ربيعة ، وابا جهل بن هشام ، والعباس بن عبد المطلب وابياً وأمية ابني خلف يدعوهم الى الله ويرجو اسلامهم فقال : يا رسول

---

(١) سورة عبس ، آية ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) عبد الله بن ام مكتوم : وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي .

الله اقرئني وعلمني مما علمك الله . فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره . حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقطعه كلامه . وقال في نفسه : يقول هؤلاء الصناديد : انما اتباعه العميان والعبيد . فاعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم . فنزلت الآيات .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك يكرمه ، واذا رآه قال : مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ، ويقول له : هل لك من حاجة ؟ . واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين .

وقال أنس بن مالك : فرأيته يوم القادسية وعليه درع ، ومعه راية سوداء[1] .

أقول : ذكر اكثر الرواة واصحاب التفاسير ان الآيات الكريمة من سورة ﴿ عبس وتولى ﴾ نزلت في حق عبد الله ابن ام مكتوم . ولكن ظاهر الآيات لا تدل دلالة واضحة على ان المراد بها هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه . لأن الله سبحانه وتعالى قد وصف رسوله محمد بقوله : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ وهذه الآية واقعة في سورة ﴿ ن ﴾ التي نزلت بعد سورة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ أي اول البعثة النبوية . فكيف يعقل أن يعظم الله سبحانه وتعالى خُلُق النبي في أول بعثته . ويطلق القول في ذلك ؟! ثم يعود فيعاتبه على بعض ما ظهر من اعماله الخُلُقية . ويذمه بمثل التصدي للاغنياء وان كفروا . والتلهي عن الفقراء وان آمنوا واسترشدوا .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي .

وقد امر الله سبحانه محمداً كما في سورة الشعراء بقوله : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ .

وذكر الطبرسي في تفسيره عن المرتضى علم الهدى (قدس الله روحه) أنه قال : « ليس في ظاهر الآية دلالة على توجهها الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه ، وفيها ما يدل على أن المعني بها غيره ، لأن العبوس ليس من صفات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الأعداء المباينين ، فضلاً عن المؤمنين المسترشدين . ثم الوصف بانه يتصدى للاغنياء ، ويتلهى عن الفقراء لا يشبه اخلاقه الكريمة . ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ وقوله : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ فالظاهر أن قوله ﴿ عبس وتولى ﴾ المراد به غيره .

وقد روي عن الصادق (عليه السلام) انها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فجاء ابن ام مكتوم ، فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس ، واعرض بوجهه عنه ، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه .

فان قيل : فلو صح الخبر الأول هل يكون العبوس ذنباً أم لا ؟ فالجواب : ان العبوس والانبساط مع الاعمى سواء اذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنباً ، فيجوز أن يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ليأخذه باوفر محاسن الاخلاق ، وينبهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد ويعرفه أن تأليف المؤمن ليقيم

على ايمانه اولى من تأليف المشرك طمعاً في ايمانه[١] .

وقيل : ان ما فعله الأعمى ـ ابن ام مكتوم كان نوعاً من سوء الأدب ، فحسن تأديبه بالاعراض عنه . الا أنه كان يجوز أن يتوهم أن النبي اعرض عنه لفقره ، واقبل عليهم لرياستهم ، تعظيماً لهم ، فعاتبه الله سبحانه على ذلك .

وروي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) اذا رأى عبد الله ابن ام مكتوم قال : مرحباً . . مرحبا ، لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً ، وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يفعل به .

ومعنى قوله : حتى أنه كان يكف الى آخره . المعنى أنه كان يكف عن الحضور عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكثرة صنيع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) به انفعالاً منه وخجلا[٢] .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي .
(٢) الميزان في تفسير القرآن ، للطباطبائي .

الفصل

الرابع والعشرون

ابو طالب عم الرسول الاعظم

تمضي الأيام والسنون ، وتتوالى الاعوام والقرون ، وشخصية ابي طالب (رضي الله عنه) عم الرسول الأعظم ، وحاميه وكفيله موضع اهتمام الكتاب والمؤرخين ، والباحثين والمحققين على اختلاف نحلهم ، وميولهم ، ومذاهبهم وغاياتهم ، يجدون في شخصيته الفذة المادة الخصبة التي تستحق الدراسة والايضاح ، ويلتمسون فيها ما يجلو اسرار عظمة هذا الرجل ، الذي تمثلت فيه الانسانية بما فيها من مزايا حميدة ، وشمائل عربية اصيلة ، ونخوة وحمية ، وصدق وعزيمة . وتتجلى لنا هذه الصفات في الدفاع عن الرسول الأعظم والتضحية ، باكمل معانيها ، في سبيل الحق واعلاء شأن الاسلام .

فمن هو ابو طالب . . . ؟

هو عبد مناف ، شيخ البطحاء ـ بن عبد المطلب ، شيبة الحمد ـ بن هاشم ، عمرو العلى ـ بن عبد مناف ، زعيم قريش ورئيسها المطاع .

ابو طالب هو الشخصية القوية الفذة ، التي تزعمت قريش والمجتمع المكي ، بغير تسلط بالباطل ، او ظلم وجور ، بل بالحكمة والعقل والرأي السديد .

أبو طالب الذي قال في حقه المؤرخون ، أنه تولى الزعامة في قريش برجاحة عقله وحسن تصرفه والتفاف بني هاشم حوله ، وهم أسود مكة واشجع فتيانها ، وعلى الأخص ، اسد الله واسد رسوله الحمزة بن عبد المطلب .

ابو طالب هو الشخصية القوية التي عارضت المشركين ، وكبحت جماحهم حينما أرادوا إيذاء النبي والاساءة اليه .

ابو طالب هو الذي غضب عندما علم أن احد المشركين ألقى الفرث والدم على النبي (صلى الله عليه وآله) ، قام ابو طالب واشتمل على السيف ومعه غلامه حتى اتى الكعبة ، وزعماء قريش وطغاتها مجتمعون جالسون الى جانبها ، فلما رأوه احسوا بالشر ، فقال لهم : والله لئن قام أحد منكم جللته بسيفي ، وأمر غلامه ان يلطخ بالفرث والدم ثيابهم ووجوههم واحدا واحدا .

ابو طالب هو الذي ، حينما غاب محمد برهة وجيزة عن عينه ولم يجده، وظن أن قريشاً قد اغتالته، جمع بني هاشم وقال لهم: ليأخذ كل واحد منكم حديدة حادة . وجعل على رأس كل رجل من زعماء قريش رجلا من بني هاشم ، حتى اذا لم يجد النبي قتلهم باجمعهم . وحينما جاء البشير يخبره بان محمداً بخير وعافية ، قال لبني هاشم : ارفعوا أيديكم واكشفوا عما خبأتموه . فقال له زعماء قريش : اوكنت فاعلا ذلك ؟ ! قال لهم : اي والله ـ ان لم اجده .

ابو طالب هو الذي جاءه زعماء قريش وقالوا له : إن ابن أخيك محمد سب الاصنام ـ آلهتهم ـ وتبرأ مما يعبدون . . لم يجدوا جوابا ، بل

عـرفـوا منـه الحمـايـة لمحمـد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، بكـل معنى الحماية والرعاية والتضحية .

ابو طالب ، هـو الذي كـان من حرصـه على سـلامة محمد، يقدم عـلى اعظم تضحية . . يضحي بـاعز اولاده وهـو علي ، لينـام النبي على فـراش علي ، وينـام عـليّ على فـراش النبي ، حتى اذا تسلل احـد من المشـركـين لقتـل النبي محمد ، فيكـون فداءه . وهكـذا كـان يكـرر هـذا العمـل مـع احـد اولاده في كل ليلة ، ليلة يضـع عقيـلا ، وليلة يضـع جفعـرا ، مكـان مبيت محمد في ليالي الحصـار في الشعب ، حفظاً عـلى سلامتـه . الى غير مـا ذكـرنا من مـواقف ابي طـالب المشهـورة التي لا تعـد ولا تحصى ، في سبيـل سلامة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونشر رسالته .

لمحة عن وفاة ابي طالب (رضي الله عنه)

نقف هنيهة في منعطف تاريخي هام، واحداث جسام كان لها الأثر العظيم في حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).

فيا اذن الزمان الواعية . .

ويا عين الدهر الباصرة . . .

ويا ذاكرة الايام الحافظة. . . اذكري لنا كيف كانت حالة الرسول الأعظم عندما اتاه نبأ وفاة عمه ابي طالب . ؟

ان القلم يقف عاجزا عن وصف ما اصاب النبي من لوعة . . ومرارة ، اذ اهتزت لهذه الفاجعة الاليمة نفسه الطاهرة وتضعضعت اسىً وحزنا .

روي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما طرق سمعه النبأ المؤلم . بوفاة عمه وكفيله وناصره والمدافع عنه وحاميه في السراء والضراء، زعيم قريش، توجه نحو دار عمه ابي طالب وقد اظلمت الدنيا في عينيه .

توجه نحو دار عمه ابي طالب، الذي كان له الأب العطوف حين فقد اباه ، وعضداً وناصراً حين احتاج الى الناصر والمعين .

توجه (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو الدار التي ربته صغيراً وكفلته يتيماً .

توجه (صلى الله عليه وآلـه) نحو الـدار التي شهدت مـلاعب طفولتـه وانسه ولهوه .

تـوجـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) نحـو الـدار التي تعهـده اهلهـا بعطف الأب ، وحنان الأم ، حتى نسي مرارة اليتم .

تـوجه (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) نحـو الـدار التي كـان يجـد فيهـا الراحة والأنس ، والرعاية والاطمنان .

تـوجه (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) نحو الـدار التي دفـع عنـه اهلهـا الأذى وحاربوا قريشا لاجله ولاجل دعوته .

تـوجـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) نحـو دار عمــه ابي طـالب التي كـانت له الحصن الحصـين ، ليلقي نظرة الـوداع عـلى جثمـان أعـز الغـاس عليه واقربهم اليه الذي آثره على نفسه وأولاده .

تقـول الروايـات أن رسول الله عنـدمـا وصـل الى دار عمـه أبي طـالب بكى وفـاضت عيناه بـالدمـوع ، ووقف عليـه ثم قـال : رحمـك الله يـا عم ربيتَ صغيـرا ، وكفلتَ يتيـما ، ونصـرتَ كبيـرا ، فجـزاك الله عني وعن الاسـلام خـير جـزاء العـاملين المجـاهـدين في سبيله بـامـوالهم وانفسهم ، وكل ما يملكون . ثم بكى وابكى كل من كان حاضراً .

ذكـر اليعقوبي في تـاريخه انـه : « لما قيـل لرسـول الله ان ابا طـالب قـد مات ، عظم ذلـك في قلبه واشتـد له جـزعه . ثم دخـل عليه فمسـح جبينه الايمن اربـع مـرات ، وجبينـه الأيسـر ثـلاث مـرات . ثم قـال : ـ يـا عم ربيتَ صغيرا ، وكفلتَ يتيما ، ونصرتَ كبيرا ، فجزاك الله عني خيرا ـ .

ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم وجزيت خيرا .[1].

توفي ابو طالب (رضي الله عنه) في العام العاشر من مبعث الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عمر ناهز الست والثمانين سنة ـ وقيل تسعون سنة .

توفي ابو طالب في نفس العام الذي خرج فيه مع ابن اخيه الرسول والمؤمنين من الشعب بعد حصار دام ثلاثة اعوام ، اشرف هو ومن معه من الرجال والنساء والاطفال على الموت جوعاً .

وكان عام وفاة ابي طالب من اشد الأعوام التي مرت على الرسول الأعظم منذ أن بعثه الله سبحانه نبياً ومبشراً لعباده ونذيراً حتى اطلق على ذلك العام ، ـ عام الحزن ـ .

توفي ابو طالب بعد أن كفل الرسول احسن كفالة وتعهده باحسن تعهد، وكان له المحامي ، والمدافع ، والنصير .

توفي ابو طالب بعد ان اوصى بنيه ، وذويه بالالتفاف حول النبي محمد والدفاع عنه ، والتضحية في سبيل نصرته بالنفس والنفيس .

توفي ابو طالب بعد ان اطمأنت نفسه الكريمة بأن الله بالغ امره ، وأن الإسلام لا بد وأن يسير مسير الشمس في الآفاق ، في حين أن الدعوة للإسلام لم تكن تجاوزت اسوار مكة ، رغم معارضة المشركين ومحاربة جبابرة قريش وطواغيتها للرسول الأعظم .

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ، ص٢٨ .

وتقـول المـرويـات ايضـاً ان ابـا طـالب تـوفي بعـد خـروج بني هـاشم وبني المطلب من الشعب بثمانية وعشرين يـوماً والى مـوته اشـار صاحب الهمزية بقوله :

وقضى عمــه ابــو طــالب والــد   هــر فــيــه الســراء والــضــراء

الذكريات

يحدثنا التاريخ أن الرسول الأعظم بكى على عمه ابي طالب . . . واذهله المصاب الفادح والفاجعة الأليمة بفقد العم والكفيل .

بكى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على عمه الذي كان له حميً يقيه من أذى خصومه وأعدائه .

أي أثر تركت هذه الفاجعة المؤلمة في نفس الرسول الزكية . . وأي اسىً ولوعة ، وحزن وهم أصابه ؟

إن هذه المصيبة الأليمة لجديرة بأن تترك اقوى النفوس كليمة مضعضعه ، يدس اليها اليأس سموم الضعف ، ويدفع اليها الأسى والحزن من لواذع الهم المبرح ما يجعل أقوى واعظم كيان ينهار أمامها .

ولكن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان المثل الكامل ، والنبي الصابر والطود الأشم لا تزعزعه العواصف . بل تتكسر الصعوبات على صخرة ايمانه العظيم . . . اليس محمد بشراً ورسولا . .

كأني به (صلى الله عليه وآله) راجعاً من تشييع جنازة عمه ابي طالب وقد ضاقت الدنيا من حوله واظلمت في عينيه لفقد النصير والحامي والكفيل وهو في اشد الحاجة الى امثاله ، وكيف لا وقد اشتدت عليه قريش وكالت له الأذى وكثرت مساءاتها .

اجـل ، لقـد اذهله المصـاب الفـادح ، ولحق العم الكـريم بـاجـداده الطيبين الطاهرين بعـد أن أدى واجبه في هـذه الدنيـا وترك اطيب الأثـر . . وأسنى الذكريات .

رجـع رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) بادي الحـزن متحامـلا على نفسه بعد ان وارى تحت الثرى ابا طالب . . . فلا لقاء معه في هذه الدنيا .

رجـع الى داره ومـا تقـوى قـدمـاه عـلى حمله ، وصـل الى البيت فـرآه مظلماً موحشا قد اقفر من أهله الذين كانوا اعزة كراما .

جلس (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) حـزينـاً كئيبـاً لا يجـد الى العزاء سبيلا ، وطافت به الذكـريات ، ومـرت في مخيلته ذكـريات حلوة حملتـه الى الماضي القريب حيث كان لم يزل طفلا صغيرا . .

تذكر (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) عندمـا احتضر جـده العظيم عبـد المـطلب وجمـع أولاده وأوصـاهم بحفيـده محمـد خيـرا ، ثم التفت الى ابي طـالب وقال لـه : إني اتوسم فيـك الخير والعـطف عـلى محمـد فكن لـه ابـاً وكفيلا .

ثم تـذكر عمـه ابا طـالب عندمـا كان قـد أزمع الـرحيـل الى الشـام في تجـارته المعهـودة ـ رحلة الشتاء والصيف ـ فتقـدم منه وتعلق بـه قائـلا : الى من تكلني يـا عم . . . ؟ وليس لي اب ولا أم الجـأ اليـهـما ، فـما كـان جـواب العم العطوف إلا أن قـال له والـدمـوع تتقـاطـر من عينيـه : يـا بن أخي لا والله لا أَكِلُك الى أحـد غيري ابـداً . ثم جذبـه اليه واعتنقـه وضمـه الى صدره يقبله ويشمه ، وأردفه خلفه . . . وأقسم أن لا يفارقه أبداً .

تـذكر حـين سـار الـركب حتى تـوارت معـالم مكـة خلف الجبـال ، واستقبل الراحلون طريق الشمال ، كيما يبلغوا سوق الشام في ابانها . وكان محمد سعيـداً جـداً بهـذه الـرحلة فقضى معـظم الـطريق وهـو غـارق يتـأمـل الصحـراء وعظمـة الكون ، ومـا يتكبده الضـاربون في احشـاء البيداء ذات الرمال المتحجرة ، والسهول الموحشة وقفرها المرهوب .

وبينـما محمـد سعيـد بـرحلتـه التي شـاهـد بهـا أمكنـة لم يكن يعـرفهـا ووجوها غريبة لم يكن رآها .

وتذكر حينما وصل الركب مشارف الشام ، توقف للاستراحة قرب دير هناك . ولم ينس محمد كيف وقف عمه مع راهب ذلك الدير وخاضا في حديث طـويـل . وكيف استـولى الـذعـر والفـزع عـلى ابي طـالب عنـدمـا أخبـره الـراهب ان الخـطر محدق بحيـاة محمـد من اليهـود المتـربصـين . . الـذين يريدون قتله .

تذكر عمـه وقد فضـل العودة بـابن اخيه سـالماً الى مكـة ولم يأسف عـلى الخسـارة التي ستلحق به . بـل آثر العـودة الى مكـة تـاركـاً كـل مغنم تجـره عليه تلك الرحلة التجارية الى الشام . . واكتفى بسلامة محمد . . .

تـذكر عمـه الذي كـان يحبه حبـا شـديـدا ولا يفـارقـه ابـدا ، ويخصـه بالطعـام ، ويؤثره عـلى اولاده ، حتى أن بنيه كـانوا اذا ارادوا أن يتغـدوا أو يتعشوا قال لهم : كما أنتم حتى يحضر ابني .

وقـد كان لمحمـد من حنان فـاطمـة بنت اسـد[1] زوجـة ابي طـالب مـا

---

(١) فـاطمة بنت اسـد سيـدة جليلة حـافـظة عـلى رسـول الله (صـلى الله عليـه و وآلـه =

يفوق حد الوصف .

تذكر (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم كان شاباً تتجلى فيه شمائل الفتى الهاشمي العربي وقد اراد الزواج من خديجة . فاخذه عمه ابو طالب يحف به عمومته وذهب يسعى نحو دار خديجة بنت خويلد سيدة نساء مكة مالا وشرفا . .

تذكر (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف وقف ابو طالب خطيباً ، وبعد أن القى خطبة الزواج التي افتتحها ببلاغته المعروفة حيث قال : « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم . . الى آخره » واختتمها بكلمة تحمل اسمى المعاني وهي قوله : « ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وان كان في المال قل فان المال ظل زائل ، وامر حائل ، وعارية مسترجعة . وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل . الى آخره » .

= وسلم) حفاظ الصدر على جنانه والطرف على انسانه ـ كانت تؤثره على أولادها وترعاه وتحنو عليه اكثر من حنو الوالدة على رضيعها . لما توفيت فاطمة زوجة ابي طالب كفنها رسول الله في قميصه ، وصلى عليها ، وكبر عليها سبعين تكبيرة ، ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها ، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان ، وجثا في قبرها فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على احد ؟ فقال : يا عمر إن هذه المرأة كانت بمنزلة امي التي ولدتني، ثم قال: انه لم يكن احد بعد ابي طالب أبرَّ بي منها ، انما ألبستها قميصي لتكتسي من حلل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها الحساب .

تـذكر (صـلى الله عليه آلـه) مواقف عمـه ابي طالب مـع المشركـين ، وتـزاحمت الذكـريات تنقله في لحـظات من موقف الى آخـر ، وكأنها شـريط يتلو بعضها بعضا .

تـذكر(صـلى الله عليه وآلـه وسلم)كيف وقف عمه يـدافع عن الحق ويؤآزر ابن اخيـه الرسـول ولم يبال لمقـاطعة قـريش وعداوة جبـابرتهـا . ولم تهن لـه عزيمـة أو يساوره قلق أو ضعف ، حتى بعـد كتـابـة الصحيفـة وبعـد حصار الشعب .

تـذكر (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) يوم كـان في الشعب محصورا مـع بني هـاشم وبني المطلب وكيف كـان يقوم عمـه ابو طـالب على حـراستـه في الليـل والنهـار وكيف كـان يحرسـه بنفسـه في الليـل مخـافـة أن يتسلل احـد المشـركين الى الشعب ويغتـاله ، ولم يكتفِ بهـذا ، بل وزع بني هـاشم عـلى منافذ الشعب وحصَّن بهم حدوده حرصاً على سلامته وحياته .

تـذكـر (صـلى الله عليـه وآلــه وسلم) كيف كـان عمــه يضجعـه في فـراشه لكي يـراه الناس وهـو على فـراش النوم فـاذا جنَّ الليـل وذهب كـل فــرد الى فـراشــه وآوى الى مضجعـه ، وهــدأ الشعب في سكـون الليــل والناس نيام ، أقبـل عمه الـذي لم يعرف الكـرى الى جفنيه سبيـلا ، وكيف كـان ينحني عليـه يقبله ، ثم يـأخـذه بيـده الى فـراش آخـر ويضجـع احــد أولاده في مكـانه حتى اذا حـدث شر تكـون السلامـة له . . وهـذا لعمـري منتهى التضحية والفداء .

تـذكر (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) يوم جـاء الى عمه ذات يـوم وهو ملطخ بـالفرث والـدم ، قام ابـو طالب واشتمـل على السيف ومعـه غلامـه

حتى أتى الكعبة ـ وطواغيت قريش وجبابرتها جلوس ـ فلما رأوه أحسوا بالشر ونظروه مرتسماً بين عينيه ـ فبادرهم قائلاً : والله لئن قام احد منكم ظللته بسيفي هذا . . ثم امر غلامه أن يلطخ بالفرث والدم وجوههم وثيابهم جميعا .

وتزاحمت الذكريات . . ذكريات ايام قضاها في رعاية عمه الذي رباه صغيراً، ونصره كبيرا ، وضرب المثل الأعلى في التضحية والاخلاص، والوفاء، والنصرة، والرعاية، خلال اربعين سنة أوتزيد .

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول دائماً ويردد: والله ما نالت مني قريش شيئاً اكرهه ولم تشتد وطأتها علي الا بعد موت ابي طالب .

لمحة عن اسلام ابي طالب (رضي الله عنه)

لقد تحامل بعض المؤرخين واصحاب السير على ابي طالب (رضي الله عنه) ونالوا من كرامته ما لم ينالوا من أحد . ولا اظن ان شخصية اسلامية لحقها من ظلم المؤرخين ما لحق شخصية ابي طالب . فقالوا عنه بانه لم يمت على دين الاسلام بل مات كافرا ولم يلامس الاسلام قلبه .

لقد ترك اهل الأهواء والأغراض لاقلامهم العنان ، ودونوا ما أوحت اليهم غاياتهم ، فجاؤوا بمرويات بعيدة كل البعد عن الحقيقة والواقع ، منها : ان ابا طالب عندما كان في مرضه الذي توفي فيه أبى الانصياع الى الرسول الأعظم ولم يقل كلمة الحق (اشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ولم يظهر الاسلام . وانه في ضحضاح من نار ـ كبرت كلمة تخرج من افواههم .

ومنها : عندما قال له الرسول : يا عم . . قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة (يعني الشهادة) فقال له ابو طالب : يا ابن اخي لولا مخافة السبة وان تظن قريش انما قلتها جزعاً من الموت لقلتها . . الى غير ذلك من الروايات المختلقة .

قبل الخوض في البحث والتدقيق والتمحيص لنلقي نظرة خاطفة

على هذه الافتراءات التي افتراها المؤرخون على شيخ بني هاشم وزعيم قريش، الذي آوى الرسول وحماه ، ودافع عنه دفاع الابطال في ساحات الوغى ، والذي قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه : «ما نالت مني قريش ما اكره الا بعد موت ابي طالب » .

والآن لنتأمل بامعان مجردين عن كل غاية وعاطفة ، بل نضع الواقع نصب أعيننا ونطرح على بساط البحث ما نسب الى هذا الشيخ الجليل العظيم من مفتريات .

أقول : اذا كان ابو طالب في ايام حياته جابه قريشاً تلك المجابهة العظيمة ووقف وقفته الشجاعة مدافعاً عن ابن اخيه دفاع المستميت . وهو الذي خاطب طواغيت قريش بقوله :

كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن ابنائنا والحلائل

أجل وقف وقفته الشهيرة حين جاءت قريش بزعمائها تطلب من شيخ الهاشميين أن يكف عنها محمد ؟

استدعى ابو طالب ابن اخيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له : ان قومك جاؤوا . . يطلبون مني أن تكف عن سب آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم فابق عليّ وعلى نفسك . فظن النبي أنه قد بدا لعمه فيه بداء ، وأنه خاذله ومسلمه ، وانه ضعف عن نصرته . .

قال رسول الله : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . .

ثم استعبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبكى ثم قام . فلما ولّى ناداه ابو طالب فقال له : اقبل يا ابن اخي ، فاقبل عليه رسول الله . . فقال : اذهب يا ابن اخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء ابدا .

ابو طالب هو الشخص الوحيد الذي حفظ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من طفولته ـ الى صباه ـ الى شبابه ـ الى كهولته ، وحافظ عليه حفاظ الصدر على جنانه والطرف على انسانه كما اسلفنا .

ابو طالب هو الذي قام بنصر النبي وحامى عنه ، وذب عنه ، وحاطه كبيراً ، وتحمل الأذى في سبيله من مشركي قريش، ومنعه منهم ، ولقي لاجله عناء عظيما ، وقاسى بلاءً شديدا ، وصبر على نصره والقيام بامره ، حتى أن قريشا لم تطمع في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت كاتمة عنه حتى توفي ابو طالب ، ولم يؤمر بالهجرة الا بعد وفاته .

ابو طالب الذي آثر سلامة ابن اخيه محمد على كل مغنم ، أو تجارة وذلك حين اخبره الرهبان في مشارق الشام أن علامة النبوة ظاهرة على محمد واليهود يتربصون لاغتياله قبل اظهار دعوته، فآثر الرجوع الى مكة بابن اخيه وحرصاً على سلامته .

ابو طالب هو الذي قال في خطبة زواج النبي من خديجة بنت خويلد : « ان ابن اخي هذا لا يوزن به رجل الا رجح شرفا وفضلا ونبلا . . الى أن قال وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل » .

ابو طالب هو الذي كان في حصار الشعب ساهراً على محمد ليلا

نهاراً ومن شدة محافظته عليه يضع أحد أولاده ، علياً أو غيره ، حين النوم مكان النبي ، ويضع النبي مكان احدهم حتى الصباح ، حتى لا يصل اليه مكروه، فاذا كان من مكروه أو اغتيال فهو يصل الى احد اولاده - واولاد الانسان اعز عليه من نفسه فجاد بهم درعاً واقياً لمحمد - والجو د بالنفس أقصى غاية الجود - . هذا هو ابو طالب .

تعالى معي ايها القاريء المنصف لنرى ، بعدما قدمنا لمحة موجزة عن بعض مواقف ابي طالب في حماية المسلمين ونصرة الرسول ، ونحكم بحكم العقل لا بحكم العواطف والغايات ، ونتأمل منصفين متسائلين . . .

ما الذي حمل ابا طالب على كل التضحيات العظيمة ، وتحمل المشقات من حصار، وحرمان ، وعداوات ، وبغضاء ، ومجابهات لقريش وغيرها من القبائل اذا لم يكن مسلما مؤ منا برسالة محمد .

واذا كان لا يؤمن برسالة محمد ما الذي حمله على الدفاع عنه وعنها . ؟ !

واذا كان لا يؤمن برسالة محمد ، فلماذا عرَّض نفسه واولاده وجميع ما يملك من حول وطول للخطر والهلاك في سبيل المحافظة على ابن اخيه الرسول ورسالته المقدسة النازلة من لدن عزيز حكيم .

ليت شعري ، لماذا لم يبال ابو طالب ، وهو في حياته وعزه وجاهه ، اوقع على الموت - ام الموت وقع عليه - ولم يكن يخشى صولة قريش او غيرها ؟ ولم يبال في سبيل الله أن يناله اي محذور أو مكروه في حياته الغالية الثمينة ، التي أرخصها وأرخص نفوس أولاده لاجل المحافظة

على محمد الرسول ونصرته كما أسلفنا .

ليت شعري : كيف يخشى ابو طالب ان يقال عنه بعد الموت أنه انما لم يقل كلمة الاسلام (التشهد)خوفا من الموت !؟ .

ليت شعري . . . أليس من طبيعة البشر والفطرة التي هو عليها » أنما يناضل الانسان أو يداهن أو يداري لاجل المعنويات الحياتية ، وكلنا يعلم ان المعنويات يحرص عليها المرء في حال حياته » واما بعد الموت فليس للانسان من مطلب أوهم الا النجاة من النار والفوز برضى الواحد القهار . وعلى هذا كيف يتقول المتحاملون على ابي طالب وينسبون اليه أنه قال لابن اخيه « يا ابن اخي لولا مخافة السبة . . . ـ الى آخره ـ » ولم يقل كلمة الاسلام ، خوفا من أن تظن قريش أنه انما قالها جزعاً من الموت . .

بعد ذكرنا لمحة موجزة عن بعض مواقف ابي طالب تنجلي لنا الحقيقة وهي ان ابا طالب كان مسلماً حقيقياً في افعاله واقواله ، ويتضح اسلامه بافعاله من مواقفه الجليلة ـ آوى ـ وكفل ، وحامى ، ودافع ، وآزر ، وناصر . . الى آخره .

واما اقواله فانها تؤكد لنا اسلامه الصحيح وتصديقه بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منها قوله :

ودعوتني وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا

وقوله :

نبي أتاه الوحي من عند ربه فمن قال لا يقرع بها سن نادم

امــين حبيــب في العبــاد مســوم ... بخــاتم رب قــاهــر في الخــواتم

وقوله :

ليعلم خيــار الـنــاس أن محمــداً ... وزيــر لمـوسى والمسيــح بن مـريم
اتــانــا بهــدي مثـل مــا أتيــا بــه ... فكــل بــامــر الله يهــدي ويعصم
وانـكـم تـتـلونــه في كـتــابـكــم ... بصدق حديث لا حديث مرجَّم(١)

وقوله :

ألم تعلمــوا أنــا وجــدنــا محمــدا ... رسولاً كموسى خط في أول الكتب

وقوله :

وظلم نبي جـاء يـدعــو الى الهـدى ... وأمرٌ اتى من عنـد ذي العـرش قيم

وقوله :

نصرت الـرسـول رسـول المليـك ... ببـيض تــلألأ كـلمـع البـروق
أذب وأحمــي رســول الآلــه ... حمــايــة حــام عــليــه شـفـيـق

وقوله :

والله لا أخــذل الـنـبــي ولا ... يـخـذلـه مـن بني ذو حـسـب
نـحـن وهــذا الـنـبي نـنـصــره ... نضــرب عنـه الاعــداء بـالشهب

وقوله يخاطب اخاه حمزة :

فصبراً ابـا يعـلى عـلى دين احمــد ... وكن مـظهـراً للدين وفقت صـابـرا
وحط من أتى بـالحق من عنـد ربــه ... بصـدق وعـزم لا تكن حمـز كـافـرا
فقــد ســرني اذ قلت انــك مؤمن ... فكن لــرسـول الله في الله نــاصـرا

وقوله :

---

(١) حديث مرجم : لا يوقف على حقيقته .

قل لمن كان من كنانة في العز واهل الندى واهل المعالي
قد اتاكم من المليك رسول فاقبلوه بصالح الاعمال
وانصروا أحمداً فان من الله رداء عليه غير مدال

وقوله :

فخير بني هاشم احمد رسول الآله على فترة[1]

وقوله : من قصيدته اللامية المشهورة التي يتضح منها اسلام ابي طالب ونلمح بين سطورها وكلماتها ايمانه .

ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وابيض عضب من تراث المقاول[2]
واحضرت عند البيت رهطي واخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل[3]

الى قوله :

---

(١) رسول الآله على فترة ـ اشار الى قوله تعالى : ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾ .

(٢) المقاول : الملوك ـ يريد بهم آباءه، وقوله : (وابيض عضب) يحتمل أن يريد به السيف الذي ورثه عن آبائه الملوك ـ ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكره ابو طالب من هبات الملوك لأبيه . فقد وهب ابن ذي يزن لعبد المطلب هبات جزيلة حين وفد عليه مع قريش يهنئو به بظفره بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعامين .

(٣) الوصائل : ثياب حمر فيها خطوط كان يكسى بها البيت .

كـذبـتم وبـيت الله نـتــرك مكــة ... ونــظعن الا أمـركم في بــلابـل[1]
كـذبتم وبيت الله نـبــزى محمــدا ... ولمــا نـطاعن دونــه ونـنــاضـــل[2]
ونـسلمــه حـتى نصــرع حــولــه ... ونـذهل عن ابنـائنـا والحـلائـل[3]
وينهض قوم في الحديد اليكم ... نهوض الروايا[4] تحت ذات الصلاصل
وانــا لعمــر الله ان جـد مــا أرى ... لتلتبسن اسيـافـنـا بـالامــاثـل
وابيض يستسقى الغمـام بـوجهــه ... ثمـال اليتامى عصمـة لـلارامـل
يـلوذ بــه الهــلاك من آل هــاشـم ... فهم عنــده في رحمــة وفــواضــل

الى قوله :

لعمري لقـد كلفت وجـدا بـاحمـد ... واخــوتـه دأب المحب المــواصــل
فـلا زال في الـدنيـا جمـالاً لاهلهـا ... وزينـا لمن والاه رب المشـاكــل[5]
فمن مـثله في الـنــاس أي مؤمــل ... اذا قـاسه الحكـام عنـد التفـاضـل
حليم رشيــد عـادل غـير طـائش ... يــوالي الهــا ليس عنــه بـغـافــل
لقــد علمــوا أن ابننــا لا مكــذب ... لـدينـا ولا يعنى بقــول الاباطــل
فــاصبــح فينـــا احمــد في أرومــة ... تُقصِّــر عنـه سـورة المتـطاول[6]

---

(١) والبلابل ـ وساوس الهموم ـ واحدها بلبال .

(٢) نبـزى محمداً : أي نُسلبـه ونغلب عليه . وروايـة اللســان يبـزى محمـد ـ أي يقهـر ويغلـب . ونناضل ـ نرامى بالسهام .

(٣) الحلائل ، الزوجات ـ واحدتها حليلة .

(٤) الـروايا : الابـل التي تحمل المـاء والاسقية ، واحـدتها راويـة . والصلاصـل : المزادات لها صلصلة بالماء .

(٥) المشاكل : العظيمات من الامور .

(٦) السورة : بضم السين : المنزلة ـ والسورة : بفتح السين ـ الشدة : والبطش .

حـدبت بنفسي دونـه وحميتـه ودافعت عنه بالـذرا والكلاكـل[1]
فـايـده رب الـعبـاد بـنـصـره وأظهـر ديناً حقـه غـير بـاطـل[2]

وقوله وهـو يخاطب النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ويشجعه عـلى اظهار دعوته :

ولا يمنعـك مـن حق تـقـوم بـه ايـد تصـول ولا سلق بـاصـوات
فـان كـفـك كفي ان بليت بهم ودون نفسـك نفسي في الملمـات

وقـوله في ابيـات يهجو بهـا قـريشـا حينـما عـذبت عثمـان بن مـظعـون الجمحي :

أم من تـذكـر اقـوام ذوي سفـه يغشون بالظلم من يدعو الى الدين
ألا تـرون ـ أذل الله جمـعـكـم انـا غضبنـا لعثمـان بن مـظعـون
ونمنـع الضيم من يبغي مضـامتنـا بكـل مـطرد بـالكف مسنـون
ومـرهفـات كـأن الملح خـالـطهـا يُشفى بهـا الداء من هـام المجانـين
حتى تـقـر رجـال لا حـلوم لهـا بعـد الصعـوبـة بـالاسمـاح واللين
أو تؤمنـوا بكتـاب منـزل عجب عـلى نبي كموسى او كـذي النـون
يـأتي بـامـر جلي غـيرذي عـوج كـما تـبـين في آيـات يـاسـين

---

(١) حدبت بنفسي : أي عطفت عليه ومنعت . والذرا : جمع ذروة، وهي أعلى ظهر البعير . والكلاكل : جمع كلكل ـ وهو عظم الصدر .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ، صفحة ٢٩١ .

بعض الروايات الواردة في حق ابي طالب

تقدم الكلام في ذكر نبذة من سيرة ابي طالب (رضي الله عنه) وما كان عليه من الاستماتة في سبيل نصرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والجهد العظيم الذي بذله للمحافظة عليه . وان ابا طالب ذلك الرجل المسلم الصحيح الذي يتراءى لنا اسلامه وايمانه بما نطق من شعره وبيانه كما مرَّ في بعض اشعاره .

والآن لا بد من ذكر بعض الروايات الواردة في حق ابي طالب ، وذلك تتياً للفائدة ، وحفظاً على الواقع ، وبعداً عن التعصب والانزلاق في الحقد والضغينة ، وتجنباً من مجاراة المؤرخين السابقين الذين انزلقوا وراء المطامع والشهوات ، فالتوت اقلامهم كما التوت ضمائرهم ، فراحوا يروجون البدع والاضاليل في حق ابي طالب ، وذلك في العصر الاموي والعصر العباسي ، ارضاءً للحكام اعداء علي بن ابي طالب (عليه السلام) مع العلم ان هذه الاراجيف والمرويات الموضوعة في عدم اسلام ابي طالب تغضب الله ورسوله واهل بيته الاطهار .

وجاء في شرح النهج : ان ابان بن محمود كتب الى الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) : « جعلت فداك ! إني قد شككت في اسلام ابي طالب ؟ » فكتب اليه : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما

تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين . . ﴾الآية[1] وبعدها انك ان لم تقر بايمان ابي طالب كان مصيرك الى النار .

وقد روي عن علي بن محمد الباقر (عليه السلام) أنه سُئل عما يقوله الناس : « ان ابا طالب في ضحضاح من نار » .

فقال : ـ لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في الكفة الاخرى . . لرجح ايمانه .

ثم قال : ألم تعلموا أن امير المؤمنين عليا (عليه السلام) كان يأمر أن يحج عن عبد الله وابيه . . وابي طالب في حياته ، ثم اوصى في وصيته بالحج عنهم .

وروي أن ابا بكر جاء بابي قحافة الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عام الفتح يقوده وهو شيخ أعمى ، فقال رسول الله : ألا تركت الشيخ حتى نأتيه ! فقال : أردت يا رسول الله أن يأجره الله . . أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً باسلام عمك ابي طالب مني باسلام أبي ، ألتمس بذلك قرة عينك . . فقال : صدقت .

وروي أن العباس بن عبد المطلب قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة : يا رسول الله ، ما ترجو لابي طالب ؟ فقال : أرجو له كل خير من الله عز وجل .

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « انا وكافل اليتيم

---

(١) سورة النساء ، آية ، ١١٥ .

كهاتين في الجنة » ـ وكافل اليتيم اراد به ابا طلب ـ[1] .

وفي الحديث المشهور : ان جبرائيل عليه السلام قال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة مات ابو طالب : « اخرج منها فقد مات ناصرك » .

لذلك نرى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يؤمر بالهجرة إلا بعد موت ابي طالب . وقول الأمين جبرائيل للنبي « اخرج منها فقد مات ناصرك » دليل واضح على اسلام ابي طالب وايمانه .

وفي رواية شرح النهج أن ابا طالب لما مات جاء علي (عليه السلام) الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فآذنه بموته ، فتوجع عظيما ، وحزن شديدا ، ثم قال له : امض فتول غسله ، فاذا رفعته على سريره فاعلمني . ففعل علي ذلك فاعترضه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو محمول على رؤوس الرجال .

فقال : وصلتك رحم يا عم ، وجزيت خيراً ! . . فلقد ربيت وكفلت صغيرا ! . . ونصرت وآزرت كبيرا . . ثم تبعه الى حفرته ، فوقف عليه ، فقال : أما والله لأستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان .[2]

اقول : ليت شعري ! اذا كان ابو طالب على زعم الدساسين والحاقدين المنحرفين مات كافرا فكيف يأمر النبي (صلى الله عليه وآله

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد، ج ١ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .
(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، ج ١ ، ص ٧٦ .

وسلم) الامام علي بغسله . . !

وكيف يرق رسول الله لكافر . . ؟ ويدعو له بخير . . ويعده بالاستغفار والشفاعة . ورسول الله لا يفعل الا ما يأمر به الاسلام .

وكيف يقول رسول الله لابي طالب . . (والله لاستغفرن لك ولأشفعن شفاعة يعجز لها الثقلان) وهو يعلم ان عمه ابا طالب مات كافراً ؟ ! . فكيف يشفع لكافر ؟ ! معاذ الله من قول المأجورين الحاقدين . . والحقيقة أن ابا طالب مات مسلماً مؤمناً بنبوة محمد .

وجاء في بعض المروايت ان علياً(عليه السلام)كان جالساً في الرحبة والناس من حوله ، فقام اليه رجل وقال : يا امير المؤمنين انك بالمكان الذي انزلك الله به ـ وابوك معذب في النار.

فقال له علي (عليه السلام) : مه فض الله فاك ، والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع ابي في كل مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله .

والذي بعث محمداً بالحق ان نور ابي طالب يوم القيامة ليطفئ انوار الخلائق الا خمسة انوار ـ نور محمد ، ونور فاطمة ، ونور الحسن والحسين ـ ونور الأئمة من ولده .

وجاء عن يونس بن نباتة أن الامام الصادق (عليه السلام) قال له : يا يونس ما يقول الناس في ابي طالب ؟

قلت : جعلت فداك انهم يقولون : « هو في ضحضاح من نار يغلي منها ام رأسه .

فقـال (عليـه السـلام) : كذب اعــداء الله ان ابـا طـالب من رفقـاء النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

وصية ابي طالب (رضي الله عنه)

روى الأميني في غديره عن الكلبي أنه قال : لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم فقال : يا معشر قريش ! انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه » ولا شرفا الا ادركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، وله به اليكم الوسيلة، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب .

واني أوصيكم بتعظيم هذه البنية (يعني الكعبة) فان فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة ، صلوا ارحامكم ولا تقطعوها ، فان صلة الرحم منسأة في الأجل ، وزيادة في العدد .

واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكة القرون قبلكم، اجيبوا الداعي ، واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات .

وعليكم بصدق الحديث، واداء الأمانة ، فان فيهما محبة في الخاص ، ومكرمة في العام .

وإني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بامر قَبِلَه الجنان . . .

وأيـم ا ـ كـاني أنـظر الى صعـاليـك العـرب واهـل الاطـراف والمستضعفـين من الناس قـد اجابـوا دعوتـه ، وصدقـوا كلمته ، وعـظمـوا أمره ، فخاض بهم غمـرات الموت ، وصـارت رؤ ساء قـريش وصناديـدها اذنابا ، ودورها خرابا ، وضعفاؤ هـا أربابـا ، واذا أعظمهم عليـه أحوجهم اليه ، وابعدهم منه احظاهم عنده ، قد محضتـه العرب ودادهـا ، واصفت له فؤادها ، واعطته قيادها .

دونكم يـا معشـر قـريش ا . . ابن ابيكم ، كـونـوا لـه ولاة ولحـزبـه حمـاة ، والله لا يسلك احـد سبيله إلا رشـد ، ولا يـأخـذ احـد بهـديـه الا سعـد ، ولو كـان لنفسي مدة ، وفي اجـلي تـأخـير ، لكففت عنـه الهـزاهـز ولدافعت عنه الدواهي [1] .

اخـرج ابن سعد في الـطبقـات الكبـرى : ان ابـا طـالب لما حضـرتـه الوفاة دعـا بني عبد المـطلب فقال : لن تـزالوا بخـيرٍ ما سمعتم من محمـد ، وما اتبعتم أمره ، فاتبعوه واعينوه ترشدوا .

وفي لفظ : يـا معشـر بني هـاشم أطيعـوا محمـدا وصـدقـوه تفلحـوا وترشدوا .

اقول : ان هذه الوصية الطافحة بالايمان والرشاد تدل دلالة واضحة على اسلام ابي طالب ، وان الايمان كان مستقراً في جنـانه من حين بعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ان صـاحب العقل السليم ، والتفكـير الصحيـح يستبعـد أن يكـون

---

(١) الغدير، للاميني ـج ٧، ص ٣٦٦ .

أبو طالب ، ذلك العاقل الرشيد، الذي يعلم حق العلم ان الرشاد في اتباع محمد والسعادة بهديه والهداية في اتباع أوامره . ثم يتركه هو ويزوَر عنه .

وخلاصة القول أن كل ما نسب الى ابي طالب من عدم اسلامه ، والاحاديث الواردة في كفره ، كلها من موضوعات العصر الاموي والعصر العباسي ، اعداء آل بيت الرسول ، ـ ثم جاء المتأخرون فبنوا عليها واخذوا بها ، ولم يتحققوا من صحتها ، وثقة راويها . مع العلم ان اصل الأحاديث الطاعنة في عقيدة ابي طالب الاسلامية ، كلها جاءت عن المغيرة بن شعبة واضرابه . والمتفق عليه أن المغيرة بن شعبة هو ذلك الفاسق الفاجر باتفاق المؤرخين الذي لا يتورع عن شيء فقد وضع كثيراً من الاحاديث ارضاء لسيده معاوية طمعاً في عطائه وتوليته .

ولا ذنب لابي طالب (رضي الله عنه) عند احد من الناس الا أنه والد الامام علي (عليه السلام) وجد الأئمة الاطهار .

واني اجد من الخير أن اختم حديثي عن عم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقول الشاعر :

ولولا ابو طالب وابنه ... لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى ... وهذا بيثرب جسَّ الحماما
تكفل عبد مناف[1] بامر ... واودى فكان علي تماما
فقل في ثبير[2] مضى بعدما ... قضى ما قضاه وابقى شماما

---

(١) عبد مناف هو اسم لابي طالب .

(٢) ثبير : جبل قرب مكة .

فـلله ذا فـاتحـاً لـلهـدى   ولله ذا لـلمـعـالي خـتـامـا
ومـا ضـر مجـد ابي طـالـب   جهـول لغـا أو بـصـير تعـامـى
كـما لا يضـر آيات الصـبـاح[1]   من ظن ضـوء النهـار الـظلامـا

---

(١) اياة الصبح : ضوءه ، واصله في الشمس .

وفاة ام المؤمنين خديجة

في عـام واحد وفي بـرهة وجيـزة ، ألمت حادثتـان عظيمتـان بـالنبي الكـريم (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) وهمـا مـوت عمـه ابي طـالب (رضي الله عنـه) ، المحامي والكفيـل ـ وموت زوجتـه المخلصة الـوفية خـديجة بنت خـويلد (رضي الله عنها) ، أول من آمن بـرسـالتـه ، وهي التي بـذلت في سبيله كل غـال ورخيص ، ووقفت بجانبـه مصـدقـة لـه تخفف عن آلامـه واحـزانـه ، وجـاهـدت معـه حتى الـرمق الأخـير من حياتها ، وكـانت له وزيـر صدق ، وسكنـاً ،وانسـاً ، ومـلاذاً في اصعب الحالات واشد الازمات ، في مكة . . وفي شعب ابي طالب .

اجـل بمالهـا الكثير سـاعدت المسلمـين مساعـدة عـظيمـة عـلى تحمـل المصـاعب والمتـاعب . وفي الحـديث : « قـام الـدين بسيف عـلي ومـال خديجة » وحينما حضرت خـديجة الوفاة ، دخل رسـول الله(صلى الله عليه وآلـه وسلم) عليها وهي تجـود بنفسها ، فـوقف ينظر اليهـا والألم يعصر قلبه الشريف ، ثم قال لها : بالكره مني ما أرى .

ولمـا تـوفيت خـديجـة (رضي الله عنها) جعلت فـاطمـة ابنتهـا تتعلق بـابيهـا الـرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) وهي تبكي وتقـول : أين أمي . . ؟ اين امي . . ؟ فنزل جبريل فقال للرسول (صلى الله عليه

واله) : قل لفاطمة ان الله بنى لامك بيتا في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب »[1].

تألم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشد الألم ولكنه رغم ما حل به من التأثر وما كان يعانيه من الحزن على عمه ابي طالب ـ لم ينس ان يقوم بما تمليه عليه سجاياه الكريمة من العطف والوفاء والاخلاص ، نحو الزوجة الوفية وهي تودع الدنيا .

جلس (صلى الله عليه وآله وسلم) الى جانبها يرعاها ، ويؤنس وحشة احتضارها ، ويودعها لفراق لا لقاء بعده في هذه الدنيا المليئة بالاحداث والشرور .

توفيت خديجة (رض) بعد وفاة ابي طالب بثلاثة ايام كما تقول بعض المرويات . ودفنت بالحجون ونزل (صلى الله عليه وآله وسلم) في حفرتها . وكان لها من العمر خمس وستون سنة .

رجع (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن غيب تحت الثرى اعز الناس عليه زوجته الصالحة خديجة ، ومن قبلها عمه ابي طالب . . .

رجع (صلى الله عليه وآله وسلم) محزونا . . مهموما ، حتى وصل

---

(١) المرأة في ظل الاسلام ، مريم نور الدين فضل الله .
وجاء في البداية والنهاية عن السهيلي : وانما بشرها ببيت في الجنة من قصب ـ يعني قصب اللؤلؤ ـ لأنها حازت قصب السبق الى الايمان . ـ لا صخب فيه ولا نصب ـ لأنها لم ترفع صوتها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم تتعبه يوماً من الدهر، فلم تصخب عليه يوما ولا آذته ابدا . راجع البداية والنهاية لابن كثير، ج ٣، ص ١٢١ .

الى بيتـه ، فتلفت حولـه ، واذا الدار من بعـد خـديجـة مـوحشـة خـلاء . . واذا مكة تنبوبه بعد رحيل الزوجة ـ والعم فليس له على ارضها مكان .

بلغت متـاعبـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) اقصى مـداهـا في هـذا العام الذي سماه ـ عام الحـزن ـ وخيل الى اعـدائه المشـركين ان الـظلمات تكاثفت حولـه فما عـاد يبـدو عـلى الافق شعـاع من ضيـاء بعـد مـوت ابي طـالب ـ المدافـع ـ والناصـر وخديجـة التي بذلت الامـوال والعطاء وادخلت السكينة على قلبه .

لقد كذبت المشركين امانيهم حين ظنـوا أن الظفـر به جـد قريب، ومـا دروا أن الأمـر سماوي . . وأن الله تعـالى مانـع رسولـه . . وان الظلمـات تبلغ ذروتها قبيل الفجر .

شخصية خديجة

ماتت خديجة (رض) ورجعت نفسها المطمئنة الى ربها راضية مرضية ، لكن شخصيتها بقيت ماثلة أمام الرسول العظيم ، لأنها كانت تملأ حياته فما يجد الى نسيانها من سبيل ، وسوف تفد على البيت النبوي الشريف زوجات كثيرات ، ولكن ، لن تستطيع اي واحدة منهن ان تزحزح خديجة عن مكانتها في نفس الرسول ولن تفلح في ابعاد ذكرياتها عنه .

روي عن عائشة انها قالت : ما غرت على احد من نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما غرت على خديجة ـ وما رأيتها ـ ولكن كان يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة فيقطعها اعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة الا خديجة ؟ ! فيقول : « انها كانت . . . وكانت . . . . وكان لي منها ولد » .

وروي عن عائشة ايضاً انها قالت : كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا ذكر خديجة ، أثنى عليها باحسن الثناء . قالت : فغرت يوماً فقلت : ما اكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها . قال : « ما ابدلني الله خيراً منها ، وقد آمنت بي اذ كفر بي الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وآستني بمالها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله

ولدها اذ حرمني اولاد النساء»[1] .

اقول: ستظل خديجة ام المؤمنين (رضي الله عنها) رمزاً حياً في سجل المرأة المسلمة الصالحة ، وستبقى على مر العصور القدوة الحسنة التي يجب على كل امرأة أن تتبع خطاها .

لقد وقفت السيدة خديجة ام المؤمنين حياتها للعطاء الكامل، الذي وهبته للرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بكل ارتياح وايمان . وشقت بعقيدتها الراسخة لبنات جنسها طريق الصواب، في وقت كانت الجاهلية العمياء لا تعي حقيقة وجود المرأة ، وقبل ان يتفتح العقل الانساني، ويتفهم معنى السعادة الحقيقية .

ومما لا ريب فيه ان السعادة الحقيقية لا يفوز بلذتها ، إلّا كل من يتمسك بايمانه وعقيدته ومباديء الاخلاق الفاضلة .

لقد اكتنفت السعادة حياة ام المؤمنين خديجة على رغم المصاعب والعقبات التي لاقتها ، فكانت تذللها بقلب مطمئن بالايمان ، حتى سجلها التاريخ باحرف من نور، بعد أن حل الاسلام في قلبها ، وهداها الباري سبحانه وتعالى الى طريق السعادة الأبدية .

وفي ختام المطاف لا بأس من ذكر شهادة الرسول الاعظم في حقها ، دلالة على عظمتها ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« كمل من الرجال كثير ـ وكمل من النساء اربع ـ آسية بنت

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير، ج ٣، ص ١٢٢ .
اقول : جميع كتب التاريخ والسير تذكر وفاء النبي لخديجة واحاديث عائشة عنها .

مـزاحم ـ ومريم بنت عمـران ـ وخديجـة بنت خويلد ـ وفـاطمة بنت محمـد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) » .

الفَصل

الخامس والعشرون

اسراء النبي (صلى الله عليه وآله) ومعراجه

قصة الاسراء والمعراج قصة ورد ذكرها في القرآن الكريم المنزل على الرسول الأمين كما في قوله تعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾[1] .

اختلف المؤرخون في زمن الاسراء والمعراج ، فعن ابن عساكر أن الاسراء كان في اوائل البعثة . ويستفاد من قول ابن عساكر أن الاسراء كان في حياة ابي طالب . وفي رواية : من شعب ابي طالب ، ومن بيت أم هاني ، وبيتها عند شعب ابي طالب .

جاء في تاريخ اليعقوبي قوله : في الليلة التي أُسري به (صلوات الله عليه وآله) افتقده ابو طالب ، فخاف أن تكون قريش قد اغتالته أو قتلته ، فجمع سبعين رجلا من بني عبد المطلب معهم الشفار ، وأمرهم أن يجلس كل رجل منهم الى جانب رجل من قريش، وقال لهم : ان رأيتموني ومحمداً معي فامسكوا حتى آتيكم ، وإلا فليقتل كل رجل منكم جليسه ، ولا تنظروني .

فوجدوه على باب أم هاني ، فاتى به بين يديه حتى وقف على

---

(١) سورة الاسراء ــ آية١ .

ريش، فعرَّفهم ما كان منه ، فاعظموا ذلك ، وجلَّ في صدورهم وعاهدوه ، وعاقدوه أنهم لا يؤذون رسول الله ، ولا يكون منهم اليه شيء يكرهه ابداً (١) .

وعن ابن اسحاق ان الاسراء والمعراج كانا بعد البعثة بنحو عشر سنين .

وعن الزهري انه اسري برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل خروجه الى المدينة بسنة . وقيل بستة عشر شهرا ، قبل الهجرة كما عن السدي .

وفي رواية السيرة الحلبية ، أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نام في بيت أم هانىء قالت : ففقدته من الليل ، فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش . فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه فوصل العباس الى ذي طوى، وجعل يصرخ . . يا محمد . . يا محمد ، فاجابه : لبيك . . لبيك . فقال : يا ابن اخي عنيت قومك ، فاين كنت ؟

قال : ذهبت الى بيت المقدس . .
قال : من ليلتك . . ؟ !
قال : نعم .
قال : هل أصابك إلا خير ؟ ! .
قال : ما اصابني إلا خير.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ، ص ٢١ .

ولعله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل عن البراق في ذلك المحل والله العالم .

أقول : يستفاد من اغلب الروايات ، ان الاسراء كان بعد وفاة ابي طالب لأنه توفي (رضي الله عنه) قبل الهجرة بحوالي ثلاثة اعوام على ارجح الاقوال .

واما اليوم الذي أسري به ، فقيل يوم الاثنين كما عن جابر وابن عباس، قالا : ولد (صلى الله عليه آله وسلم) عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بعثت ، وفيه عرج به الى السماء، وفيه هاجر، وفيه تُوفي .

وقيل ان الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من شهر رجب .

وقيل كان الاسراء اول ليلة جمعة من شهر رجب الى غير ذلك من الاخبار .

بحث في الاسراء . . والمعراج

مما لا شك فيه ان الاسراء والمعراج كانا في الجسد والروح معا ، وكانا في اليقظة لا في المنام ، وهذا قول جميع علماء المسلمين الثقات ، اذ أن احاديث الاسراء والمعراج مستقاة من القرآن الكريم ، الذي لا يتطرقه الشك ، ولا يرتاب فيه احد.

ومما يؤسف أن نجد فريقا من الناس لا يريد الا أن يتنكب الطريق المستقيم ويسير على غير هدى . لذلك نراه أتى باراء ونظريات مستتراً باسم العلم ومدعياً بان نظرياته علميه . . ومنطقية . . وفلسفية . وغاب عنهم أن نظرياتهم هذه لا تمت إلى الواقع بصلة ، بل سرعان ما يظهر العكس ، ويتبين انما اتخذوها مجناً يسترون تحتها نياتهم الخبيثة وعقائدهم الزائفة ، اذ زعم بعضهم أن الاسراء والمعراج عبارة عن مجرد رواية ، ومنهم من زعم انهما مجرد رؤ يا رآها الرسول في المنام ، ومنهم من زعم انهما كانا بالروح لا بالجسد ، الى غير ذلك .

واختلف ايضاً في الاسراء والمعراج ، هل كانا في ليلة واحدة ـ أو لا ؟ وهل كانا مرة واحدة أو مرات عديدة ؟

يقول شوقي :

يتساءلون وانت اطهر هيكل | بالروح ام بالهيكل الاسراء[1]
بهما سموت مطهرين كلاهما | نور، وريحانية ، وبهاء
فضل عليك لذي الجلال ومنة | والله يفعل ما يرى ويشاء
تغشى الغيوب من العوالم كلما | طويت سماء قلدتك سماء
الله هيأ من حظيرة قدسه | نزلاً لذاتك لم يجزه علاء
العرش تحتك سدة وقوائماً | ومناكب الروح الأمين وطاء
والرسل دون العرش لم يؤذن لهم | حاشا لغيرك موعد ولقاء

والصحيح أن الاسراء والمعراج، كانا حقيقة واضحة ، وقد ثبتا بالشرع بادلة تفوق الحصر، وكل من ينكر ذلك يكون قد تجنى على الله ورسوله حيث أن الآية الكريمة صريحة ﴿ **سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾.

وكل من زعم ان المعجزات يجب أن تكون خاضعة لنواميس العادة التي تحيط بها عقولهم القاصرة، وادراكهم القليل، غاب عن اذهانهم أن كل أمر اذا لم يكن خارقاً للعادة، لا يسمى معجزة .

لا أدري ماذا يقولون عما جاء به الانبياء والمرسلون من لدن آدم (عليه السلام) حتى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من خوارق العادات واظهار المعجزات ، كصيرورة النار برداً وسلاما كقوله تعالى: ﴿ **قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم** ﴾[2] وانقلاب العصا حيةً

---

(١) الهيكل : الجسم ، والصورة، والشخص.
(٢) الانبياء، آية، ٦٩.

بيـد موسى (عليـه السلام) تلقف مـا جاء بـه السحرة من سحـر عـظيم ، قـال تعـالى : ﴿ واوحينـا الى مـوسى أن ألق عصـاك فـاذا هي تلقف مـا يأفكون ﴾[1] وكقوله تعـالى : ﴿ فالقى عصـاه فاذا هي ثعبـان مبين ـ ونـزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ﴾[2] .

ومن جملة خـوارق العادات احيـاء الموتى ، وابـراء الاكمـه والابـرص . الى غـير ذلك بيـد عيسى (عليه السـلام) قال تعـالى : ﴿اذ قال الله يـا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليـك وعلى والـدتك اذ ايـدتك بـروح القدس تكلم النـاس في المهد وكهـلا واذعلمتك الكتـاب والحكمـة والتـوراة والانجيـل واذ تخلق من الـطين كهيئـة الـطير بـاذني فتنفخ فيهـا فتكـون طيـراً بـاذني وتبـرىء الاكمـه والابـرص بـاذني واذ تخـرج الموتى بـاذني واذ كففت بني اسـرائيل عنـك اذ جئتهم بـالبينـات فقـال الـذين كفـروا منهم ان هـذا الا سحر مبين ﴾[3] .

ومن خوارق العادات ان الرياح كـانت تسير بسليمـان (عليه السـلام) الى المـواقع البعيـدة في الاوقات القليلة قـال تعالى : ﴿فسخـرنـا لـه الـريـح تجري بامره رخاء حيث أصاب ـ والشياطين كل بناء وغواص﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ولسليمان الريح غدوهـا شهر ورواحهـا شهر واسلنـا لـه عين القـطر ومن الجن من يعمـل بـين يـديـه بـاذن ربـه ومن يـزغ منهم

---

(١) سورة الاعراف ، آية ، ١١٧ .
(٢) سورة الشعراء ، آية ٣٢ ، ٣٣ .
(٣) سورة المائدة ، آية ، ١١٠ .
(٤) سورة صّ ، آية ٣٦ ، ٣٧ .

عن امرنا نذقه من عذاب السعير ﴾[١] .

وعلاوة على تسخير الرياح والجن ، ! تعليمه منطق الطير، قال تعالى : ﴿ وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء انَّ هذا لهو الفضل المبين ﴾[٢] .

ومن خوارق العادات ايضاً، احضار عرش بلقيس، من أقصى اليمن الى بيت المقدس، في مقدار لمح البصر. قال تعالى : ﴿قال يا ايها الملؤا أيكم ياتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين ـ قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين ـ قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم ﴾[٣]الى غير ذلك من خوارق العادات والمعجزات التي كانت تحصل للانبياء والمرسلين التي يضيق المجال عن حصرها وعدها .

فالفريق الذي يدعي بان الاسراء والمعراج كانا بالروح لا بالجسد، أو مجرد رؤ يا ، أو كما ادعى البعض انهما مجرد رواية ، أو ـ أو . . وان الاسراء بالجسد والروح واليقظة لا بد لها من الخضوع لنواميس العادات البشرية، فماذا يصنع أو يقول في المعجزات وخوارق العادات التي ذكرناها ، التي حصلت للانبياء والمرسلين من قبل الله سبحانه وتعالى ؟ ! .

---

(١) سورة سبأ، اية ١٢ .

(٢) سورة النمل، آية ١٦ .

(٣) سورة النمل، آية ٤٠ .

فـان كان هـذا الفريق يسلم بمعجـزات الانبيـاء التي ذكـرنـاهـا ، ومـا حصـل لهم من خـوارق العــادات ، فـالاسـراء والمعـراج احق بـالتسليم ودليلنـا أيضاً أن امـين الوحي جبـرائيـل (عليـه السـلام) كـان ينـزل عـلى النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) في لحـظة واحــدة لابـلاغ رســالات ربـه ، فعـلى هـذا ، ان كـان القـول بمعـراج محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) في ليلة واحـدة ممتنعـاً في العقـول ، كـان القـول بنـزول جبـرائيـل (عليـه السـلام) من عنـد العـرش الى مكـة في اللحـظة الـواحـدة ممتنعـاً ايضاً . .

ولـو حكم بهذا الامتنـاع وصـدق بـه أو أُخـذ بـه . . كـان طعنـا بنبـوة جميع الانبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام) .

والحاصل ، أن القـول بثبوت الاسـراء والمعراج فـرع على تسليم جـواز اصـل النبوة . واصـل النبوة ثـابت لا ينكره الا ملحـد . . أو زنـديق . . او مكابر .

وامـا من قال : ان الاسـراء والمعراج كـان بالـروح لا بالجسـد مستنـداً في ذلـك الى روايـة نسبت لام المؤمنـين السيـدة عـائشـة « مـا فقـد جسـد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولكن الله اسرى بروحه »[1] .

اقـول : هذا الاسنـاد للسيدة عـائشة لا اسـاس لـه ، اذ لا يخفى عـلى الباحثين ان الاسراء والمعراج كـانا قبـل الهجرة الى المـدينة ، والنبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) تـزوج السيـدة عـائشـة بعـد الهجـرة ، كـما انـه لـو اخبـرها رسـول الله بذلك ، لقالت : أخبـرني رسـول الله ، ولكنهـا لم تقـل

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

ذلـك . فلا يحق لاحـد أن ينسب إلى السيدة عـائشـة ذلـك . والى اسـرائـه (صـلى الله عليه وآلـه) من المسجـد الحـرام الى المسجـد الاقصى وتحـديثـه قريشا بذلك اشار صاحب الهمزية بقوله :

حـظي المسجـد الحـرام بممشـا ه ولم يـنس حـظه ألـيـاء
ثـم وافى يحـدث النـاس شكـراً اذا أتـتـه مـن ربـه الـنـعـماء

خروج الرسول الاعظم الى الطائف يطلب النصرة

توالت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الهموم والأحزان في عام واحد، الذي سماه (عام الحزن)، هذا العام الذي فقد به زوجته الوفية (خديجة)، وعمه الحامي والكفيل شيخ البطحاء).

ضاقت الدنيا في عينيه (صلى الله عليه وآله)، وازدادت قريش له اذى وتعسفاً، حينما لم تعد تخشى صولة الزعيم الحامي ابي طالب الذي اختاره الله اليه .

على ان الرسول الأعظم لن يستسلم للحزن . . بل هو في سبيل نشر الرسالة التي اختاره الله سبحانه لها ليقوم باعبائها على ما فيها من مشاق . كما في قوله تعالى : ﴿ انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾[1] .

لم يرَ (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأً من اللجوء الى قبائل العرب واحياء الجزيرة ، لدعوتهم الى الاسلام ، وللاستعانة بهم على نشر الرسالة المقدسة .

---

(١) سورة المزمل، آية ٥ .
يقول السيد شبر في تفسيره : ﴿انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ هو القرآن الكريم لما فيه من التكاليف الشاقة سيما على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

تحدثنا كتب التاريخ والسير النبوية عن كيفية سعي الرسول الى القبائل وخروجه اليهم يطلب النصرة .

منها ما جاء في سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق : « لما هلك ابو طالب ، نالت قريش من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه ابي طالب، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل . فخرج اليهم وحده .

قال ابن اسحاق : لما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم ، وهم اخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير. وعند احدهم امرأة من قريش من بني جمح .

فجلس اليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدعاهم الى الله ، وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ؟ فقال له احدهم : هو يمرط[1] ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك ؟ وقال الآخر : اما وجد الله احداً يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا اكلمك ابداً . لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لانت اعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي ان اكلمك .

---

(١) يمرطه : اي ينزعه ويرمي به .

فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم ـ فيما ذكر لي ـ : اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني ، وكره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم[1] ذلك عليه . فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، والجئوه الى حائط[2] لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه . ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد الى ظل حبلة[3] من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان مالقي من سفهاء اهل الطائف .

فلما اطمأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : اللهم اليك اشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ،يا ارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين ، وانت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني[4] ؟ام الى عدو ملكته امري ؟ ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي اوسع لي. اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة الا بك .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً ، يقال له عَدَّاس فقالا له : خذ قطفا من هذا

---

(١) فيذئرهم عليه : يثيرهم عليه ويجرئهم .

(٢) حائط : البستان .

(٣) حبلة بفتح الباء : شجرة العنب، اوقضبانها .

(٤) يتجهمني ، اي يستقبلني بوجه كريه .

العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به الى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه .

ففعل عداس، ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال له : كل . . فلما وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه يده قال :.بسم الله، ثم اكل . فنظر عداس في وجهه ، ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ومن اهل اي البلاد انت يا عداس ـ وما دينك ؟

قال عداس : نصراني ، وانا رجل من اهل نينوى . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . . . فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ذاك أخي . . كان نبيا . . وانا نبي .

فاكب عداس على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبل رأسه ويديه وقدميه[1] .

قال : يقول ابنا ربيعة احدهما لصاحبه : اما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك يا عداس!؟ ما لك تقبل

---

(١) وفي رواية ان عداساً حين سمعه يذكر ابن متى قال: والله لقد خرجت منها ـ يعني نينوى ـ وما فيها عشرة يعرفون ما متى ـ فمن اين عرفت انت متى ؟ وانت أمي وفي امة امية ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاك اخي كان نبياً ـ وانا نبي .

رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟

قـال : يا سيـدي : ما في الارض شيء خـير من هـذا ، لقـد اخبـرني بامر ما يعلمه الا نبي .

قالا له : ويحـك يا عـداس، لا يصرفنـك عن دينك . فـان دينك خـير من دينه » . (١) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

الرسول الاعظم يدعو القبائل الى الاسلام

لما لم يلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من اهل مكة واهل الطائف ما يريد من الاستجابة لدعوته ، ولاقى منهم الأذى والاساءة وعدم الارعواء ، كل هذه الامور لم توهن عزيمته ، بل زادته مثابرة وعزيمة في سبيل نشر الرسالة السماوية التي اوكلها الله اليه ، فاخذ يعرض دعوته على القبائل كلها بدرت له بادرة أمل ، أو سنحت له فرصة .

ان نفس الرسول مطمئنة بان الله جل جلاله قد بعثه بالحق ، وأن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وقد اوحى اليه ان يجادل الناس ويدعوهم الى الايمان بالله ويصبر على اذاهم ان الله مع الصابرين .

لذلك فانه (صلوات الله عليه وآله) كان رغم اساءة سفهاء قريش ومن والاهم من القبائل يدعوهم بالحسنى ولا يتشدد عليهم ليكون دخولهم في الاسلام عن بينة واقتناع . ﴿**ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم**﴾[1] فكان يقابل الاساءة بالاحسان ، والاذى بالعفو، والجهل بالحلم .

ذكر ابن الاثير في تاريخه : « كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب ، فاتى كندة في

---

(١) سورة فصلت، آية ٣٤ .

منازلهم ، وفيهم سيد لهم يقال له مليح ، فدعاهم الى الله وعرض نفسه عليهم ، فابوا عليه . فاتى كلباً الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم الى الله وعرض نفسه عليهم ، فلم يقبلوا ما عرض عليهم ، ثم انه أتى بني حنيفة وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن احد من العرب اقبح رداً عليه منهم . ثم اتى بني عامر فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم : أرأيت ان نحن تابعناك فاظهرك الله على من خالفك ؟ . . . أيكون لنا الامر من بعدك ؟

قال : الأمر الى الله يضعه حيث يشاء .

قال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك فاذا ظهرت كان الأمر لغيرنا ؟ ! لا حاجة لنا بامرك .

فلما رجعت بنو عامر الى شيخ لهم كبير فاخبروه خبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونسبه ، فوضع يده على رأسه ثم قال : يا بني عامر هل من تلاف ؟ . . والذي نفسي بيده ما تقولها اسماعيلي قط[1] وانها لحق وأين كان رأيكم عنه .[2] .

---

(١) ما تقولها اسماعيلي قط: اي ما ادعى النبوة كاذباً احد من بني اسماعيل راجع شرح ابن الاثير.

(٢) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير ـ ج ٢ ، ص ٦٥ .

تباشير النصر

ازدادات قريش تضييقاً على النبي العظيم وعلى المسلمين الذين اتبعوه ، وآمنوا برسالته ، واكثرت الأذى والاساءة اليهم حتى ضاقوا بها ذرعا ، ولم يبق للرسول الأعظم طمع في نصرة القبائل له خصوصاً بعد أن رجع (صلى الله عليه وآله وسلم) من الطائف وردته ثقيف بشر جواب كما اسلفنا .

بعد أن ردته بعض القبائل التي دعاها الى التوحيد والاسلام ، وهم : كندة ، وكلب ، وبنو عامر ، وبنو حنيفة وغيرهم ، ولم تصغ هذه القبائل الى كلامه الشريف ، بل ازورّت بوجهها عنه وأعرضت بكل خشونة وجفاء .

لقد ارتاحت قريش لعدم استماع القبائل التي تجاور مكة ، والتي تجيء اليها من مختلف انحاء بلاد العرب حاجّة ، ولعدم اجابتها للرسول حيث يدعوها الى الاسلام فلم يلق منها اصغاء .

وكيف يتسنى للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يهدي الى الحق أو يدعو الى الاسلام ، وقد احاطته طواغيت قريش بعداوة تجعل كل نصير له عدواً لها تحاربه وتنزل به الأذى ان استطاعت ، وهذا ما جعل القبائل تصم آذانها عن دعوة الرسول وتزداد اعراضا عنه وازورارا .

تطاولت الأيام تتلو بعضها بعضا والرسول العظيم يزداد في بلده ـ مكة ـ وبين قومه ـ قريش ـ عزلة . وقريش تزداد عليه حقدا وعداوة ، وتعمل الفكر ، كيف السبيل للتخلص من هذا الذي سفه الاحلام وعاب الاصنام . . .

وهنا نقف متسائلين . . . هل ضعضعت عداوة قريش وحقدها من نفس الرسول همة . . ؟ وهل أوهنت له عزما . . ؟

كلا . . بل زادته إساءات قريش صموداً وعزيمة وثباتا .

وثابر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في ابلاغ رسالة ربه ، وظل صامدا ، واصحابه من حوله يحوطونه ويفدونه بالمهج والارواح . بل وقف اشد ما يكون في وجه قريش واحلافها ، ثقة منه بنصر الله له واعلاء دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

لم تزعزعه اعاصير الحقد التي هبت من حوله ولم يتطلع الى شيء غير النصر الذي لا ريب فيه . . فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا جاء موسم الحج واجتمع الناس من انحاء شبه الجزيرة بمكة ، بادى القبائل فدعاها الى التوحيد والحق الذي جاء به من عند الله ، غير آبه أن تبدي هذه القبائل الرغبة عن دعوته او الاعراض عنه ، او ترده رداً غير جميل .

ولم يبال (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتحرش به سفهاء قريش حين ابلاغه الناس رسالة ربه وينالونه بالسوء والاذى ، ولم تغير معاملتهم السيئة من نفسه المطمئنة أن الله جل وعلا الذي بعثه بالحق نبياً ورسولاً لا شك ناصره ومؤيده .

ولم يطل انتظار الرسول الاعظم اكثر من بضعة اعوام وهو صابر على عداوة قومه وأذا هم ، حتى لاحت في الافق اشعاعات الفرج ، وبدت تباشير النصر آتية طلائعها من ناحية يثرب .

لقد لاحت تباشير الفوز بنشر رسالته المقدسة من ناحية يثرب . . البلد التي بها للرسول الاعظم صلات متينة ـ وذكريات عزيزة .

اجل ان للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بيثرب علاقة قربى . . ان اقرباءه فيها هم بنو النجار اخوال جده عبد المطلب .

وفي يثرب ايضاً قبر ابيه عبد الله بن عبد المطلب . لقد كان عبد المطلب يذهب لزيارة قبر ابنه الذي فقده وهو في ريعان شبابه . فمات ودفن عند اخواله بني النجار وهو عائد من تجارته .

لقد صحب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أُمه آمنة بنت وهب الى يثرب وهو في حوالي السادسة من عمره[1]، وزار معها قبر أبيه، ثم رجع مع امه ومربيته الى مكة ، الى جده عبد المطلب، فمرضت آمنة في الطريق وماتت ودفنت بالأبواء ـ وهي موضع في منتصف الطريق بين مكة والمدينة ـ ولم تزل اصداء تلك الرحلة المؤلمة في ذاكرته .

---

(١) على ما تقول بعض الروايات.

قدوم الانصار الى مكة

لما كانت مكة المكرمة محط رحال الحاجِّين والمعتمرين والتجار، يؤمها الناس من شتى انحاء شبه الجزيرة العربية ، فلا بد أن تكون في المواسم مكتظة تعج بالقادمين اليها .

وبعد اداء المناسك التي كان عليها العرب في الجاهلية ، كانوا يعرضون الامور التي تهمهم كالتفاهم ، وحل مشكلات الحروب الدائرة بينهم ، وعقد الندوات ، والتحالف مع قريش الى غيرذلك من الامور .

لقد اجمع المؤرخون واصحاب السير أن الاوس والخزرج كانوا على اشد ما يكون من الضيق ، والانحلال الاجتماعي والاقتصادي، وذلك من جراء الحروب التي كانت بينهم وعلى الاخص في فترة ما قبل الهجرة النبوية الى المدينة ، حتى ادى الاقتتال بينهم أن تسلط عليهم اليهود الذين كانوا في يثرب وحولها . بعد أن كانوا اصحاب عز ومنعة .

يقول اليعقوبي في تاريخه : « كانت الاوس والخزرج ، ابنا حارثة بن ثعلبة ، اهل عز ومنعة في بلادهم ، حتى كانت بينهم الحروب التي أفنتهم في ايام لهم مشهورة ، منها : يوم الضغينة وهو اول يوم جرت الحرب فيه ، ويوم السرارة ، ويوم وفاق بني خطمة ، ويوم حاطب بن

قيس، ويوم حضير الكتائب، ويوم اطم بني سالم ، ويوم البزوة[1]، ويوم البقيع، ويوم بعاث، ويوم مضرس ومعبث ، ويوم الدار، ويوم بعاث الآخر ، ويوم فجار الانصار .

وكانوا يتنقلون في هذه المواضع التي تعرف ايامهم بها ويقتتلون قتالا شديدا . فلما ضرستهم الحرب، والقت بركها عليهم وظنوا أنها الفناء، واجترأت عليهم بنو النضير وقريظة وغيرهم من اليهود، خرج قوم منهم الى مكة يطلبون قريشاً لتقويهم ويعزوا ، فاشترطوا عليهم شروطا لم يكن لهم فيها مقنع . وكان المشترط عليهم ابو جهل بن هشام المخزومي .

وقد قيل : أن قريشاً قد كانت اجابتهم ، حتى قدم أبو جهل من سفر له وكان غائباً، فنقض الحلف، واشترط عليهم شروطاً لم يقنعوا بها ،ثم ساروا الى الطائف، فسألوا ثقيفاً فابطأوا عنهم فانصرفوا .

وقدم رجل منهم بعد مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقال له سويد بن الصامت من الأوس حاجاً أو معتمراً ، فبلغه امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلقيه وكلمه ، فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الله فقال له سويد : ان معي مجلة لقمان[2]، قال : فاعرضها علي، فعرضها عليه . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان هذا الكلام لحسن والذي معي احسن منه ، كلام الله .

---

(١) يوم البزوة : موضع قريب من المدينة . ذكره ياقوت في معجم البلدان .

(٢) مجلة لقمان ، المراد بها حكمة لقمان .

وقـرأ عليه . . فقـال : يا محمـد ان هـذا الكـلام حسن . ثم انصـرف الى المدينة فلم يلبث ان قتلته الخزرج[1].

ويقـول ابن الاثـير في تـاريخـه : ثم انصـرف (سـويـد بن الصـامت) وقـدم المـدينـة فلم يلبث ان قتلته الخـزرج قتـل يـوم بعـاث فكـان قـومـه يقولون : قتل وهو مسلم[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠.

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثيرج ٢، ص ٦٦.

وقـد ذكـر اسلام سـويـد بن الصـامت ابن هشـام وغيـره من اصحـاب السير والمؤرخين .

اسلام اياس بن معاذ

جاء في سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق قوله : « لما قدم ابو الحيس ، أنس بن رافع ، مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاتاهم فجلس اليهم ، فقال لهم : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : انا رسول الله بعثني الى العباد ، ادعوهم الى ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وانزل علي الكتاب . قال : ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن .

قال : فقال اياس بن معاذ، وكان غلاما حدثاً : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له .

قال : فيأخذ ابو الحيس، انس ابن رافع ، حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه اياس بن معاذ، وقال: دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا .

قال : فصمت اياس وقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم ، وانصرفوا الى المدينة ، وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث اياس بن معاذ ان هلك . قال محمود بن لبيد : فاخبرني من حضره من قومه عند موته : انهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون ان قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الاسلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما سمع[1] .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

اجتماع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) برهط من الخزرج

جاء في السيرة الهشامية عن ابن اسحاق قوله : لما اراد الله عز وجل اظهار دينه ، واعزاز نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وانجاز موعده له ، خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الانصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج اراد الله بهم خيرا .

قال ابن اسحاق : لما لقيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج .

قال : امن موالي اليهود ؟ . . .

قالوا : نعم .

قال : افلا تجلسون اكلمكم ؟

قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم الى الله (عز وجلّ) ، وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان مما صنع الله بهم[1] في الاسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا اهل كتاب وعلم ، وكانوا هم شرك واصحاب

(١) كذا في الاصل : ولعله الاصح مما صنع الله به في الاسلام .

اوثـان ، وكانـوا قد غـزوهم ببلادهم ، فكـانوا اذا كـان بينهم شيء قـالـوا لهم : ان نبيـاً مبعوث الآن ، قـد أظـل زمـانـه ، نتبعـه فنقتلكم معـه قتـل عادٍ وإرم .

فلما كلم رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) أولئـك النفـر ودعـاهم الى الله ، قـال بعضهم لبعض : يـا قوم ، تعلمـوا والله انـه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه .

فـاجابـوه فيما دعـاهم اليه ، بـان صدقـوه وقبلوا منه مـا عـرض عليهم من الاسـلام ، وقالـوا : انا قـد تركنـا قـومنـا ، ولا قـوم بينهم من العـداوة والشـر مـا بينهم ، فعسى أن يجمعهـم الله بـك ، فسـنقـدم عـليهـم ، فنـدعوهم الى امـرك ونعرض عليهم الـذي اجبناك اليـه من هـذا الـدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعزُّ منك .

ثم انصـرفـوا عن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) راجعـين الى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا وهم ستة نفر من الخزرج[١] .

ويـذكر ابن الاثـير في تاريخـه : ان رهط الخزرج كـانوا سبعـة نفر وهم أسعـد بن زرارة بن عدس ابـو امامـة ، وعوف بن الحـرث بن رفاعـة ـ وهو ابن عفـراء ـ كـلاهمـا من بني النجـار[٢] ، ورافـع بن مـالـك بن عجـلان ، وعـامر بن عبـد حارثـة بن ثعلبة بن غنم ـ كـلاهمـا من بني زريق ، وقـطبـة بن عـامر بن حـديدة بن سـواد من بني سلمـة ، وعقبـة بن عامر[٣] من بني

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٢ ، ص ٧٠ ، ٧١ .
(٢) بنو النجار هم اخوال عبد المطلب بن هاشم .
(٣) عقبة بن عامر ـ واسمه مالك واسم ابيه التيهان .

غنم ، وجابر بن عبد الله بن رياب من بني عبيدة .

فلما قدموا المدينة ذكروا لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم [1] حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوه بيعة النساء [2] .

---

(١) وفي السيرة النبوية لابن هشام : أنه بعد رجوع هؤلاء الرهط الى المدينة ودعوة قومهم الى الاسلام : لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله (صلى الله عليه وآله .

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج ٢ ، ص ٦٧، والمراد بقوله بيعة النساء، أنهم لم يبايعوه على القتال. وكان الرسول يبايع النساء بانه يأخذ عليهن العهد والميثاق فاذا أقررن بالسنتهن، قال: قد بايعتكن .

بيعة العقبة الاولى

ذكر المؤرخون واصحاب السير أنه عندما رجع الخزرجيون من اهل يثرب الذين كانوا قد اجتمعوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الموسم ، واجابوه لما دعاهم اليه من التوحيد والتصديق بنبوته . اخذوا في ذكر النبي محمد ورسالته المقدسة والدعوة الى الاسلام حتى فشا بينهم .

ثابر هؤلاء الرهط على بث الدعوة الاسلامية بين قومهم ، حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فاجتمعوا بالنبي بالعقبة ـ وهي العقبة الاولى ـ .

جاء في السيرة الهشامية عن ابن اسحاق عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الاولى ، وكنا اثني عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على بيعة النساء ، وذلك قبل ان تفترض الحرب ـ . على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين ايدينا وارجلنا ، ولا نعصيه في معروف . . . ـ

فان وفيتم فلكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئاً فامركم الى الله عز وجل ان شاء عذب ، وان شاء غفر .

قال ابن اسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معهم مصعب بن عمير[1] وامره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقريء بالمدينة : مصعب . وكان منزله على اسعد بن زرارة بن عدس ، ابي امامة .

وعن ابن اسحاق : ان اسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ، ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة اسعد بن زرارة . فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر ، فجلسا في الحائط[2] واجتمع اليهما رجال ممن اسلم ، وسعد بن معاذ ـ واسيد بن حضير، يومئذٍ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل ، كلاهما مشرك على دين قومه .

فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أباً لك ، انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد اتيا دارينا ، ليسفها ضعفاءنا ،

---

(١) يكنى مصعب ابا عبد الله ، وكان من جلة الصحابة، وفضلائهم، هاجر الى الحبشة في اول من هاجر اليها، ثم شهد بدراً. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بعثه الى المدينة قبل الهجرة يقرئهم القرآن ، ويفقههم في الدين . وكان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وتيها . وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يذكره ويقول : ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ، وقتل مصعب يوم احد شهيداً ، وكان مصعب يكتسي احسن الثياب، فلما أسلم ترك ذلك كله ، حتى كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينظر اليه وعليه فروة قد رفعها ، فيبكي لما كان يعرف من نعمته .

(٢) الحائط، هو البستان من النخل .

فازجرهما ، وانهها عن أن يأتيا دارينا ، فانه لولا أن اسعد بن زرارة مني حيث قد علمت ، كفيتك ذلك ، وهو ابن خالتي ولا اجد عليه مقدما .

قال : فاخذ أسيد بن حُضير حربته ثم اقبل اليهما ، فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه .

قال مصعب : إن يجلس أكلمه . .

قال : فوقف عليهما متشتماً فقال : ما جاء بكما الينا ؟ ! تسفهان ضعفاءنا . . اعتزلانا ان كانت لكما بانفسكما حاجة ؟ ! .

فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع . . فان رضيت أمراً قبلته . . وان كرهته كف عنك ما تكره ؟

قال : انصفت ، ثم ركز حربته وجلس اليهما ، فكلمه مصعب بالاسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا ، فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم ، في اشراقه وتسهله . .

ثم قال : ما احسن هذا الكلام واجمله ! . . كيف تصنعون اذا أردتم ان تدخلوا في هذا الدين . . ؟

قالا له : تغتسل ، فتطهر ـ وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي . .

فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه ، وسأرسله اليكما الآن ، سعد بن معاذ . ثم اخذ حربته

وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم .

فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال : احلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟

قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت . وقد حدثت ان بني حارثة قد خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك[1] .

قال : فقام سعد مغضباً مبادراً ، تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة ، فاخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما اراك اغنيت شيئاً . ثم خرج اليهما . فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد ان أسيداً إنما أراد منه ان يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتماً .

ثم قال لأسعد بن زراة : يا ابا امامة ، اما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني . . اتغشانا في دارينا بما نكره - وقد قال اسعد بن زرارة لمصعب بن عمير : أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه . ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان -.

قال : فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع . . فان رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته . . وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ .

قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس .

---

(١) ليخفروك - ليخفروك - والاخفار. نقض العهد والغدر.

فعرض عليه مصعب الاسلام ، وقرأ عليه القرآن .

قالا : فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم لاشراقه وتسهله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ، ودخلتم في هذا الدين ؟

قالا : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين .

قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم اخذ حربته ، فاقبل عامداً الى نادي قومه ومعه أسيد بن حُضير .

قال : فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الاشهل ، كيف تعلمون امري فيكم ؟ . . .

قالوا : سيدنا ، واوصلنا ، وافضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة .

قال : فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله . .

قالا : فوالله ما امسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة .

ورجع اسعد ومصعب الى منزل اسعد بن زرارة ، فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام ، حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون[1] .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .

بيعة العقبة الثانية

ذكر ابن الاثير في تاريخه : « لما فشا الإسلام في الانصار ، اتفق جماعة منهم على المسير الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مستخفين لا يشعر بهم احد ، فساروا الى مكة في الموسم ، في ذي الحجة ، مع كفار قومهم ، واجتمعوا به وواعدوه أوسط ايام التشريق[1] بالعقبة .

فلما كان الليل خرجوا بعد مضي ثلثه مستخفين ، يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة ، وهم سبعون رجلاً معهم امرأتان ، نسيبة بنت كعب ام عمارة ـ واسماء ام عمرو بن عدي من بني سلمة .

وجاءهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، احب ان يستوثق لابن اخيه . فكان العباس أول من تكلم .

فقال : يا معشر الخزرج ـ وكانت العرب تسمي الخزرج والأوس به ـ ان محمدا منا حيث قد علمتم في عز ومنعة ، وانه قد ابى إلا الانقطاع اليكم ، فان كنتم ترون انكم تفون بما دعوتموه اليه ، ومانعوه

---

(١) ايام التشريق : هي ثلاثة ايام بعد عيد الاضحى ـ الحادي عشر ـ والثاني عشر ـ والثالث عشر .

فانتم وذلك ، وان كنتم ترون انكم مسلموه ، فمن الآن فـدعوه ، فـانه في عز ومنعة .

فقال الانصار : قد سمعنا مـا قلت . . . فتكلم يا رسـول الله وخذ لنفسك وربك ما احببت . . .

فتكلم وتـلا القرآن ، ورغّب في الاسـلام ، ثم قـال : تمنعـوني ممـا تمنعون منه نساءكم وابناءكم . . .

ثم اخـذ البـراء بن معـرور بيـده ثم قـال : والـذي بعثـك بـالحق لنمنعنك مما نمنع منه ذرارينـا ، فبايعنـا يا رسـول الله ، فنحن والله اهل الحرب .

اعترض الكلام ابو الهيثم بن التيهان فقـال : يا رسـول الله ان بيننا وبين الناس حبالا ، وانا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت ان اظهرك الله عز وجل أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟!.

فتبسم رســول الله (صـلى الله عليــه وآله وسلم) وقــال : بــل الـدم . . . الـدم ، والهـدم الهـدم[١] انتم مني وانــا منكم ، اسالم من سالمتم ، واحارب من حاربتم .

وقال رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) : اخرجـوا الى اثني

(١) كانت العرب تقول عند عقد الحف والجوار: دمي دمك ، وهدمي هدمك ، معناه ما هدمت من الدماء هدمته أنا ـ والمراد : حرمتي حرمتكم ـ ودمي دمكم ـ وقيل اللدم اللدم .

عشر نقيباً يكونون على قومهم . فاخرجوهم تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

وقال لهم العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري : يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ تبايعونه على حرب الأحمر . . . والاسود ، فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة ، واشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله خزي الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون انكم وافون له فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الاشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله ؟

قال : الجنة .

قالوا : ابسط يدك ، فبايعوه ـ وما قال العباس بن عبادة ذلك الا ليشد العقد له عليهم ، وقيل بل قاله ليؤخر الأمر ليحضر عبد الله بن ابي ابن سلول فيكون اقوى لامر القوم .

فكان أول من بايعه ابو امامة اسعد بن زرارة ، وقيل ابو الهيثم بن التيهان ، وقيل البراء بن معرور . ثم بايع القوم(١) .

جاء في سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق عن كعب بن مالك انه قال : فلما بايعنا رسول الله قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ارفضوا الى رحالكم . فقال له العباس بن عبادة بن نضلة : والله الذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن على اهل مني غداً باسيافنا ؟

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ، ٢، ص ٦٩، ٧٠.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم .

قال : فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا .

قال (كعب) فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاؤونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، انه قدبلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وانه والله ما من حي من العرب ابغض الينا ، ان تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم .

قال : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ، وما علمناه .

قال : وقد صدقوا ، ولم يعلموه .

قال : وبعضنا ينظر الى بعض .

قال : ونظر الناس من منى ، فتنطس[1] القوم الخبر فوجدوه قد كان وخرجوا في طلب القوم فادركوا سعد بن عبادة باذاخر[2] والمنذر بن عمرو ، وكلاهما كان نقيباً ، فاما المنذر فاعجز القوم ، واما سعد فاخذوه فربطوا يديه الى عنقه بنسع[3] رحله ، ثم أقبلوا به حتى

---

(١) تنطس القوم الخبر: اكثروا البحث عنه ، والتنطس : تدقيق النظر.
(٢) اذا خر ـ مدخل من مداخل مكة وهو المدخل الذي دخل منه رسول الله عام الفتح .
(٣) النسع ـ الشراك الذي يشد به الرحل.

ادخلوه مكة يضربونه ، يجذبونه بجمته [1] وكان ذا شعر كثير .

قال سعد : فوالله اني لفي أيديهم اذ طلع علي نفر من قريش فيهم رجل وضيء ابيض شعشاع حلو من الرجال .

قال : فقلت في نفسي ان يك عند احد من القوم خير فعند هذا .

قال : فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة .

قال : فقلت في نفسي ، لا والله ، ما عندهم بعد هذا من خير .

قال : فوالله اني لفي ايديهم يسحبونني اذ أوى[2] لي رجل ممن كان معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد ؟

قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجارة وامنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ، وللحارث بن حرب .

قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما .

قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل اليهما ، فوجدهما في المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : ان رجلا من الخزرج الآن يضرب بالابطح ويهتف بكما ، ويذكر أنه بينه وبينكما جواراً .

قالا : ومن هو ؟

قال : سعد بن عبادة .

---

(١) الجمة ـ مجتمع شعر الرأس.
(٢) أوى له ـ رحمه ورق له .

قالا : صدق والله ، ان كان ليجير لنا تجارنا ، ويمنعهم ان يظلموا ببلده .

قال : فجاءا فخلصا سعداً من ايديهم فانطلق . وكان الذي لكم سعداً ـ سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي . وكان الرجل الذي أوى اليه ابا البختري بن هشام[1] .

---

(١) السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ ج ٢ ـ ص ٩١ ـ ٩٢.

عودة اهل العقبة الى المدينة وقصة عمرو بن الجموح

بعد ان بايع الانصار الرسول العظيم بيعة العقبة الثانية ، على السمع والطاعة ، والجهاد في سبيل الله ، واعلاء كلمة التوحيد . اتخذ منهم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم ، ويقومون بارشادهم وهدايتهم الى الاسلام .

رجع الانصار الى المدينة بقلوب طافحة بالايمان يغمرها الفرح بالصفقة الرابحة التي فازوا بها - الإسلام ونصرة الرسول - ونالوا بها ايضاً السعادة الابدية .

لقد سجلهم التاريخ على صفحاته باحرف من نور ، وذهبوا بالذكر الحميد على مر الدهور . فهم انصار الله وانصار الرسول .

فلما قدموا المدينة اظهروا الاسلام علانية ، بعد ان كانوا مستترين ، واخذوا يدعون الى التوحيد واعلان كلمة الحق بالتصديق بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والسير على هدى تعاليمه السماوية . وعملوا جاهدين بكل ثقة وايمان في هداية الانسان الى المثل العليا ، وتحطيم الاصنام ، ونبذ العادات والتقاليد الجاهلية والطقوس المشينة التي كانوا عليها عاكفين .

قدموا المدينة واظهروا الاسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم

كانوا لم يزالوا على دينهم من الشرك وعبادة الاصنام . ومن جملة هؤلاء الشيوخ عمرو بن الجموح . وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة . وبايع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

كان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة . وشريفاً من اشرافهم . وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب ، يقال له ـ مناة ـ كما كانت الاشراف تصنع في ذلك الوقت . تتخذه الها تعظمه وتطهره .

فلما اسلم فتيان بني سلمة : معاذ بن جبل ـ ومعاذ بن عمرو بن الجموح في فتيان منهم ممن اسلم وشهد العقبة كان هؤلاء الفتيان ـ على قول الرواة ـ يدلجون بالليل على صنم عمرو بن الجموح ـ مناة ـ فيحملونه ثم يطرحونه في بعض حفر بني سلمة المملوءة بالعذرات والاوساخ منكسا على رأسه . فاذا اصبح عمرو قال : ويلكم ! من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ . . . ثم يغدو يلتمسه ، حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه . ثم يقول : اما والله لو اعلم من فعل هذا بك لأخزينه .

فاذا امسى المساء ونام عمرو ، عدوا عليه ـ على الصنم ـ ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدوا عمرو في طلبه في الصباح ليجده في مثل ما كان فيه من الأذى والقذارة . فيغسله ويطهره ويطيبه . ثم يعدون عليه اذا امسى فيفعلون به مثل ذلك .

فلما اكثروا عليه استخرجه من حيث القوه يوما ، فغسله وطهره وطيبه . ثم جاءبسيفه فعلقه عليه . ثم قال : اني والله ما اعلم من يصنع بك ما ترى . فان كان فيك خير فامتنع ، وادفع عن نفسك الاذى فهذا السيف معك .

فلما امسى ونام عمرو ، عدوا عليه ـ على الصنم ـ فاخذوا السيف من عنقه ، ثم اخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ، ثم القوه في بئر من آبار بني سلمة ، فيها عذر من عذر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان فيه .

فخرج عمرو يتتبعه ـ يفتش عليه ـ حتى وجده في تلك البئر منكساً ، مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه وابصر شأنه ، وكلمه من اسلم من رجال قومه ، أسلم برحمة من الله وحسن اسلامه .

فقال حين اسلم وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما ابصر من امره ويشكر الله تعالى الذي انقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنت إلهاً لم تكن   أنت وكلب وسط بئر في قرن

هجرة المسلمين الى المدينة

بعد العقبة الثانية واجتماع الانصار على مبايعة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصرته ، وحمايته هو ومن اتبعه من المسلمين ، بالغت قريش في تعنتها ووقفت وقفة رجل واحد في وجه دعوة محمد العظيم الذي اجهدها طيلة ثلاث عشرة سنة .

لقد عرفت قريش أن محمداً لا يلين ، فهو مستمسك برسالة ربه ، لا يداجي . . . ولا يخاف اذىً ، ولا مساءة ، ولا تأخذه في سبيل الله لومة لائم . وقد تحمل هو ومن آمن معه من طواغيت قريش ، من الاساءة والاذى مالا يوصف حتى ورد عنه صلوات الله عليه وآله (ما اوذي نبي بمثل ما اوذيت) .

خاصرته قريش في الشعب وضيقت عليه وعلى اتباعه ظناً منها انها ترجعه عن اداء رسالته المقدسة . ولكن لم تزده هذه المضايقات الا تمسكاً وثباتاً ـ ولقريش ومكائدها الا احتقاراً وازدراء .

اخذ طواغيت قريش في التنكيل باتباعه يذيقونهم من انواع التعذيب والاذى ما لا يوصف وتفننوا في تعذيبهم وخاصة المستضعفين منهم ، تارة يلهبون ظهورهم بالسياط ، وتارة يضعون الصخور عليهم بعد ما يطرحونهم بحر الهجير ، وطوراً بالحبس والعطش والجوع ، الى غير ذلك

من انـواع التعذيب وصنـوف الاذى التي يصعب تحملها لأي انسـان من البشـر . ظنـاً منهم أنهم يتمكنــون من فتنتهم ، ويعـودون بهم الى دين قومهم مرغمين .

أما وقد اذن الله لدينه بـالانتشار ولنبيـه بالنصـر ـ واذا اراد الله امراً هيأ اسبابه ـ اتى رهط الانصار وبايعوا محمداً على الطاعة والجهاد والنصرة وحماية المسلمين وذلك في بيعة العقبة الثانية .

ازاء هـذه البيعـة ، انفتـح امـام الـرسـول العـظيم والـذين آمنــوا برسالته ، وصدقوه باب الرجاء في النصر وحريـة العبادة لله والـدعوة الى التوحيد والاسلام ، وتحطيم الاصنام ، ونبذ جميع التقاليد الوثنية .

لقـد فتح الله سبحـانه امـام رسولـه الكـريم بـاب النصر . . . فهـذه (يثـرب) بخـزرجهـا واوسهـا قـد احتضنتـه وبـايعتـه عـلى السمـع والـطاعـة . . . والنصـرة والمنعـة . . . وحـرب الاسـود والاحمـر من المشركين . وجعلت محمداً ومن معه من المسلمـين بمأمن من العـدوان ، وفتحت لهم حـريـة القيـام بتأديـة فـرائض دينهم ، ودعــوة النـاس الى الانضمام اليهم ، والاخذ بتعاليم الاسلام .

كـل هـذه الامـور اقضت مضجـع قـريش ، وخيم عليهـا الـذعـر والخوف من المستقبل القـاتم والمصير الاسـود الذي ينتـظرطواغيتهـا ، اذا حاز النصر محمد حيث اتسعت دعوته الى التوحيد ، واخذت تسير مسير الشمس في الآفاق .

اخذت قريش تفكر عاملة جهدها في كيفية حصر نشاط النبي محمد في دائرة ضيقة لعلها تتمكن من القضاء على الاسلام ورسوله .

ان بيعة الأنصار يـوم العقبة الثـانية كـانت اول باب فتحـه الله امام رسوله الكريـم واتباعه المخلصين ـ هو باب العزة لدين الله ، وسمو كلمة الحق على كلمة الباطل .

ان الـذي تنتظره قـريش واحـلافهـا ـ ان بقيت عـلى ضـلالهـا ـ من الاهوال والحرب في المستقبل القريب ، هو عليها اشد مما رأت من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من بدء بعثته حتى بيعة العقبة الثانية .

ان امام الفريقين معركة حياة او موت ـ معركة بين الحق والبـاطل ـ معركة بين الضلالة والهدى ـ معركة بين الشرك والايمان . والنصر يـومئذ لله الواحد القهار .

محمد والمؤمنون معه استعانوا بالله وتوكلوا عليه ، ولم يلتفتـوا الى ما تكيده لهم قريش وطواغيتها من المكائد .

محمد الرسول الكريم والقائد العـظيم يديـر الامور في حكمـة ودقة وانـاة اذ أنه يتلقى تعـاليمه من لـدن عزيـز حكيم . فـلا تهمـه مكـائـد الظالمين .

امر محمد العظيم اصحابه عندما اشتدت عليهم قـريش ان يلتحقوا باخوانهم الانصار ـ بيثرب ـ وامرهم ايضاً ان يتركوا مكة متفرقين ، حتى لا تثور ثائرة اعدائهم المشركين ويمنعوهم من الهجرة .

اخـذ المسلمون بـالهجـرة متسللين متستـرين الى المـدينـة (يثـرب) وفطنت قريش ان بالامر مكيدة، وان محمدا يمكـر بهم، فحاولت ان تـرد كل مهاجر الى مكة ، وبذلت جهدها في إرجاع من استـطاعت ارجاعـه لتنكل به وتعذبه لعله يفتتن عن دينـه ، حتى انها كانت تحـول بين المـرء

وزوجه ، وبين الأب واولاده ، وبين الأخ واخيه ، ولكنها خابت مساعيها وجميع محاولاتها ـ لأن الله بالغ امره ـ

فطنت قريش الى هجرة المسلمين ، وتذكرت هجرة المسلمين بالامس القريب الى الحبشة . ألم يأمرهم النبي محمد بالهجرة الى ارض الحبشة البعيدة ـ لأن بها ملكاً لا يظلم عنده احد ـ حفاظاً على انفسهم ودينهم .

وظل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع خاصته في مكة يدعو الناس سراً وعلانية الى الإسلام وعبادة الرحمن ، غير مبال بما تكيده له قريش واتباعها من المكائد كما اسلفنا .

اما وقد اصبحت المدينة ـ يثرب ـ اقرب من الحبشة داراً ، وافضل مستقراً ، واحسن منطلقاً ، فلا عجب اذ أمر النبي العظيم اصحابه بالهجرة اليها حيث الأمان والاطمئنان ، والراحة والحرية ، والالتحاق باخوانهم المسلمين للعمل على نشر الرسالة المقدسة .

وقد وعد الله سبحانه وتعالى المسلمين المخلصين الذين آمنوا بالله ورسوله واوذوا في سبيل الله وظلموا وهاجروا من ديارهم بان لهم النصر والجنة وحسن الثواب .

قال تعالى : ﴿ فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده، حسن الثواب ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٩٥.

الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبـوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة، آية ٢١٨.

(٢) سورة النحل، آية ٤١.

نزول الوحي بالاذن في القتال

لبث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة ثلاثة عشر سنة من مبعثه داعياً الى الله ومبشراً ونذيراً ، صابراً على اذى طواغيت اهل مكة واجلافهم ، واساءتهم له ولاتباعه من المسلمين ، لم تزعزعه اساليب الاضطهاد والتشويش عليه ، والاذى والتعذيب الذي كان يلحق بمن اتبعه من المؤمنين المخلصين .

وبعد أن انفتح باب النصر الذي جاء من ناحية يثرب (المدينة المنورة) بعد بيعة العقبة الثانية ، واسلام الكثيرين من اهل المدينة ـ الانصار ـ قويت شوكة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واشتد عضده ، وارتفعت معنويات المسلمين المضطهدين بين قومهم بمكة ، وتحول ميزان القوى لصالح المسلمين .

عندها امعنت قريش في التفكير في كيفية التخلص من محمد الأمين واتباعه ، ومن دينه الجديد عليهم الذي اخذ في الانتشار ، وتشعبت فروعه متجاوزة اسوار مكة ، واخذت تعاليم الاسلام تنساب الى النفوس انسياب النور في ظلمة الليل

وبدأ النبي العظيم يفكر من جانبه ايضاً ، لعله يجد ما يخفف عن اتباعه من المسلمين وطأة الاضطهاد ، والخروج بهم من الحصار الذي

ضربته عليهم تجمعات قريش . ولكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان ليقطع امراً أو يرتجله مالم يفكر به وتتضح له ابعاده ونتائجه ، أو يأتي به الاذن من الله سبحانه والدليل على ذلك أنه حينما قال له العباس بن عبادة بن نضلة - بعد بيعة العقبة الثانية - والله الذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا - فاجابه رسول الله : لم نؤمر بذلك .

جاء في السيرة الهشامية عن ابن اسحاق : انه كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ، ولم تحلل له الدماء ، انما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الاذى ، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفوهم من بلادهم فهم من بين مفتون في دينه ، ومن بين معذب في ايديهم ، وبين هارب في البلاد فراراً منهم ، منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفي كل وجه .

فلما عتت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما ارادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه ، اذن الله عز وجل لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم »[1] .

فكانت اول آية أنزلت في اذنه له في الحرب واحلاله له الدماء

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ج ٢، ص ١١٠.

والقتــال ، لمن بغى عليهم . قـول الله تبــارك وتعــالى : ﴿ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصـرهم لقديـر ـ الذين أخـرجوا من ديـارهم بغير حق الا أن يقـولوا ربنـا الله ولولا دفـع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً وينصـر ن الله من ينصره ان الله لقـوي عــزيز ـ الـذين ان مكنـاهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾[١] .

وقـال تعالى : ﴿ وقـاتلوهم حتى لا تكون فتنـة ﴾ اي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿ ويكون الدين لله ﴾[٢] حتى يعبد الله ولا يعبد غيره .

---

(١) سورة الحج ، آية ٣٩، ٤٠، ٤١.
(٢) سورة البقرة، آية ١٩٣.

المهاجرون الأول

ذكر المؤرخون واصحاب السير أن الله سبحانه وتعالى لما أذن لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحرب ، وبايعه الانصار على الاسلام ، والنصرة له ولمن اتبعه من المسلمين ، يمنعونه كما يمنعون نساءهم وذراريهم ، ويحاربون في سبيل الإسلام ونشر الرسالة المقدسة . أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه من المسلمين ومن معه بمكة بالخروج الى المدينة والهجرة اليها ، واللحوق باخوانهم من الأنصار ، وقال لهم : ﴿ إن الله قد جعل لكم اخواناً ، وداراً تأمنون بها ﴾ كما ورد عنه ذلك .

فخرج المسلمون أرسالا ، يتسللون منها أفراداً وجماعات في جوف الليل كما امرهم الرسول حتى لا يثيروا قريشاً فتقف في طريقهم . وتنكل بمن يقع في قبضتها بالضرب والاهانة والحبس وتعود به الى مكة . مع العلم أنها لا تتمكن من قتل احد من المهاجرين ، لأن المهاجرين اكثرهم من القبائل المكية والقتل ينشب بسببه حرب أهلية بين القبائل المكية تعود في النهاية لصالح النبي محمد والمسلمين .

وروي في كتب السيرة عن ابن اسحاق قوله : كان أول من هاجر الى المدينة من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من

المهاجرين ، من قريش من بني مخزوم : ابو سلمة بن عبد الاسد ـ واسمه عبد الله ـ هاجر الى المدينة وكان قدم مكة على رسول الله من ارض الحبشة ، فلما آذته قريش ، وبلغه اسلام من اسلم من الأنصار ، خرج الى المدينة مهاجراً . فعن سلمة بن عبد الله بن عمر بن ابي سلمة عن جدته ام سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : قالت :

لما اجمع ابو سلمة الخروج الى المدينة رحَّل لي بعيره ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سلمة بن ابي سلمة في حجري ، ثم خرج بي يقود بي بعيره ، فلما رأته رجال من بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا اليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟! علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ .

قالت : فنزعوا خطام البعير من يدي ، فاخذوني منه .

قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد ، رهط ابي سلمة فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا .

قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم . . وانطلق زوجي ابو سلمة الى المدينة .

قالت : ففُرِّق بيني وبين زوجي وبين ابني .

قالت : فكنت اخرج كل غداة فاجلس بالابطح فما ازال ابكي ، حتى امسي ءسنة أو قريباً منها ، حتى مربي رجل من بني عمي ـ احد بني المغيرة . فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ ! فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها . . !

قالت : فقالوا لي : الحقي بزوجك ان شئت .

قالت : ورد بنو عبد الاسد إلي عند ذلك ابني .

قالت : فارتحلت بعيري، ثم اخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة .

قالت : وما معي أحد من خلق الله .

قالت : فقلت : اتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى اذا كنت بالتنعيم[1] لقيت عثمان بن طلحة بن ابي طلحة، اخا بني عبد الدار، فقال لي : الى اين يا بنت ابي أمية ؟

قالت : فقلت : اريد زوجي بالمدينة .

قال : أوَ ما معك احد ؟

قالت : فقلت : لا والله الا الله وابني هذا.

قال : والله مالك من مترك، فاخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان اكرم منه ، كان اذا بلغ المنزل اناخ بي، ثم استأخر عني، حتى اذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني الى شجرة، واضطجع تحتها . فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فقدمه فرحّله . ثم استأخر عني، وقال: اركبي . فاذا ركبت واستويت على بعيري أتى فاخذ بخطامه . فقاده، حتى ينزل بي .

---

(١) التنعيم ـ موضع بين مكة وسرف ـ على فرسخين من مكة .

فلم يزل يصنع ذلك بي حتى اقدمني المدينة . فلما نظر الى قريـة بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة نازلا بها ـ فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً الى مكة .

قال ابن اسحٰاق: فكانت تقول : ـ أم سلمـة ـ والله ما اعلم اهـل بيت في الاسلام اصابهم ما اصاب آل ابي سلمة . وما رأيت صاحباً قط كان اكرم من عثمان بن طلحة .

وعن ابن اسحاق أيضاً: ثم كان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة : عامر بن ربيعة ، معه امرأته ليلى بنت ابي حثمة من بني عدي بن كعب . ثم عبد الله بن جحش احتملِ باهله وبـأخيه عبـد ابن جحش ـ وهـو ابو احمـد ـ وكان ابـو احمد رجـلاً ضريـر البصـر ، وكـان يطوف سكة . اعلاها واسفلهـا بغير قـائد ، وكـان شاعـراً وكانت عنـده الفـرعـة بنت ابي سفيـان بن حـرب . وكـانت امـه أميمـة بنت عبـد المطلب بن هاشم .

واصبحت دار بني جحش خالية واغلقت ابـوابها هجـرة . فمرَّ بهـا عتبـة بن ربيعة . والعبـاس بن عبد المـطلب، وأبو جهـل بن هشـام بن المغيرة فنظر اليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يباباً، ليس فيها سـاكن فلما رآها كذلك تنفس الصعداء، ثم قال :

وكـل دار وان طـالت سـلامتهـا يوما ستدركها النكبـاء والحوب(١)

ثم قال عتبة : اصبحت دار بني جحش خـلاء من اهلها!. . فقال أبو جهل : وما تبكي عليه ؟ !.

---

(١) الحوب ـ التوجع .

ثم التفت ابو جهل الى العباس وقال: هذا عمل ابن اخيك . . ! فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطَّع بيننا .

وجاء في كتب السيرة أن صهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: اتيتنا صعلوكاً حقيرا، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بما لك ونفسك، والله لا يكون ذلك أبداً . . !

فقال لهم صهيب: أرأيتم ان جعلت لكم مالي . . أتخلون سبيلي ؟.

قالوا : نعم .

قال : فاني جعلت لكم مالي.

قال : فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ربح صهيب . . ربح صهيب .

وتتابع المسلمون يتوافدون على المدينة افراداً وجماعات ، للالتحاق باخوانهم المسلمين ، فمن ادركته قريش في الطريق ارجعته الى مكة وضيقت عليه ، ومن وصل للمدينة سالماً استقبله الانصار بالبشر والسرور . واقام مع المسلمين ليبدأ حياة جديدة . . حرية في الدين . . ومشاركة في الجهاد.

الفَصل

السادس والعشرون

هجرة الرسول الاعظم

تهاوت محاولات قريش امام صمود المسلمين ، هذه القلة العزلاء التي تزداد على الاضطهاد قوة وثباتا ، وتتحدى قبائل قريش مجتمعة التي تفخر بالجاه والكثرة والبأس .

تهاوت جهود قريش امام هؤلاء النفر الذين اتبعوا محمداً، يؤثرونه على انفسهم واهليهم واموالهم ، ولا يترددون في افتدائه بالمهج والارواح ، بل يرون الاستشهاد في سبيل النبي ورسالته المقدسة مجداً وانتصارا .

فاي سمو للعقل الانساني اعظم من هذا السمو ، وأي تحطيم لقيود الجاهلية اشد من هذا التحطيم ، فيا لروعة الايمان،حَسبُ الانسان أن يتفهم تعاليم الرسول العظيم ، ويؤمن بها ويعمل عليها ، ليبلغ الذروة العليا من مراتب الكمال الانساني وفي سبيل هذه المكانة السامية تهون كل تضحية .

قد يأخذ الانسان العجب، كيف اقفلت قلوب العرب من المشركين وعميت بصائرهم عن الحق المبين، وتعاليم البشير النذير، وعدم الايمان بالله واليوم الآخر . . مع العلم أن قريشا كانت على اتصال دائم مع العالم ، واهل الملل والنحل والأديان السابقة لمركز مكة ـ الاستراتيجي ،

واشتغال اهلها بالتجارة . . والترحال .

فلا بد من أن المشركين كانوا قد سمعوا بما يُذكر عن الجنة ـ والنار ـ والبعث والجزاء من جيرانهم اصحاب الاديان السماوية كأهل الكتاب من يهود أو نصارى.

لكنهم لما كانوا عاكفين على الملذات والشهوات وعبادة الاوثان ، منكبين على اللهو مسرفين فيه ، لا يرى الغني منهم في شيء من الاشياء رذيلة يتجافى عنها ، فهو لجهله وحمقه يرى ان كل شيء له مباح ، ويظن انه في حل من أن يقتل وينهب، ويرتكب الفواحش، لا يعف عن منكر ما دام قديراً على تقديم القرابين بالنحر على أقدامها (الاصنام) بزعمه أنها تنجيه من سوء ما ارتكب من المنكرات .

في هذا المجتمع الفاسد ظهر النبي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يعلن نبوته داعياً الى الله مبشرا ونذيراً، وينذر الناس في آيات بليغة مرهبة ومرعبة تنخلع من هولها القلوب وتضطرب الافئدة يقول لهم : ان ربهم لهم بالمرصاد، وانهم مبعوثون في اليوم الآخر، وتجزى كل نفس بما كسبت ، فلا يضيع الله سبحانه عمل عامل من ذكر أو أنثى ، لقوله تعالى: ﴿يومئذٍ يصدر الناس اشتاتا ليروا أعمالهم*فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره*ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[1]. فلا الأموال، ولا الاولاد، تنجي من عذاب يوم الحساب . ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون*إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[2].

---

(١) سورة الزلزال، آية ٦، ٧، ٨.
(٢) سورة الشعراء، آية ٨٨، ٨٩.

يناديهم النبي محمد بصوت كالسيف القاطع وهو يحذرهم من هول المحشر بقول الله سبحانه : ﴿يوم يفر المرء من اخيه*وامه وابيه*وصاحبته وبنيه*لكل امرىء يومئذ شأن يغنيه﴾[1].

فيا لهول المطلع يصف لهم جهنم وعذابها كما عن الباريء تعالى : ﴿كلا انها لظى*نزّاعة للشوى*تدعو من ادبر وتولى﴾[2].

ثم ينثني (صلى الله عليه وآله وسلم) ويبشر المؤمنين الذين وعت قلوبهم كلام الله وتنادوا مخلصين بجنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الأعين كما في قوله تعالى : ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين*ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون*يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وانتم فيها خالدون*وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون﴾[3].

لكن قريشا أقفلت قلوبها ، وعميت بصائرها دون تصور الحياة الأخرى والجزاء فيها .

فلما دوت صيحة الحق، وارتفع صوت النبي محمد مناديا بالتوحيد وعبادة الواحد القهار، رُوِّع المشركون من قريش ومترفوها ، لكن لم يزدادوا إلا تمادياً في الغي والضلال ، فعلى قلوب المشركين اقفالها .

---

(١) سورة عبس، آية، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨.
(٢) سورة المعارج، آية ١٥، ١٦، ١٧.
(٣) سورة الزخرف، آية ٦٩، ٧٠، ٧١.

وكان المشركون لا يفكرون الا بالقضاء على الاسلام والتخلص من محمد ورسالته .

لهذا لما رأت قريش ان رسول الله اصبح له انصار من غير بلدهم ورأوا خروج اصحابه من المهاجرين اليهم ، وعرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأمنا ، واصابوا منعة ، حذروا خروج رسول الله من بين أظهرهم خوفا من اعلاء شأنه ، وامتداد رسالته ، فتداعوا للاجتماع في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب، وكانت قريش لا تقضي أمراً الا فيها ، فهي عندهم بمثابة مجلس الأمة ـ البرلمان ـ .

اجتمعت قريش ألمتمثلة بطواغيتها ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، كما تقول المرويات ، فعن ابن عباس (رضي الله عنه) لما اجتمعوا في ذار الندوة للتشاور في امر رسول الله قال بعضهم لبعض: ان هذا الرجل قد كان من امره ما قد رأيتم ، فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأيا . قال : فتشاوروا، ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد واغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به حتى يأتيه الموت . فاجابوه : ما هذا برأي، والله لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم ، فينزعوه من ايديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم .

ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين اظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا ، فوالله ما نبالي اين ذهب، ولا حيث وقع ، اذا غاب عنا وفرغنا منه ، فاصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. فقيل له ما هذا برأي ؟ ! ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب

الرجال بما يأتي بـه،والله لو فعلتم ذلـك ما أمنتم أن يحـل على حي ومن العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعـوه، ثم يسير بـه اليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ امركم من أيديكم، ثم يفعـل بكم ما اراد، دبروا فيه رأياً غير هذا.

قال ابن عباس فقال ابو ابو جهل عمرو بن هشام: والله ان لي فيـه لرأيا ما اراكم وقعتم عليه بعـد. قالـوا : وما هـو يا ابـا الحكم ؟ قال : أرى ان نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليداً وسيطا نسيباً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً . ثم يعمدوا اليه ، فيضربوه بها ضربـة رجل واحـد، فيقتلوه ، فنستريـح منه . فـانهم اذا فعلوا ذلـك تفـرق دمـه في القبائل جميعاً ، ولم يعد باستطاعة احد من بني هـاشم ان يطلب بـدمه ، فيختارون ديته على القتال .

فاستحسن الجميع هذا الرأي، وبـالفعل اتفقـوا على الفتيـة، وعلى الليلة التي يتم فيها تنفيذ المؤامرة .

لكن الله سبحانه وتعالى فوَّت الفرصة على المتآمـرين وحفظ رسولـه الكريم فاتى امين الوحي جبريل للرسول فاخبره بالمكيدة .

وقد اشار القرآن الكريم الى مؤامرة قريش بقـوله : تعـالى : ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتـوك أو يقتلوك أو يخرجـوك ويمكرون ويمكـر الله والله خير الماكرين ﴾[1].

والمكر هو من الله سبحانه جـزاء،ومن الناس خب وخداع ، كما ورد

---

(١) سورة الانفال – آية ٣٠.

ذلـك في تفسير الـطبرسي والمـراد هنا ان الله جـل جلالـه ابـطل تـدبـير المشركين في هلاك الرسول .

خروج النبي من داره واستخلافه عليا على فراشه

روى المؤرخون واصحاب السير عن ابن اسحاق انه قال : فلما كانت عتمة من الليل، اجتمع المشركون على باب الرسول يرصدونه متى ينام ، فيثبون عليه ويقتلوه . وكان فيهم ابو جهل بن هشام فقال وهم على بابه : ان محمداً يزعم انكم إن تابعتموه على امره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الاردن ، وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جُعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : انا اقول ذلك . . انت احدهم .

واخذ الله تعالى على ابصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يٓس والقرآن الحكيم﴾ الى قوله ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾[1] ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف (صلوات الله عليه وآله) الى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت

---

(١) سورة يٓس، آية ١، الى ٩.

ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمداً . . .

قال : خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟

قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فاذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجياً ببرد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقولون : والله ان هذا لمحمد نائماً عليه برده . فلم يبرحوا كذلك حتى اصبحوا، فقام علي (عليه السلام) عن الفراش، فقالوا : لقد صدقنا الذي حدثنا[1].

مبيت علي (عليه السلام) على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

ليلة خالدة كان لها الدور الافضل في تاريخ الإسلام .

ليلة خالدة، سجلها التاريخ على صفحاته بأحرف من نور.

ليلة خالدة، بات بها الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) على فراش ابن عمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واقياً له بنفسه، مضحياً بحياته تجاه سلامة نبيه ، الذي آمن به وصدقه واتبع رسالته من اول الأمر .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ـ ج ٢ ـ ص ١٢٧ .

ليلة خالدة، سجل فيها التاريخ للامام علي (عليه السلام) حدثا بارزاً في سير الدعوة الاسلامية وتقدمها ، بمكة ، واحتُفظ له (عليه السلام) به باروع موقف عرفته الايام ، في تاريخ البطولات . . والفداء . . والتضحية .

لقد وعى التاريخ منذ اقدم العصور اسماء ابطال وشجعان وعظماء، يثبتون في وجه أعدائهم ، يحاربون في المعارك بالعدة والسلاح تارة معهم الاعوان والانصار وطوراً منفردين تأبى عليهم عزة النفس والكرامة الاستسلام للذل والهوان .

لكن لم يعرف التاريخ أن رجلا خرج الى الموت بمحض ارادته ، فرحاً مسرورا ، بغير سلاح ولا اعوان وكأنه يذهب للقاء الاحباب، فيمشي بخطوات مطمئنة هادئة، لينام على فراش تحوطه المخاطر، وترفرف عليه المنايا التي تلمع من سيوف الاعداء . ليس معه شيء سور الثقة بالله والايمان الصادق . . أعزل إلا من العقيدة .

لم يحدث في تاريخ البطولة والفداء ـ تاريخ التضحية والاخلاص ـ لرجل ، سوى علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، الذي كان رمزا للشجاعة . والبذل السخي في سبيل المبدأ والعقيدة ، كما حدث له حينما عرض عليه الرسول أمر المبيت على فراشه ، وذلك بعد أن اخبره أمين الوحي جبريل بالمؤامرة التي دُبرت لاغتياله وما بيتت له قريش من التربص والمكيدة ، وامره بالخروج والهجرة الى المدينة .

علت سحابة الحزن وجه علي (عليه السلام) وبكى خوفا على ابن عمه الرسول . لكن تبدل الحزن سرورا عندما اخبره محمد (صلى الله

عليه وآله وسلم) بانه سوف يهاجر ويخلفه للمبيت على فراشه فقال له علي (عليه السلام): أو تسلم يا رسول الله إن فعلت ذلك، وفديتك بنفسي ؟

قال له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : نعم ، بذلك وعدني ربي.

عندها تقدم علي (عليه السلام) لينام على فراش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفس مطمئنة ، وقلب طافح بالبشر، لاعتقاده بسلامة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وابطال كيد المشركين .

جاء في سيرة ابن هشام : أنه لما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه - المتآمرون - يرصدونه متى ينام ، فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكانهم قال لعلي بن ابي طالب : نم على فراشي، وتسجًّ[1] ببردي هذا الحضرمي الاخضر، فنم فيه . وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينام في برده ذلك اذا نام .

يقول اليعقوبي في تاريخه : لما اختلط الظلام خرج رسول الله وترك علياً في فراشه . وان الله عز وجل أوحى في تلك الليلة إلى جبرئيل وميكائيل (إني قضيت على احدكما بالموت فايكما يواسي صاحبه . . فاختار الحياة كلاهما . . فاوحى الله اليهما : هلا كنتما كعلي بن ابي طالب آخيت بينه وبين محمد، وجعلت عمر احدهما اكثر من الآخر . فاختار علي الموت وآثر محمدا بالبقاء ، ونام في مضجعة ، اهبطا فاحفظاه من عدوه) .

---

(١) تسجَّى بالثوب: غطى به جسده ووجهه .

فهبط جبريل وميكائيل، فقعد احدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، يحرسانه من عدوه، ويصرفان عنه الحجارة. وجبريل يقول : بخ بخ لك يا ابن ابي طالب ! من مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات[1] .

وتقول الروايات أن الحجارة التي كان تُقذف من المتربصين المشركين وتتساقط على علي بن ابي طالب (عليه السلام) وهو نائم في فراش النبي كالمطر الغزير، انه كان يبدو في نومته هادئاً مطمئناً لم يبال، بسيوف الاعداء المحيطة به، ولا بالحجارة المنهمرة عليه، حرصاً على سلامة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لما احاط المتآمرون بدار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يتربصون به ريب المنون ، ينتظرون عتمة الليل ليهجموا عليه ويضربوه بسيوفهم ضربة واحدة حسب المؤامرة كما اسلفنا .

لكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انسل من بينهم وتوجه الى الغار وكمن فيه . وبقي علي (عليه السلام) على فراش الرسول متسجياً ببرده الحضرمي .

ولما حان موعد تنفيذ المؤامرة، هجموا عليه، فثار علي (عليه السلام)، في وجوههم، عندها بغتوا لهذه المفاجأة غير المنتظرة واسقط ما في أيديهم . . فسألوا علياً: أين ابن عمك محمد ؟

فاجابهم بكل هدوء: لا أدري أين ذهب .

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٢.

وفي بعض الروايات أن خالد بن الوليد كان في مقدمة الذين هجموا بسيوفهم . فوثب علي بن ابي طالب من فراشه وهمز بيده، فجعل خالد بن الوليد يقمز امامه قمزاً، فاخذ السيف منه وشد عليهم، فاجفلوا أمامه اجفال الغنم، وخرجوا من الدار .

لم يكن من المستغرب على علي بن ابي طالب (عليه السلام) هذا الفداء الذي يفوق كل فداء، وهذه التضحية التي تعلو على كل تضحية سجلها تاريخ البشر، اذ لم يعهد في رجل من رجالات التاريخ، مهما كان عظيماً وبطلا شجاعاً . أنه اقدم على التضحية بمحض ارادته واختياره، فرحا مسرورا، كما اقدم علي بن ابي طالب (عليه السلام) على فداء ابن عمه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في مبيته على فراشه واقياً له بنفسه .

إن من تتبع سيرة علي وابيه ابي طالب (عليه السلام) وما بذلاه من العطاء والاقدام على التضحية في سبيل سلامة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونشر رسالته المقدسة، لا تأخذه الدهشة أو يعتريه العجب، لأن ابا طالب بذل كل غال ورخيص للحفاظ على ابن اخيه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لقد تحمل (رضي الله عنه) المصاعب والمتاعب بعد مبعث الرسول الأعظم فوقف في وجه قريش التي حاربت محمدا ودعوته .

تحمل ابو طالب ما لم يتحمله بشر لو أمعنا ونظرنا بعين الروية والانصاف، إذ جابَه قريشا غير مبال بعدائها له وبمقاطعتها اياه .

تحمل ابو طالب العزلة والحرمان عندما كان محصوراً بالشعب وهو

الزعيم المهاب الجانب، واقدم على التضحية لاجل سلامة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . يفديه باولاده كما حدثنا التاريخ، من أنه كان يسهر الليل حتى تهدأ العيون . فيوقظ محمدا من فراشه، ويأمر أحد اولاده بالمبيت مكانه . ليلة ينام علي . . وليلة جعفر . . وليلة عقيل . . وهكذا طيلة ثلاثة اعوام . لا يمل ولا يسأم، خوفاً على النبي من أن تغتاله قريش خلسة، لأنها كانت تتربص به الغوائل كما اسلفنا.

هذه من علاه احدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها

قال ابن دحلان في سيرته : كان علي (رضي الله عنه) أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ،وقى بنفسه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالامتثال لأوامره ، وبالامتثال باع نفسه وفي ذلك يقول علي (رضي الله عنه) :

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف ان يمكروا به فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً موقّى[1]وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت أُراعيهم وما يتهمونني وقدوطنت نفسي على القتل والاسر[2]

(١) هكذا في الاصل - والظاهر موقى.
(٢) السيرة النبوية . لابن دحلان.

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الغار

يـا لعظمـة الحق وجـلال الايمـان ، امـام القـوة القـدسيـة والارادة السماوية ، عندما خرج محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من داره التي في جوار الحرم المكي ، متوجهاً حيث امره الله سبحانه بالهجـرة الى يثرب ـ المـدينة المنـورة ـ متكـلاً عـلى ربـه الـذي ارسله بـالهـدى ودين الحق، واوصاه بالصبر، ووعده بالنصر.

خرج محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) من وطنه ومن بلده، ومن بين قومه الذين طغت عليهم الوثنية بباطلها ، فاعمـت منهم البصائـر، واقفلت القلوب، وتركتهم يتخبطون في مجتمع موبوء فاسد.

خرج الرسـول الأعظم مهـاجراً من مكـة. . الـقى نظرة عـلى ديار الاحبة وملعب الطفولة ، ومغاني الصبا، وموطن الأهل، ومثوى الأجداد الكرام .

في السـاعة التي خـرج بها النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) من مكـة متوجهـا الى المدينـة ، وقف التاريـخ بكل اجلال واعـظام ، يعلن للوجود الانساني الانقلاب الجديد الذي قـام به النبي الأمي (صـلى الله عليـه وآله وسلم) ليخـرج البشـريـة من ظلمـات الجهـل الى نـور العلم والمعرفة، الى الدين الصحيح، الى الحق الواضح والصراط المستقيم .

خرج الرسول يحمل رسالته المقدسة، مشعل الحرية، يضيء أمامها نور الحق، وتعلن فيها كلمة التوحيد، وتحرر بها العقول من رق العبودية، والقلوب من اسر الأوهام ، وترتفع النفس الانسانية عن كل ما يشينها من الادناس والمفاسد.

اجمع المؤرخون واصحاب السيرة على ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج من مكة وتوجه نحو جبل في القرب منها فيه غار يعرف باسم غار ثور، نسبة لثور بن عبد مناة لأنه ولد عنده، واستخلف ابن عمه علي بن اي طالب للمبيت على فراشه، على ان يلحق به بعد أن يؤدي ما عنده من الامانات لاصحابها . وامره بان يقيم منادياً بالابطح غدوة وعشية ينادي: ألا من كانت له قبل محمد أمانة فليأت لتؤدى اليه امانته . وأوصاه أن يقدم عليه مع ابنته فاطمة وغيرها من النسوة، اذا فرغ من اداء المهمات التي كلفه بها . فيوافيه الى المدينة حيث المقر الجديد الذي ارتضاه الله له حيث الانصار .

وجاء في كتب السيرة ايضاً: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امر ابا بكر وهند بن ابي هالة ـ ربيب رسول الله من زوجته ام المؤمنين خديجة ـ أن يقعُدا له في مكان حدده لهما قرب الغار.

ولما خرج في ظلمة الليل من بيته انسل من بين المتآمرين عليه مضى في طريقه حتى أتى ابا بكر وهندا، فنهضا معه . ودخل هو وابو بكر الى الغار ورجع هند متخفيا الى مكة .

وشاءت حكمة الله سبحانه أن تأتي عنكبوت فتسد باب الغار بنسيجها ويعشعش في مدخله حمامتان بريتان وتبيضان على بابه .

وعندما لم تجد قريش محمداً في فراشه، وخابت مساعيها وفشلت مؤامرتها ، وسألت علي بن ابي طالب عنه ـ واجاب ـ لا ادري . . ايقنت أن الأمر أُفلت من يدها ، وخافت من عواقب الأمور .

عندها ثارت ثائرتها وجدَّت في طلبه ، فارسلت العيون والارصاد، ورابطت في الطرق والمسالك وجميع المنافذ المؤدية الى مكة ، واستنفرت الرجال، واستدعت اهل الخبرة بالقيافة لاقتفاء أثر محمد ومعرفة مكانه . وجعلت جائزة كبيرة ، مائة بعير ـ لمن قتله ـ أورده الى مكة ـ أو أخبر عنه ـ أو دلها على مكانه .

وذكر الطبري في تاريخه : « أن أبا بكر أتى عليا فسأله عن نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره أنه لحق بالغار من ثور، وقال : إن كان لك فيه حاجة فالحقه، فخرج ابو بكر مسرعاً، فلحق نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الطريق . فسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جرس[1]ابي بكر في ظلمة الليل، فحسبه من المشركين، فاسرع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المشي ، فانقطع قبال نعله[2]، ففلق ابهامه حجر فكثر دمها، وأسرع السعي ، فخاف ابو بكر أن يشق على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرفع صوته ، وتكلم، فعرفه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقام حتى أتاه ، فانطلقا ورجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تستنّ دما، حتى انتهى الى الغار مع الصبح، فدخلا. واصبح الرهط

---

(١) الجرس: بتسكين الراء، الصوت أو خفيه .
(٢) القبال من النعل، زمامها .

الذين كانوا يرصدون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فدخلوا الدار، وقام علي (عليه السلام) عن فراشه، فلما دنوا منه عرفوه . فقالوا له : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري، أو رقيباً كنت عليه ! أمرتموه بالخروج فخرج[1].

جاء في بعض الروايات أن الرسول الأعظم بعد أن أمر علياً بالمبيت على فراشه وامره ايضاً ان يبقى في مكة ريثما يؤدي عن الرسول الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس بمكة احد عنده شيء يخشى عليه الا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وامانته . قال لعلي: اذا أتاك ابن ابي قحافة فاخبره اني توجهت الى غار ثور، وارسل الي بطعام، واستأجر لي دليلا يدلني على طريق المدينة، واشتر لي راحلة .

وروي ايضاً أن أبا بكر ابتاع راحلتين، واستأجر دليلا - عبد الله بن اريقط - وكان مشركاً ليدلهما على طريق المدينة . ودفع اليه الراحلتين واوصاه أن يرعاهما حتى يحين وقت الخروج .

مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع صاحبه ابي بكر في الغار ثلاثة ايام . وكانت اسماء بنت ابي بكر تأتيهما بالطعام .

ولما لجأ الى الغار ليسكن الطلب عنهما ، وذلك لأن المشركين حينما فقدوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذهبوا في طلبه كل مذهب من سائر الجهات كما أسلفنا ، واقتصوا آثاره حتى اختلط عليهم الأثر - وكان الذي يقتص الأثر لقريش، سراقة بن مالك . فصعدوا الجبل الذي في

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٧٤.

داخله الغار وهما فيه . وجعلوا يمرون على باب الغـار، فتحاذي أرجلهم باب الغار ولا يرونهما ، وذلك حفظاً من الله سبحانه .

لكن أبـا بكر كـان يرتجف خـوفاً وحـزنـا من أن يـدركهـما الـطلب وينكشف أمرهما، فيقول للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يرتعـد فرقاً: لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا . . فيجيبه الـرسول (صـلى الله عليه وآله وسلم) ويطمئنه قائلاً : لا تحـزن إن الله معنا . والى هـذا اشـار القرآن الكـريم بقولـه تعـالى : ﴿**إلا تنصـروه فقـد نصـره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾[1] .

وجـاء في بعض الـروايـات ان اسماء بنت أبي بكـر كـانت تـأتيهـما بالطعام حتى اذا مضت ثلاثة ايام وسكن عنهما الطلب اتاهما عبد الله بن أريقط ببعيريهما وبعـير له ، واتتهـما أسماء بسفـرتهما ونسيت أن تجعـل لها عصاما[2]، فلما ارتحـلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس لها عصام، فحلت نطاقهـا وشقته اثنين، وعلقت النسفرة بواحد، وانتطقت بالآخر. ولذلك كان يقال لها ـ ذات النطاقين ـ.

وفي السيرة الهشاميـة عن ابن اسحاق أنـه قال: لمـا قرَّب ابو بكـر الراحلتين الى رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) قـدم له افضلهـما ثم قال: اركب فداك أبي وامي .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إني لا اركب بـعيـراً

(١) سورة التوبة، آية ٤١.

(٢) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرها .

ليس لي قال : فهي لك يا رسول الله بابي وانت وأمي .

قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا . . . ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟

قال : كذا ـ وكذا .

قال: قد اخذتها به .

قال : هي لك يا رسول الله .

فركبا وانطلقا واردف ابو بكر الصديق عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق . واخذ بهم الدليل على طريق الساحل(١) .

وتذكر بعض الروايات عن ابن ابي رافع : أن سائلا سأله ، أكان رسول الله يجد ما ينفقه ليدفع الثمن لابي بكر ؟ ! قال له : أين يذهب بك ـ تفكيرك ـ عن مال خديجة ؟ ، لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يفك من مالها الغارم ، ويحمل العاجز ، ويعطي في النائبة ، وينفق على فقراء اصحابه ، ويحمل من اراد منهم الهجرة .

روى صاحب البداية والنهاية عن ابن اسحاق أنه قال: بلغني ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما خرج من مكة مهاجراً الى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً، اللهم أعني على هول الدنيا، وبوائق الدهر، ومصائب الليالي والأيام .

اللهم اصحبني في سفري، واخلفني في اهلي، وبارك لي فيما

---

(١) تنكب الدليل الطريق وسلك بهم طريق الساحل وهي ابعد من طريق الجادة التي كان يسير عليها الناس حتى لا يلحق بهم احد من قريش والله أعلم .

رزقتني، ولك فذلّلني، وعلى صالح خلقي فقومني، واليـك رب فحببني، والى الناس فلا تكلني ، انت رب المتضعفين . . . أنت ربي اعوذ بوجهك الكـريم، الـذي أشـرقت لـه السمـاوات والارض ، وكشـفت بـه الظلمات ، وصلح عليه امر الأولين والآخرين، أن تحل علي غضبـك، وتنـزل بي سخطك ، أعـوذ بـك من زوال نعمتـك ، وفجـأة نقمتـك ، وتحـول عـافيتـك ، وجميـع سخـطك . لـك العقبى عنـدي خـير مـا استطعت ، ولا حول ولا قوة الا بك ، (١).

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير -ج ٣ -ص ١٧٨. وهذا الدعاء ذكره اكثر اصحاب السير مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات.

قصة ام معبد الخزاعية

خرج الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من الغار يرافقه ابو بكر متوجهاً نحو يثرب حيث المؤمنين من المهاجرين والانصار ينتظرونه بفارغ الصبر .

انطلق بهما الدليل يجتاز الوهاد وسارا مدة من الزمن حتى اضناهما الجهد واعوزهم الطعام،لأن الدليل ـ عبد الله بن اريقط ـ سلك طريقاً لا يسلكه احد ليبتعد عن الذين يطاردون المهاجر العظيم .

جاء في رواية : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج الى المدينة هو وابو بكر، وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي ، فمروا بخيمتي ام معبد الخزاعية. وكانت ام معبد امرأة برزة ، جلدة ، تحتبي ، وتجلس بفناء الخيمة ، فتطعم وتسقي ، فسألوها : هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك .

وقالت لهم : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، . . وذا القوم مرملون ، مسنتون .

فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاذا شاة في كسر خيمتها فقال : « ما هذه الشاة يا أم معبد » ؟ .

فقالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم .

قال : فهل بها من لبن ؟

قالت : هي اجهد من ذلك .

قال : اتأذنين لي ان احلبها ؟

قالت : ان كان بها حلب فاحلبها .

فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالشاة فمسحها وذكر اسم الله . . ومسح ضرعها وذكر اسم الله، ودعا باناء لها يربض الرهط[1]. فتفاجت[2]واجترت، فحلب فيه ثجاً[3]حتى ملأه وارسله اليها، فسقاها وسقى اصحابه عللا بعد نهل حتى اذا رووا شرب آخرهم وقال: « وساقي القوم آخرهم شرابا » .

ثم حلب فيه ثانيا عوداً على بدء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا .

قال: فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً، يتساوكن هزلا لا نقى بهن[4]منحهن قليل، فلما رأى اللبن عجب وقال: من اين هذا اللبن يا ام معبد . . ولا حلوبة في البيت والشاة عازب ؟ ! .

فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديث كيت وكيت .

---

(١) يربض الرهط ـ أي يشبع الجماعة .
(٢) فتفاجت ، فرجت بين رجليها .
(٣) فحلب فيه ثجاً ، حلباً قوياً.
(٤) النقى، المخ .

فقال لها : صفيه لي فوالله اني لأراه صاحب قريش الذي تطلب.

فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق، مليح الوجه ، لم تعبه ثجلة[1] ولم تزر به صعلة[2]، قسيم وسيم في عينيه دعج ، وفي اشفاره وطف، وفي صوته صحل[3]، أحول اكحل، ازج أقرن، في عنقه سطع وفي لحيته كثافة. اذا صمت فعليه الوقار، واذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، أبهى الناس واجمله من بعيد، واحسنه من قريب. ربعة لا تنساه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر. الى آخر ما هنالك من الوصف الجميل.

فقال لها أبو معبد ـ زوجها ـ : هذا والله صاحب قريش الذي تطلب، ولو صادفته لالتمست أن اصحبه ، ولاجهدن ان وجدت الى ذلك سبيلا[4].

وقد هاجرت ام معبد الخزاعية هي وزوجها ابو معبد الخزاعي الى مدينة الرسول (يثرب) حيث اسلمت هي وزوجها.

---

(١) ثجلة ، ضخم البطن ، ويروى بالنون والحاء، نحلة ، نحول ودقة.
(٢) والصعلة صغر الرأس.
(٣) صحل صوته : بح وخشن فهو صحل واصحل.
(٤) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣، ص ١٩٣.

قصة سراقة بن مالك

جاء في السيرة الهشامية عن ابن اسحاق، قال : لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة مهاجراً الى المدينة، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم .

قال ـ سراقة ـ : فبينا انا جالس في نادي قومي اذ أقبل رجل منا ، حتى وقف علينا ، فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علي آنفاً، اني لأراهم محمداً واصحابه .

قال: فأومأت اليه بعيني . . أن اسكت، ثم قلت : انما هم بنو فلان، يبتغون ضالة لهم ، قال:لعله،ثم سكت .

قال: ثم مكثت قليلا، ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي، فقيد لي الى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فاخرج لي من دبر حجرتي، ثم اخذت قداحي التي أستقسم بها ، ثم انطلقت فلبست لامتي[1]ثم اخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي اكره « لا يضره ».

قال: وكنت ارجو ان ارده على قريش فآخذ المائة ناقة ـ الجائزة ـ.

---

(١) اللامة : الدرع والسلاح .

قـال: فركبت عـلى اثره، فبينـما فرسي يشتـد بي عـثر بي فسقـطت عنه .

قـال : فقلت : ما هـذا ؟ قال: ثم اخـرجت قداحي فـاستقسمت بها، فخرج السهم الذي اكره « لا يضره » .

قال: فابيت الا أن اتبعه .

قـال: فركبت في اثـره، فبينا فـرسي يشتد بي، عـثر بي، فسقـطت عنه .

قال : فقلت : ما هـذا ؟ ! فابيت الا ان اتبعـه، فركبت في أثـره، فلما بـدا لي القوم ورأيتهم، عـثر بي فرسي ، فـذهبت يـداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالاعصار[1] .

قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني، وانه ظاهر .

قـال: فنـاديت القـوم فقلت: انـا سراقـة بن جعشم: انظـروني اكلمكم ، فوالله لا اريبكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه .

قال : فقال رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) لابي بكـر: قل له: وما تبتغي منا ؟ .

قال : فقال ذلك ابو بكر : قال: قلت : تكتب لي كتـاباً يكـون آية بيني وبينك .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اكتب له يا ابا بكر .

---

(١) الاعصار: ريح معها غبار .

قال سراقة : فكتب لي كتاباً في عظم ، أو في رقعة ، أو في خزفة ، ثم القاه إلي ، فاخـذته ، فجعلتـه في كنانتي ثم رجعت ، فسكت ، فلم اذكـر شيئاً مما كـان ، حتى اذا كان فتـح مكة عـلى رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) وفرغ من حنين والطائف ، خـرجت ومعي الكتاب لالقـاه ، فلقيته بالجعرانة[1] .

قال : فدخلت في كتيبة من خيل الأنصـار . قال : فجعلوا يقـرعونني بالرماح ويقولون : اليك . . اليك ماذا تريد ؟

قال : فدنيت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو على ناقته ، والله لكأني أنظر الى ساقه في غرزه[2] كأنها جمارة[3] .

قـال : فرفعت يـدي في الكتاب ثم قلت : يـا رسـول الله . . هـذا كتابك لي . . أنا سراقة بن جعشم . .

فقال رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلـم) : يوم وفـاء وبر . . ادنه .

قال : فدنوت منه فاسلمت[4] .

وفي روايـة ابن كثير بعـدما ذكـر قصة سـراقة ، وتعـرضـه للرسـول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسقوطه عن حصانـه ، وبعد أن طلب من

---

(١) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة . . وهي الى مكة اقرب ، معجم البلدان .
(٢) الغرز للرحل ، بمنزلة الركاب للسرج .
(٣) الجمار : شحم النخلة ، واحدته جمارة .
(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

الرسول كتابا يكون آية بينه وبينه ، وبعد أن كتب له الرسول الكتاب في عظم او رقعة أو خزفة ، كتم سراقة امره ورجع الى مكة .

قال ابن كثير: « ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحداً من الطلب الا رده وقال: كفيتم هذا الوجه .

فلما ظهر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وصل الى المدينة. جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وما شاهد من امر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما كان من قضية جواده، واشتهر هذا عنه . فخاف رؤساء قريش معرته . وخشوا أن يكون ذلك سببا لاسلام كثير منهم . وكان سراقة أمير بني مدلج ورئيسهم . فكتب ابو جهل (لعنه الله) اليهم :

بني مدلج اني اخاف سفيهكم   سراقة مستغوٍ لنصر محمد
عليكم به ألا يفرق جمعكم   فيصبح شتى بعد عز وسؤدد

قال: فقال سراقة بن مالك يجيب ابا جهل (لعنه الله) في قوله هذا :

ابا حكم والله لو كنت شاهداً   لأمر جوادي اذ تسوخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بان محمداً   رسول وبرهان فمن ذا يقاومه
عليك فكف القوم عنه فانني   اخال لنا يوماً ستبدو معالمه
بامر تود النصر فيه فانهم   وان جميع الناس طرا مسالمه[1]

وتذكر الروايات ان الرسول الأعظم بعد رجوع سراقة بن مالك الى

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣، ص ١٩٨.

مكة ووعده للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بان يثبط عـزيمة قـريش ـ الضالة ـ والجادة في طلبه .

تابع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مسيره نحو المدينـة متكلاً على ربه الذي وعده بالظهور والنصر.

ولما ترامت انباء هجرة النبي المقدسة ومغـادرته مكـة، استبشر اهـل المدينة وفرحوا فرحاً عظيماً وتوقعوا السعادة الابدية بمجد الدنيا والآخرة . وفي خروج النبي من مكة الى المدينة واحتواء الانصار لـه قال حسـان بن ثابت :

لقـد خـاب قـوم زال عنهم نبيهم ... وقد سر من يسري اليهم ويغتدي
تـرحَّلَ عن قـوم فـزالت عقـولهم ... وحـل عـلى قـوم بنـور مجـدد
هـداهم بـه بعـد الضـلالـة ربهم ... وارشـدهم من يتبع الحق يـرشـد
وهل يستوى ضُـلَّال قوم تسفهـوا ... عمىً وهـداة يهـتـدون بمهتـد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم او في ضحى الغد[1]

وقد زاد ابن دحلان في سيرته بقوله :

وقد نزلت منه على اهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم باسعد[2]

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣ ص ١٩٤.
(٢) السيرة النبوية لابن دحلان، هامش السيرة الحلبية، ج ـ١ ـ ص٣٧٢.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في طريقه الى المدينة

انطلق الرسول العظيم بركبه القليل قاطعاً بطون تهامة ومجتازاً وهاد الصحراء وآكامها .

كانت رحلة قاسية في قيظ محرق لا يجدون ظلاً يتقون به حر الهاجرة . فضلا عما كانوا يتخوفون من أن يلحق بهم الطلب من قريش. وتابعوا طريقهم، ينيخون ويستريحون في حمّارة القيظ، ويسيرون على سفينة الصحراء الليل كله . يجدون في سكينته وهدوئه، وفي ضوء نجومه اللامعة في تلك الظلمة ما تطمئن له قلوبهم، وتستريح نفوسهم المملوءة بالثقة بالله، والصبر، وعظيم الايمان بالحق الذي أنزل على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولما قطعوا من رحلتهم القسم الأكبر من المسافة التي بين مكة ـ والمدينة ـ يثرب ـ وذلك طيلة سبعة ايام على ارجح الأقوال . واصبحوا في امان من طلب قريش، قاربوا مقام قبيلة بني سهم، جاء اليهم شيخها بريدة يحمي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . عندها زالت مخاوفهم واطمأنت قلوبهم وقد اصبحوا على مقربة من يثرب .

في فترة رحلتهم المضنية، كانت الأخبار قد ترامت الى اهل المدينة ـ وجوارها ـ بهجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة اليهم .

وروي أنه خرج ابـو ذر الغفاري (رضي الله عنـه) في قبيلتي غفار واسلم ، عندما سمـع بهجرة الـرسول وقـربه من مقـام قبيلتهم . خرج للقائه .

وعندما وقعت عين ابي ذر على النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) أسرع اليه وهو يكاد يـطير فرحـاً وسروراً بهـذا اللقاء الـذي كان يتمنـاه وينتظره بفارغ الصبر، فاخذ بزمام ناقة النبي وهو يقول : يا رسـول الله ان غفاراً قد اسلم اكثرها .

واجتمعت قبيلة غفـار عند الـرسول (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) للاستماع له ولتقر منهم العيون برؤ ية صاحب الرسالة التي آمنوا بها قبل أن تشاهده الاعين .

التفوا حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا له : يا رسول الله ان أبا ذر قد علمنا ما علمته . فاسلمنا وشهدنا انك رسول الله .

واسـرعت القلة التي تخلفت من غفار الى مبـايعـة النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) واعلان الاسلام .

وبعد ذلك تقـدمت قبيلة أسلم، وقالت لـه : يا رسـول الله انا قـد اسلمنا ، ودخلنا فيها دخل فيه اخواننا وحلفاؤ نا .

عنـد ذلك اشـرق وجه النبي محمـدا (صلى الله عليـه وآله وسلم) سروراً بنصر الله لـه ، وانجاز وعـده ، واظهار امـره . . فهذه أول تبـاشير الفوز .

ثم التفت (صلى الله عليه وآلـه وسلم) اليهم وقال : غفـار غفر الله

لها . . واسلم سالمها الله ـ أو سلمها الله ـ .

انطلق (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو المدينة ـ يثرب ـ لا كمال رحلته المباركة .

الفصل

السابع والعشرون

لمحة موجزة عن تاريخ المدينة

ولا يسعنا ونحن نستعرض سيرة الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهجرته المباركة من مكة المكرمة الى يثرب ـ المدينة المنورة ـ التي شرفها الله سبحانه وتعالى بالهجرة النبوية ، فاصبحت تضاهي مكة مجداً وعزا . . وشرا وقداسة . حيث ضم ثراها قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وروي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عند هجرته الى لمدينة قال : « اللهم اجعل لنا بها قراراً ، ورزقاً واسعاً . . الى آخره ـ .

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضاً قوله : « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة واشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها . . الى آخره .

لنلتفت قليلاً عبر القرون الخالية، ونسائل التاريخ عن ـ يثرب ـ التي اراد الله سبحانه وتعالى ان تصبح موئلا للمسلمين ، والمقر الرئيسي للنبي الهادي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . ويشع منها نور الاسلام بتعاليمه السامية ليعم العالم اجمع . وتتشرف بالنبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ونزول أمين الوحي جبريل، هابطاً بالآيات البينات القرآن الكريم ـ الدستور العظيم ـ ، وتفوز يثرب على مر

الدهور بالشرف والقداسة ، وبلقب المدينة المنورة ، وطيبة ، وغيرها من الاسماء الحسنة ، وتبقى شامخة محاطة بالاحترام والتبجيل على توالي الليالي والايام، وتصبح المدينة المنورة محط الانظار يؤمها الملايين من المسلمين، للتبرك بزيارة قبر النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته الاطهار (عليهم السلام). لماذا سُميت يثرب ؟ ومن بناها ؟

سميت - يثرب - لأن أول من سكنها عند تفرق سد مأرب - يثرب - بن قانية من ولد سام بن نوح (عليه السلام) .

روى ياقوت في معجمه : أن أول من زرع بيثرب - المدينة المنورة - واتخذ بها النخل وعمر بها الدور والأطام[1]واتخذ بها الضياع، العماليق، وهم بنو عملاق بن ارفخشد بن سام بن نوح (ع) ، ونزلت اليهود بعدهم الحجاز ، وكانت العماليق ممن انبسط في البلاد، فاخذوا ما بين البحرين وعمان، والحجاز كله الى الشام. ومصر، فجبابرة الشام وفراعنة مصر منهم .

وكان ساكنو المدينة منهم بنوهف، وسعد بن هفان، وبنو مطرويل، وكان ملك الحجاز الارقم بن ابي الارقم :

وقيل : كان سبب نزول اليهود بالمدينة ، ان موسى بن عمران (عليه السلام) حين اظهره الله تعالى على فرعون بعث الى الكنعانيين فوطىء الشام واهلك من كان بها . ثم بعث بعثاً آخر الى الحجاز الى العماليق فقاتلوهم وقتلوا ملكهم الأرقم بن ابي الارقم، واقاموا بيثرب في حديث طويل .

---

(١) الاطم : - الحصن - جمعها آطام .

وفي رواية أن علماء اليهود واحبارهم كانـوا يجدون في التـوراة صفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنه يهـاجر الى بلد فيـه نخل بـين حرتين[1]، فاقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصـاً منهم على أن يكـون النبي منهم أو يكونوا من اتباعه ، فلما رأوا تيماء وفيها النخل عرفوا صفته وقالوا : هـو البلد الذي نـريده ، فنـزلوا وكـانوا اهله، حتى اتـاهم تبع فانزل معهم بني عمرو بن عوف. والله اعلم .

وقيل : لمـا كان من سيـل العرم مـا كان وتفـرق اهل مـأرب أيدي سبأ . . لحق بيثرب الأوس والخزرج ابنا حـارثة بن ثعلبـة ، وامهم قيلة بنت الارقم بن عمـر بن جفنة ، وقيـل قيلة بنت هـالـك بن عـذرة من قضاعة . لذلك سُمي الانصار « بنو قيلة » ـ . فـأقامـوا في مكانهم عـلى جهد وضنك من العيش.

وكان ملك بني اسرائيل في « يثرب » رجـلا ظالمـاً-فاسقـاً يقال لـه ـ الفـطيون ـ أو الفيـطوان ـ وكانت اليهـود،والأوس ، والخـزرج، يـدينون لـه ، وقـد قتله مـالـك بن العجـلان الخـزرجي في قصـة طـويلة لسنـا بصددها[2]وهرب مالـك بعد قتـل الفطيـون حتى قدم عـلى ابي جبيلة ، احد ملوك بني غسان ـ وقيل بل قصـد اليمن الى تبع الاصغـر ـ . فشكا اليه ما كان من الفطيون وما كان يعمل في نسائهم وأنه قتله وهرب، وأنه لا يستطيع الرجوع خوفاً من اليهود .

فعـاهـده ابـو جبيلة عـلى الانتصـار للعـرب وقتـل رؤ سـاء اليهــود

---

(١) الحرة : الساحة . أي بين ساحتين .

(٢) راجع معجم البلدان ـ لياقوت الحموي.

واذلالهم . واقبل سائراً من الشام الى الحجاز ، واوقع باليهود، وانصرف راجعاً الى بلاده . وصارت الأوس والخزرج من يومئذٍ أعز أهل المدينة ، وقمعوا اليهود، وسار ذكرهم ، وصار لهم الاموال والآطام . وفي ذلك يقول الرمق بن زيد الخزرجي يمدح أبا جبيلة :

وابو جبيلة خير من يمشي واوفاهم يمينا
وابرهم براً واعلمهم بفضل الصالحينا
ابقت لنا الايام والحرب المهمة يعترينا
كبشاً له زرٌّ يفل متونها الذكر السنينا
ومعاقلا شمسا واسيا فأ يقمن وينحنينا
ومحلة زوراء تجحف بالرجال الظالمينا(١)

يروي لنا التاريخ أنه بعد انتصار الأوس والخزرج على اليهود كما أسلفنا . وصارت اليهم الزعامة والقيادة، حصل الخلاف بينهم والتقاتل والتناحر من جراء دسائس اليهود الموتورين الذين راحوا ينفثون سمومهم . ويشعلون نار الحقد والبغضاء بين اهل المدينة ، وقعت الحروب الدامية بين قبائلهم كوقعة بعاث وغيرها التي كانت تترك عداوة متأصلة بين الأوس والخزرج .

ودامت الحروب القبلية والمنازعات تطحن برحاها كلا الجانبين مدة من الزمن ، حتى جاء الاسلام فوحَّد صفوفهم المتفرقة، وطهر القلوب من الضغائن والحقد والبغضاء، وعاشوا في ظل اسلام اخوانا تحت لواء العقيدة والايمان .

---

(١) معجم البلدان، لياقوت الحموي. مادة مدن .

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قباء

تابع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بموكبه طريقه نحو المدينة، غير مبال بما يعترضه من الصعاب والمشقات التي كانت تواجه ركبه الصغير المؤلف من افراد قلائل .

ولما اصبحوا على مشارف المدينة التفت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً : من يدلنا على الطريق الى ديار بني عمرو بن عوف ؟ . . . فاجابه ناس الى ذلك .

وعندما بلغ قباء حيث منازل بني عمرو بن عوف نزل على كلثوم بن هدِم[1] وروي انه (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل عى سعد بن خيثمة . واقام بقباء وذلك لاحد عشر ـ أو لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول .

ويروى أن أبا بكر طلب من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

(١) هو كلثوم بن الهدم بن امرء القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف. وكان شيخاً كبيراً مات بعد قدوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة بيسير. وهو اول من مات من الانصار بعد قدوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . ثم مات بعده اسعد بن زرارة بايام . وكان كلثوم بن الهدِم يكنى ـ أبا قيس.

أن يدخل المدينة . لكن النبي أصرَّ على بقائه في قباء . . وقال: ما انا بداخلها حتى يقدم ابن عمي . . وابنتي - يعني بذلك عليا وفاطمة (عليهم السلام) .

جاء في سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق عن جماعة من اصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهم قالوا : « لما سمعنا بمخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة وتوكفنا[1]قدومه ، كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فاذا لم نجد ظلا دخلنا ، وذلك في ايام حارة، حتى اذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جلسنا كما كنا نجلس، حتى اذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين دخلنا البيوت .

فكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع ، وانا ننتظر قدوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علينا . فصرخ باعلى صوته :

- يا بني (قيلة)[2]هذا جدُّكم[3]وقد جاء .

فخرجنا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في ظل نخلة ومعه ابو بكر (رضي الله عنه) في مثل سنه ، واكثرنا لم يكن رأى

(١) توكفنا قدومه : استشعرناه وانتظرناه .
(٢) قيلة بنت هالك ، جدة الانصار، الأوس والخزرج .
(٣) هذا جدكم؛ حظكم.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل ذلك . وركبه الناس[1] وما يعرفونه من ابي بكر حتى زال الظل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقام ابوبكر واظله بردائه، فعرفناه عند ذلك .

فنزل رسول الله على كلثوم بن هدِم اخي بني عمرو بن عوف . ويقال: بل نزل على سعد بن خيثمة . ويقول من يذكر انه نزل على كلثوم بن هدِم انما كان رسول الله اذا خرج من منزل كلثوم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة .

ونزل ابو بكر على خبيب بن اساف احد بني الحارث بن الخزرج .

واقام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بمكة ثلاث ليال وايامها حتى ادى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الودائع التي كانت عنده للناس، حتى اذا فرغ منها لحق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزل معه على كلثوم بن هدِم »[2].

وروي أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب من قباء الى علي (عليه السلام) فلما اتاه كتاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابتاع ركائب لمن معه من النسوة وتهيأ للخروج ، وأمر من كان قد بقي في مكة من ضعفاء المؤمنين ان يتسللوا ليلا الى ذي طوى.

وجاء في اعيان الشيعة عن الشيخ الطوسي قوله : « خرج علي بالفواطم ـ وهن فاطمة بنت رسول الله ـ وأمه فاطمة بنت اسد بن

---

(١) ركبة الناس، ازدحموا عليه .

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢ ، ص ١٣٧، ١٣٨ .

هاشم ـ وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب . وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب . وتبعهم ايمن إبن أُم أيمن مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابو واقد الليثي ـ الذي جاء بالكتاب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى علي (عليه السلام) ـ .

قال الشيخ الطوسي : فجعل ابو واقد يسوق الرواحل سوقاً حثيثاً، فقال علي : ارفق بالنسوة يا ابا واقد.. انهن من الضعائف .

قال : إني اخاف أن يدركنا الطلب .

قال : أربع عليك . . ثم جعل علي يسوق بهن سوقاً وهو يقول :

ليس الا الله فارفع ظنكا يكفيك رب الناس ما أهمكا

فلما قارب ضجنان أدركه الطلب، وهم ثمانية فرسان ملثمون معهم مولى لحرب بن أُمية اسمه جناح ، . وكأن قريشاً، لما فاتهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبطل كيدهم فيه، ولم يقدروا عليه، ثم رأوا أن علياً قد خرج من بينهم جهاراً بالفواطم الهاشميات ، لاحقا بابن عمه أعدى أعدائهم . وما هو الا رجل واحد وهم عصبة، أخذهم الحنق، وهاجت بهم العداوة ، وقالوا : كيف يخرج هذا الشاب الهاشمي، ابن عم محمد، المنفرد بنسائه، ظاهراً غير هياب . ولا نناله بسوء ولا نرده صاغراً . . . إن هذا لذل وعار علينا الى الابد ؟! .

فانتخبوا من فرسانهم هؤلاء الثمانية ليلحقوه ويردوه . فقال علي لأيمن وابي واقد : انيخا الابل واعقلاها .وتقدم فانزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم علي (عليه السلام) منتضياً سيفه ـ والله اعلم كم كان خوف النسوة لما رأين هذه الحال وكأنهن كن يتناجين . . هل يستطيع علي وهو

رجل واحد راجل ليس بفارس مقاومة ثمانية فرسان ؟ . . فتارة يغلب عليهن اليأس، ويبتهلن الى الله تعالى أن ينصر علياً على عدوه . . وتارة يقلن أن علياً ملامح الشجاعة عليه ظاهرة بينة، ولو لم يعلم أنه كفؤ لكل من يعارضه لما خرج بنا ظاهراً معلناً، فيغلب عليهن الأمل .

فقال الفرسان لعلي: ظننتَ أنك ، يا غدار، ناج بالنسوة ارجع لا أباً لك . ـ

قال علي (عليه السلام) مجيباً لهم جواب شخص غير مبال بهم ولا مكترث، جواب هادىء مطمئن : فان لم افعل ؟ ! .

فأجابوه بجواب كسابقه في القساوة والجفاء . . قالوا : لترجعن راغما او لنرجعن باكثرك شعرا، واهون بك من هالك ، ودنوا من المطايا ليثوروها ، فحال علي (عليهم السلام» بينهم وبينها ، فأهوى له جناح بسيفه ، فراغ عن ضربته ـ رواغ عارف بالفنون الحربية ماهر فيها وهو بعد لم يباشر حربا قبلها ـ وسنه لم يتجاوز العشرين أو تجاوزها بقليل ، وضرب جناحاً على عاتقه فقده نصفين حتى وصل السيف الى كتف فرسه . وشد على اصحابه الباقين وهو على قدميه شدة ضيغم وهو يقول :

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد الا الواحد

فتفرق القوم عنه وقالوا :احبس نفسك عنّا يا ابن ابي طالب قال : فاني منطلق الى اخي وابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن سره أن أفري لحمه وأريق دمه فليدن مني . .

ثم اقبل علي (عليه السلام) بعد قتله جناحاً وفرار اصحابه . .

على أيمن وابي واقد وقال لهما : اطلقا مطاياكما .

ثم سار ظافراً قاهراً حتى نزل ضجنان . فلبث بها يومه وليلته ، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين فيهم أم أيمن مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وبات ليلته تلك هو والفواطم طوراً يصلون ، وطورا يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلى بهم صلاة الفجر ثم سار لا يفتر عن ذكر الله هو ومن معه حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى:

﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ، ـ الى قوله ـ : فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئآتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾[1].

وتلى (صلى الله عليه وآله وسلم): **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾**[2].

وفي السيرة الحلبية : لما قدم علي (عليه السلام) من مكة ، كان يسير الليل ويكمن النهار، حتى تفطرت قدماه، فاعتنقه

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٩١، ١٩٥.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٠٧.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكى رحمة لما بقدميه من المرض، وتفل في يديه، وأمرَّهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك .

وفي اسد الغابة بسنده عن ابي رافع في تتمة الخبر السابق قال : وأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً أن يلحقه بالمدينة « فخرج علي في طلبه بعدما اخرج اليه أهله يمشي الليل، ويكمن النهار حتى قدم المدينة فلما بلغ النبي قدومه قال: ادعوا لي علياً . .

قيل: يا رسول الله لا يقدر أن يمشي . . .

فاتاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما رآه اعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فتفل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في يديه ومسح بهما رجليه ودعا له بالعافية، فلم يشتكهما حتى استشهد »[١] .

وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق قال : « فاقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقباء، في بني عمرو بن عوف، يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الاربعاء، ويوم الخميس، وأسس مسجده .

وكان مسجد قباء أول مسجد بني في الاسلام .

ثم اخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم اكثر من ذلك فالله اعلم »[٢].

---

(١) اعيان الشيعة « السيد محسن الأمين، ج ٣، ص ١٥٦، ١٥٧.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ١٣٩ .

خطبة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في اول جمعة صلاها في بني سالم بن عوف

جاء في البداية والنهاية انه « لما ارتحل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من قباء وهو راكب ناقته القصواء، وذلك يوم الجمعة ، أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك، في واد يقال له وادي رانوناء، فكانت أول جمعة صلاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقا، لأنه والله اعلم لم يكن يتمكن هو واصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة واعلان بموعظة، وما ذاك الا لشدة مخالفة المشركين له ، واذيتهم اياه .

ويروي صاحب البداية والنهاية خطبة الجمعة عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب في اول جمعة صلاها في بني سالم بن عمرو بن عوف فقال :

« الحمد لله احمده واستعينه ، واستغفره واستهديه ، وأؤمن به ولا اكفره، واعادي من يكفره، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من

الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الاجل . من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا . واوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة ، وان يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا افضل من ذلك نصيحة ، ولا افضل من ذلك ذكرى.

وانه‌تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة وعون صدق على ما تبتغون من امر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امر السر والعلانية لا ينوي بذلك الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره ، وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه امداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد .

والذي صدق قوله ، وانجز وعده ، لا خلف لذلك فانه يقول تعالى : ﴿ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد﴾ واتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فانه ﴿من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجراً﴾.

﴿ ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ وإن تقوى الله توقي مقته ، وتوقي عقوبته ، وتوقي سخطه .

وان تقوى الله تبيض الوجه ، وترضي الرب، وترفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله وقد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين .

فاحسنوا كما احسن الله اليكم ، وعادوا اعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة،

ويحي من حي عن بينة ولا قوة الا بالله .

فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من اصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس، ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه . الله اكبر ولا قوة الا بالله العلي العظيم ﴾[1].

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣ ، ص ٢١٣.
وقد وردت خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في اول جمعة صلاها بالمدينة بعبارات مختلفة وبعدة اسانيد. راجع سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية وغيرهما .

دخول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة

ذكر ابن سعد في طبقاته: «اقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببني عمرو بن عوف يوم الاثنين، والثلاثاء، والاربعاء، والخميس وخرج يوم الجمعة فجمع في بني سالم. ويقال: اقام ببني عمرو بن عوف أربعة عشر ليلة فلما كان يوم الجمعة ارتفاع النهار دعا (صلى الله عليه وآله وسلم) راحلته وحشد المسلمون، وتلبسوا السلاح، وركب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ناقته القصواء، والناس معه عن يمينه وشماله، فاعترضته الأنصار لا يمر بدار من دورهم إلا قالوا: هلمَّ يا نبي الله الى القوة والمنعة والثروة. فيقول لهم: خير.. ويدعو لهم، ويقول: إنها مأمورة فخلوا سبيلها.

فلما أتى مسجد بني سالم جمَّع بمن كان معه من المسلمين وهم مائة»[1] كما اسلفنا.

وعلى رواية ابن هشام: «اقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم) من قباء الى المدينة يوم الجمعة، وادركته الصلاة فصلى في المسجد الذي ببطن وادي ـ رانوناء ـ فكانت أول جمعة صلاها رسول الله بالمدينة»[2].

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج ١، ص ١٦٠.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ١٣٩.

اقبل مسلمو يثرب من المهاجرين والانصار على استقبال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واحاطوا به جميعاً، وكل يخفق قلبه خفقاناً مختلفاً عن غيره باختلاف ما يجول بنفسه ازاء القادم العظيم ، وكل يحاول ان يره وان يقترب منه ، وان يملأ عينيه من هذا المهاجر الذي لم يشاهده من قبل، والذي امتلأت مع ذلك نفوسهم بحبه وبالايمان برسالته المقدسة، والذي يذكرونه كل يوم اثناء صلاتهم مرات عديدة .

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) راكباً راحلته وقد التف حوله المسلمون وهم مدججون بالسلاح، عن يمينه وشماله، ومن خلفه وقد ضجوا بالتهليل، وعلت اصواتهم بالتكبير . . .

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمر بحي من احياء الانصار إلا ويتعلقون به وهم يقولون : انزل يا نبي الله على الرحب والسعة . . انزل يا نبي الله الى القوة والمنعة والثروة . . فيدعو لهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخير والبركة ويقول مبتسماً: خلوا سبيل الناقة فانها مأمورة .

وهكذا كان شأن رجال وسادات المدينة كلما مر بدار من دور الانصار يأخذون بزمام الناقة ويرجونه أن يقيم عندهم في العُدة والعدَد والمنعة . فيعتذر لهم . . وقد القى لها خطامها .

وانطلقت ناقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في طريق يثرب ـ المدينة ـ والمسلمون من حولها وقد تعالى الهتاف في انحاء يثرب رجالا ونساء، مرحبين بقلوب طافحة بالبشر والسرور وهم يهتفون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجـب الـشـكـر عـلـيـنـا مـا دعـا لله داع
ايهـا المـبـعـوث فـيـنـا جئـت بـالأمـر المـطاع

أجل خرج سائر اهل يثرب من المسلمين ، واليهود، والمشركين ، ينظرون الى موكب النبي الحافل متأملين بهذا التطور والحياة الجديدة التي دبت الى مدينتهم مع القادم الكريم، والقائد العظيم ، الذي اجتمع عليه من الأوس والخزرج من كانوا من قبل اعداء متقاتلين .

كانوا يتطلعون الى موكب النبي الرسول القائد مبهورين . . ولم يجل بخاطرهم أن ساعة دخوله المدينة سيكون لها اثر عظيم على مر الدهور .

اجل في ساعـة دخول النبي محمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) الى المدينة اعتدل ميزان التاريخ الى وجهته الجديدة ليسجل على صفحاته سيرة اعظم رجل في بني البشر، سطـع نور الهداية من قرآنه العلوي ليشمل العالم كله، فيزيل عنه غشاوة الجهل والظلم والاستبداد .

تابع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طريقه بين احياء المدينة يتوسط الحشد الحافل من المستقبلين وقد القى بخطام ناقته على غاربها .

فانطلقت تتخطى دور الانصار حتى اذا أتت دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) اليوم . وكان يومئذ مربداً لغلامين يتيمين من بني مالك ابن النجار، وهما سهل، وسهيل ابنا عمرو . وكانا في حجر معاذ بن عفراء .

وفي البداية والنهاية عن ابن اسحاق قال : « لما بركت الناقة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واضع لها زمامها لا يثنيها

به ، ثم التفتت خلفها ، فرجعت الى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ، ورزمت ، ووضعت جرانها .

فنزل عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . فاحتمل ابو ايوب خالد بن زيد ـ المعروف بابي ايوب الانصاري ـ رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسأل عن المربد لمن هو ؟

فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجداً »[1].

قال الزرقاني في شرح المواهب: فتداول الدار التي بناها تبَّع[2] للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الملوك الى أن صارت لابي ايوب وهو من ولد ذلك العالم الذي دُفع اليه كتاب تبع ـ ولما خرج (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسلوا اليه كتاب تبع ـ وبين موت تبع الى مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الف سنة .

وفي السيرة النبوية لابن دحلان : « لما بركت ناقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت دار بني النجار اوسط دور بني الانصار وافضلها ، وهم اخوال عبد المطلب جده (صلى الله عليه وآله وسلم) فاكرمهم الله بنزوله عندهم، فلما نزل عنها قال: رب أنزلني منزلا مباركاً

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

(٢) تبع : ملك اليمن جاء لدهم يثرب ولما أخبر بأنها مهاجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : سلم وبنى هذه الدار.

وانت خير المنزلين، أربع مرات، واخذه الذي كان يأخذه عند الوحي، وسرى عنه، فقال: (صلى عليه وآله وسلم) هذا انشاء الله يكون المنزل.

فاتاه ابو ايوب فقال: ان منزلي اقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رحلك ... قال: نعم.

فنقله واناخ الناقة في ظلاله. فلما نقل رحله قال (صلى الله عليه وآله وسلم): المرء مع رحله.

ثم جاء اسعد بن زرارة فاخذ ناقته (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت عنده.. وكانت أول هدية دخلت عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت ابي ايوب، قصعة فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن جاء بها زيد بن ثابت ووضعها بين يديه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة اليك أمي.. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): بارك الله فيك وفيها، - ودعا اصحابه.

وكان يأتيه أيضاً من غير أبي ايوب فقد ورد أنه ما من ليلة الا وعلى باب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الثلاثة، والاربعة، يحملون اليه الطعام. وأن جفنة[1] سعد بن عبادة، وجفنة أسعد بن زرارة تحملان اليه كل ليلة، واستمرت جفنة سعد بن عبادة تدور معه (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيوت أزواجه »[2].

( ) الجفنة، القصعة الكبير.

(٢) السيرة النبوية، لزيني دحلان، هامش السيرة الحلبية، ج ١ ص ٣٨٣، ٣٨٤.

بناء المسجد النبوي الشريف

جاء في البداية والنهاية عن انس بن مالك، قال: لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم اربع عشرة ليلة، ثم ارسل الى ملأ بني النجار فجاؤا متقلدي سيوفهم ، ورافقوه حتى ألقى ـ رحله ـ بفناء أبي أيوب . فكان يصلي حيث أدركته الصلاة .

ثم أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر ببناء المسجد . وفي صحيح البخاري أن المسجد الذي أمر ببنائه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مربداً ـ وهو بيدر التمر ـ ليتيمين كانا في حجر اسعد بن زرارة وهما سهل ـ وسهيل، فساومهما فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله . . فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً .

وروي انه لما بنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم المسجد، اعانه عليه اصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره ، فقال: « ابنوه عريشاً كعريش موسى » فقيل : ما عريش موسى ؟

قال : اذا رفع يديه بلغ العريش ـ يعني السقف ـ.

وقيل أن الانصار جمعوا مالاً فاتوا به النبي (صلى الله عليه وآله

وسلم) فقالوا : يا رسول الله ، ابن هذا المسجد وزينه ، الى متى نصلي تحت هذا الجريد ؟ ! .

فقال : (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما بي رغبة عن أخي موسى .. عريش كعريش موسى .[1].

وجاء في اعيان الشيعة أنه « لما بنى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المسجد، عمل فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمهاجرون والانصار، ومنهم علي بن ابي طالب وكان رجل من المهاجرين عليه ثياب بيض، فكان يحيد عن الغبار محافظة على ثيابه. وكان علي بن ابي طالب (عليه السلام) يرتجز :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

فاخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها ، فلما أكثر ظن رجل من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه انما يعرِّض به[2] فقال : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية ، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لانفك (وفي يده عصا) فغضب رسول الله ثم قال :

ما لهم ولعمار .. ! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه الى النار .. ان

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير- ج ٣، ص ٢١٥ .
(٢) وفي هامش السيرة النبوية، لابن هشام، ج ٢ ، ص ١٤٢ قال السهيلي: وقد سمى ابن اسحاق الرجل فقال: ان هذا الرجل هو عثمان بن عفان .

عماراً جلدة ما بين عيني وانفي ـ وهو موضع اكرم المواضع على الانسان في وجهه الذي هو اكرم اعضاء البدن عليه ـ[1].

وفي السيرة الهشامية : « أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعمل في بناء المسجد ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والانصار. ودأبوا فيه، فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منّا العمل المضلّل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه ويقولون :

لا عيش الا عيش الآخرة اللهمَّ ارحم الانصار والمهاجرة

فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا عيش إلا عيش الآخرة اللهمَّ ارحم المهاجرين والانصار .

قال ابن اسحاق : فدخل عمار بن ياسر، وقد اثقلوه باللبن فقال: يا رسول الله ، قتلوني ، يحملون علي ما لا يحملون .

قالت ام سلمة زوج النبي (صلى الله عليه اله وسلم) : فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم ينفض وفرته بيده ، وكان رجلاً جعداً وهو يقول: ويح ابن سمية ! ليسوا بالذين يقتلونك . . انما تقتلك الفئة الباغية .

ويقول ابن هشام: إن أول من بنى مسجداً عمار بن ياسر[2] .

---

(١) اعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين، ج ٣ ص ١٥٨ .

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ج ٢ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وفي هامش السيرة أن اول من بنى مسجداً عمار بن ياسر، يعني بهذا الحديث مسجد قباء. لأن =

وفي البداية والنهاية عن ام سلمة زوج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنها قالت : « لما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه يبنون المسجد، جعل اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحمل كل واحد لبنة ـ لبنة ، وعمار يحمل لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فمسح ـ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ ظهره وقال: « ابن سُمية . . للناس أجر ولك اجران ، وآخر زادك شربة من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية[1] .

اقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه الامام علي (عليه السلام) في بيت ابي ايوب سبعة اشهر على الأرجح حتى أتم بناء مسجده ومساكنه. ولم يميزه من خاصة نفسه ولما بنى (صلى الله عليه وآله وسلم) لنفسه بيوتاً حول المسجد بنى لعلي بيتاً بجنب البيت الذي كانت تسكنه عائشة ، وسكنه علي ، وسكنت معه الزهراء لما تزوج بها ، على قول المفيد .

وما كان بناء المسجد الشريف، ولا كان بناء المساكن ليرهق أحداً، وقد بنيت جميعها من البساطة بما يتفق وتعاليم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلوكه وسيرته المتواضعة ، فقد بنيت جدرانه باللبن والطين ، وسقف بسعف النخل ـ الجريد ـ ، وخصصت احدى نواحيه لايواء الفقراء الذين لا يملكون سكنا ، ولم تكن مساكن النبي اكثر من المسجد

= عماراً هو الذي اشار على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له، فلما اسسه رسول الله (صلى الله عليه وآله ووسلم) استتم بنيانه عمار.

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣، ص ٢١٧.

ترفا وضخامة ، وان كانت بطبيعتها اكثر منه استتاراً . وهذه المساكن ـ او الحجرات ـ هي مساكن نسائه اللواتي كن يفدن زوجات للرسول العظيم .

وبعد أن انتقل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من بيت ابي ايوب واستقر في مسكنه الجديد مع ابنته فاطمة وزوجته سودة بنت زمعة ـ وهي اول امرأة تزوجها بعد خديجة ـ . عند ذلك قام (صلى الله عليه وآله وسلم) بخطوة جديدة واسعة فقد ألّف بين العشائر المتنافرة في المدينة وضواحيها ، تلك القبائل التي مزقتها الحروب وفرقتها الضغائن ، صارت ترنو الى المستقبل السعيد في ظل الاسلام ، وتصبو الى الطمأنينة في الدين ، والجاه والعز والكرامة في الدنيا .

مضافاً الى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان همه الأول والآخر الرسالة التي عهد بها الله اليه في تبليغها ، والدعوة اليها ، والانذار بها . لقد حاربها اهل مكة من يوم البعثة . . الى يوم الهجرة أشد الحرب ، فحال ذلك دون امتلاء كل القلوب بنورها الساطع وكل الانفس ايماناً بها ، خوفاً من اذى قريش وعنتها .

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يطلب مالاً ولا جاهاً، بل همُّه تبليغ الرسالة وتوفير الطمأنينة للمسلمين ، ومحو الضغائن واستئصال الاحقاد من النفوس، لأنهم ما زالوا حديثي عهد بالاسلام وتعاليمه السامية . لذلك عمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى توحيد المسلمين ليسودهم الحب والوئام ، بجعلهم صفا واحدا وكتلة متراصة في وجه المشركين المحدقين بهم من جميع الجهات ، لا سيما اليهود الذين كانوا

يـوغرون القلوب بـالحقد والبغضـاء عداوة لمحمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) واصحابه .

وقف الـرسول الكـريم ، وهو القـائد الحكيم ، والمفكـر العظيم ، يدعو المسلمين من المهاجـرين والانصار الى المؤاخـاة في دين الله ، دين الحرية والعقيدة ـ والتضامن ـ والحب ـ والوئام .

اول خـطبة خـطبها رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) بعـد بنـاء المسجد الشريف

لما نـزل رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) المـدينة أقـام في بيت ابي ايوب الانصاري مدة تتراوح السنـة إذ قدمهـا (صلى الله عليـه وآله وسلم) شهر ربيـع الأول . . . الى صفر . . حتى أتم بنـاء مسجده ومساكنه على ما تقول اكثر الروايات، فانتقل (صلى الله عليه وآله وسلم) من بيت ابي ايوب الى مسكنه الجديد .

وتلاحق المهاجرون الى رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ، ولم يبق بمكـة الا مفتون أو محبـوس . . . ولم يبق في المـدينـة دار من دور الانصار الا أسلم اهلها سـوى بعض القبائـل القليلة فانهم اقـاموا عـلى شركهم[1] .

واول خطبة خطبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد بناء مسجـده الشريف، كـما جاء في كتب التـاريخ والسـير، هي مـا عن ابن هشام أن النبي محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قام فحمد الله واثنى

(١) يروي ابن هشام في سيرته أنه لم يبق دار من دور الانصار الا أسلم اهلها ، الا ما كان من خطمة، وواقف، ووائل، وامية، وتلك اوس الله، وهم حي من الأوس، فانهم اقاموا على شركهم .

عليه بما هو اهله ثم قال :

« اما بعد، ايها الناس، فقدموا لأنفسكم . تعلَّمُنَّ والله ليصعقن احدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه . وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسول فبلغك . وآتيتك مالا وافضلت[١] عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟

فلينظرن يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقٍ من تمرة فليفعل . ومن لم يجد فبكلمة طيبة . فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها . الى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[٢].

الخطبة الثانية

قال ابن اسحاق :

خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس مرة اخرى . فقال :

« ان الحمد لله، احمده واستعينه . نعوذ بالله من شرور انفسنا ، وسيآت اعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له . إن احسن الحديث

---

(١) ويروى: ألم اوتك مالا، وجعلتك تربع وتتسع، أي تأخذ المرباع، وتعطي من تشاء.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج٢ ص ١٤٦.

كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زينه الله في قلبه ، وأدخله في الاسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من احاديث الناس، انه احسن الحديث وابلغه .

احبوا ما أحب الله، احبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقسُ عنهُ قلوبكم ، فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي ، قد سماه الله خيرته من الاعمال، ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أُوتي الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولونه بافواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم ، ان الله يغضب ان ينكث عهده والسلام عليكم »[١].

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ج ٢ ،ص ١٤٦، ١٤٧.

الفَصل

الثامن والعشرون

عقد الالفة بين المهاجرين والانصار ـ وموادعة اليهود

بعدما استتب الامر للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واستقر في دار هجرته ـ المدينة المنورة ـ اتجه الى وضع خطة تضم جميع اطراف اهل المدينة ومن هاجر اليها من المسلمين ، وذلك لتوثيق الالفة والمحبة ، فالاسلام دين المحبة . . والالفة . .والتعاون . . والتضامن .

عمد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى عقد ميثاق الحب والتضامن ، فكتب بذلك كتاباً يكون بين المهاجرين والانصار يوحد صفوفهم ، ويجمع كلمتهم ، ووادع فيه ايضا اليهود الذين كانوا في المدينة آنذاك كما يحدثنا التاريخ .

ومما لا شك فيه ان هذا العمل من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو اساس السياسة والقدرة على مواجهة العظائم ، والمنعة ، والحيطة بكل معانيها لمستقبل افضل .

لقد اراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا يكون في مقره الجديد ـ المدينة ـ يثرب ـ اي اضطراب ، أو أي خيانة تتسرب من المشركين أو الذين في قلوبهم مرض، ليصبح المسلمون يداً واحدة وقلباً واحداً تجاه العدو المتربص بهم الدوائر .

كذلك اراد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون

الجميع ، في الشدة والرخاء . . . في السلم والحرب، سواء، ليس لاحد على احد أي سلطة تمكنه من التسلط او الظلم ـ ديمقراطية اسلامية ـ وأن تكون الغنائم في الحرب لكل من حضر وجاهد في سبيل الله .

وتذكر جميع الروايات أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب كتابا بين المهاجرين والانصار ووادع فيه اليهود الموجودين في يثرب ـ المدينة المنورة ـ امثال بني قينقاع ـ وبني النضير ـ وبني قريظة ، عاهدهم ، وأقرهم على دينهم واموالهم واشترط عليهم وشرط لهم .

عن ابن اسحاق : كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاباً بين المهاجرين والانصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا كتاب من محمد للنبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم امة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين » ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار، واهل كل دار، بني ساعدة ، وبني جشم، وبني النجار، وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت » الى أن قال : وان المؤمنين لا يتركون مفرحاً[1] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل. ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وان المؤمنين المتقين على من بغي منهم اوابتغى دسيسة

(١) المفرح ـ المثقل بالدين، الكثير العيال.

ظلم ، أو اثم ، أو عـدوان ، او فساد بـين المؤمنين ، وان ايـديهم عليه جميعهم ولو كان ولد احدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن، وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدنـاهم ، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وأنه من تبعنا من يهـود فان لـه النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وان سلم المؤمـنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتـال في سبيـل الله الا عـلى سـواء وعـدل بينهم .

ان كـل غـازيـة غـزت معنـا يعقب بعضهـا بعضـا، وان المؤمـنين يبيء[1]بعضهم بعضا بما نال دماءهم في سبيل الله، وان المؤمنين المتقـين على احسن هدى واقومه . وانه لا يجير مشـرك مالاً لقـريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن ، وان من اغتبط مؤمناً قتلا عن بينة فانه قـود به الى ان يرضى ولي المقتـول، وان المؤمنين عليـه كافـة ولا يحل لهم الا قيـام عليه ، وانـه لا يحل لمؤمن ، أقـر بما في هـذه الصحيفة وآمن بـالله واليوم الآخر ، أن ينصـر محدثـا ولا يأويـه ، وأنه من نصـره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله عـز وجل والى محمـد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وان اليهود يتفقون مع المؤمنين مـا داموا محـاربين ، وان يهـود بني عـوف امة مـع المؤمنين ، لليهـود دينهم ـ وللمسلمـين دينهم ، مـواليهم

---

(١) يبيء ، من البواء، أي المساواة .

وانفسهم ، الا من ظلم واثم فانه لا يوتغ[١] الا نفسه واهل بيته .

وان ليهود بني النجار، وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الاوس، وبني ثعلبة، وجفنة، وبني الشطنة، مثل ما ليهود بني عوف، وان بطانة يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد، ولا ينحجر[٢] على ثأر جرح، وانه من فتك فبنفسه الا من ظلم ، وان الله على اثر هذا .

وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصحة والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه . وان النصر للمظلوم ، وان يثرب حرام حرفها[٣] لا هل هذه الصحيفة .

وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها ، وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار ، يخاف فساده ، فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله ، وان الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وابرّه، وانه لا تجار قريش ولا من نصرها، وان بينهم النصر على من دهم يثرب .

واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسون

---

(١) لا يوتغ ، اي لا يوبق ويهلك .

(٢) في النهاية، لما تحجر جرحه للبرء انفجر ، اجتمع والتأم . وفي ابن هشام، ينحجز، بالزاي ولعللها تصحيف .

(٣) وفي الحلبية، خوفها، وفي ابن هشام، جوفها، وفي النهاية الجرف ، موضع قريب من المدينة، ولعله الأصح، والله العالم .

وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك ، فانـه لهم على المؤمنـين الا من حارب في الدين على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم، او آثم، وانه من خـرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظَلم أو أثم .

وان الله جار لمن بر واتقى . . . »[1] .

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٣ ، ص ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، وكتاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المهاجرين والانصار وموادعة اليهود ذكره اهل التاريخ واصحاب السير.

عرض وتحليل

لنلقي نظرة على كتاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كتبه بين المهاجرين والانصار، ووادع فيه اليهود، نرى ان هذا الكتاب هو بمثابة وثيقة ابتدأ بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هجرته هي طور جديد من اطوار حياته الشريفة .

اذا أمعنا النظر في هذه الوثيقة ينجلي لنا مدى الاتجاه السياسي الذي ابدى فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحنكة والمقدرة وبُعد النظر ، ما يجعل اعاظم المؤرخين والعلماء والسياسيين ، وكل ذي بصيرة يقف مدهوشاً، ثم يطأطيء الرأس وينحني اجلالا واكباراً لها ، لان هذا الكتاب او هذه الوثيقة السياسية التي كتبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ مئات السنين ، اي ما ينوف على ألف واربعمائة سنة ، قد جمعت بين دفتيها من الانظمة الجبارة وقررت ـ حرية العقيدة ـ وحرية الرأي للفرد والمجتمع ـ وحرمت الجريمة مع الحفاظ على حرمة الحياة ـ وحرمة المال ـ وصيانة حرمة المدينة .

كان الكتاب الذي كتبه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو بمثابة وثيقة كما ذكرنا ، بل من الوثائق السياسية الجديرة بالاعجاب والتقدير على مر التاريخ ، وهي فتح جديد في الحياة

السياسية ـ والاجتماعية ، والحضارية في عالم تعبث به ايدي الظالمين، والمستبدين ▪ وتعيث به فسادا .

ومما لا شك ولا ريب فيه ان موادعة اليهود وجمع شمل المسلمين من اهل يثرب ـ الانصار ـ والمهاجرين فيها هي حكمة سياسية تدل على سلامة التقدير، وبعد نظر، لم يسبقه اليه احد من الانبياء او الرسل الذين سبقوه أمثال موسى (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام) وغيرهما ▪ لان التاريخ يحدثنا أن الانبياء والرسل الذين سبقوا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا يبلغون رسالاتهم السماوية ويدعون الناس الى الايمان عن طريق المعاجز الربانية او الجدال ، أو غير ذلك، ويقفون عند هذا الحد، ثم يتركون لمن بعدهم من ذوي السلطان أو ذوي السياسة والمقدرة اتمام نشر دعوتهم بالمقدرة السياسية والدفاع عن حرمة وحرية الذين آمنوا من الناس. وعلى سبيل المثال: قام الحواريون من بعد عيسى (ع) في نشر المسيحية ودعوة الناس الى الايمان بها ، ولاقوا من التعذيب والاضطهاد الشيء الكثير حتى جاء احد الملوك فلان قلبُه للدين المسيحي واعتنقه وقام بنشره .

وهكذا كان الحال في امر سائر الاديان في كل زمان في شرق البلاد وغربها .

وأما رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد شاءت حكمة الباريء سبحانه وتعالى أن يتم نشر الرسالة السماوية ، ويكون انتشار الاسلام على يديه وانتصار كلمة الحق على الباطل بوجود شخصه الشريف .

وارادت القدرة السماوية ايضاً ان يكون محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الرسول المبلغ .. والسياسي المحنك .. والمجاهد الاكبر .. والفاتح العظيم .. والبشر الرسول الذي قام باعباء رسالته المقدسة خير قيام في سبيل الله وسبيل كلمة الحق التي بُعث بها وان يكون في كل ذلك عظيماً .

لقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل الكمال الانساني بكل معناه .

المؤآخاة

لقد أظهر الانصار من كرم الضيافة للمهاجرين المسلمين الذين وفدوا اليهم وتركوا وراءهم في مكة ما يملكون من المال والمتاع ، وهاجروا بدينهم وعقيدتهم ، فدخلوا المدينة ولا يكاد الكثير منهم يجدُ قوت يومه إذ آثروهم واكرموهم واضافوهم أحسن ضيافة .

روى الحلبي في سيرته عن أنس انه قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلا في كثير، كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . . قال: لا: ما اثنيتم عليهم ودعوتم لهم ـ فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم به نوع مكافأة ـ[1] .

في المدة التي استقر فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة ، شرع بعمل جليل لم يسبقه اليه احد من الانبياء والرسل، عمل سياسي عظيم ابدى فيه نبي الرحمة من المهارة والمقدرة والحنكة ما يجعل الانسان يقف مدهوشاً مطأطىء الرأس اجلالاً واكباراً للعمل العظيم ، ألا وهو المؤآخاة بين المسلمين من الانصار والمهاجرين .

كانت المؤآخاة عمل اداري ووحدة تضامنية لم تكن معروفة في سائر

---

(١) السيرة الحلبية، ج٢ ص ٩٨.

النظم التي كانت في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبله .

أدت المؤاخاة الى تنظيم المسلمين وتوكيد وحدتهم للقضاء على كل مكيدة او مؤامرة يمكن أن تثير كوامن العداوة القديمة التي كانت بينهم قبل الاسلام .

ولتحقيق التضامن والتآلف والوحدة آخى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المسلمين مرة في مكة قبل الهجرة على بعض الروايات ومرة ثانية بعد الهجرة باتفاق جميع اصحاب السير والمؤرخين . فعن ابن اسحاق كما في البداية والنهاية : « آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين اصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : « تآخوا في الله اخوين اخوين » ثم أخذ بيد علي بن ابي طالب فقال : « هذا أخي » فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير[1] ولا نظير من العباد، وعلي بن ابي طالب اخوين . وكان حمزة ابن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزيد بن حارثة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اخوين واليه أوصى حمزة يوم احد . وجعفر بن ابي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل اخوين . وكان ابو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي اخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين[2] .

---

(١) الخطير، المثيل، والمراد ليس له مثيل يساويه .

(٢) البداية والنهاية، ج ٣ ص ٢٢٦ .

وزاد ابن هشام في سيرته : ابو عبيدة ابن الجراح وسعد بن معاذ اخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع اخوين ، والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود اخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت اخوين ومصعب بن عمير وابو ايوب اخوين وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين وابو ذر والمنذر بن عمرو اخوين وسلمان الفارسي وابو الدرداء اخوين وبلال وابو رويحة اخوين[1] .

وتآخى كذلك كل واحد من المهاجرين الذين كثر عددهم بالمدينة في اعقاب هجرة الرسول مع واحد من الانصار . وبهذه المؤاخاة ازدادت وحدة المسلمين توكيدا .

وفي الاستيعاب لابن عبد البر آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المهاجرين ، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بينه وبين علي بن ابي طالب وقال له : انت اخي في الدنيا والآخرة .

وفي اسد الغابة : آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً مرتين فانه آخى بين المهاجرين ، ثم بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة ، وقال لعلي في كل واحدة منهما : « انت اخي في الدنيا والآخرة » .

وعن ابن عمر انه لما ورد رسول الله المدينة آخى بين اصحابه ، فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله . . . آخيت بين اصحابك ولم تؤآخ بيني وبين احد ؟ فقال له رسول الله : أما ترضى يا علي ان اكون اخاك . . . فقال علي : بلى يا رسول الله . فقال رسول الله (صلى الله

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢ ص ١٥١ .

عليه وآله وسلم) : انت اخي في الدنيا والآخرة .

وفي الاستيعاب : أن علياً قال يوم الشورى: انشدكم الله هل فيكم احد آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري ؟ ! . . . قالوا : اللهم لا . .

وروى النسائي في الخصائص بسنده عن علي أنه قال : انا عبد الله واخو رسول الله، وانا الصديق الاكبر . . . لا يقولها بعدي الا كاذب، آمنت قبل الناس بسبع سنين .

أقول لقد شق على بعض المؤلفين الذين رووا حديث المؤاخاة وكتبوا فيه أن تكون لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) منزلة سامية ، وميزة عالية على سائر الصحابة . وأنه لا يوجد كفؤ لمؤآخاة الرسول سواه فاخذهم التعصب واعماهم الحقد وانجرفوا في تيارّ الاهواء والغايات .

نراهم بعدما رووا حديث المؤاخاة راحوا يحاولون اخراج الحديث عن واقعه الصحيح حسب ميولهم النفسية .

مثلاً إن انكار ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين لا سيما مؤاخاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) . . . معتلاً بان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار انما جعلت لإرفـاق بعضهم لبعض ولتأليف قلوبهم فلا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري . . ـ فانكاره هذا لا يلتفت اليه لأنه كما قال الحافظ ابن حجر رد للنص بالقياس . ولأنه كما يطلب الارفاق بين المهاجرين والانصار، والانصار بعضهم مع بعض،

وتأليف قلوب بعضهم مع بعض يطلب ذلك بين المهاجرين انفسهم[1].

وكما اسلفنا من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آخى قبل الهجرة بين المهاجرين وبعد الهجرة بين عموم المسلمين من المهاجرين والأنصار، فلا مانع من المؤآخاة بين مهاجري ومهاجري، وانصاري وانصاري، وانصاري ومهاجري، وذلك حسب رأي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما تقتضيه مصلحة المسلمين . وجاء غير ابن تيمية كالشيخ محمد ناصر الدين الالباني المعلق على الطبعة السادسة من فقه السيرة ممن اعماهم التعصب عن رؤ ية الحق ومن لا يكن في نفسه سوى الحقد والبغضاء لأهل البيت الكرام وخاصة لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) . فانتهج منهج ابن تيمية ونسج على منواله .

أقول بكل صراحة غير مبال ولا هياب : لو أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آخى بينه وبين احد من الصحابة غير علي بن ابي طالب لأقام اهل الاهواء والاغراض الدنيا واقعدوها بالفضائل والثناء ـ ولو اتت رواية ضعيفة ومن سند ضعيف في حق غير علي (عليه السلام) لاثبتوها وجعلوها حقيقة واقعة لا تقبل الشك أو الريب .

لقد اصبح كل مسلم بعد المؤاخاة يشعر بحقوق الأخوة التي تجذبه نحو اخيه المسلم فيواسيه حتى بقوته الضروري . فحل الوئام بين صفوف المسلمين وزالت من النفوس الضغائن التي كانت متأصلة والتي كانت بينهم ، ليحل محلها الاخوة الاسلامية . والحب والوفاق والحقوق

---

(١) راجع حديث مؤآخاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) في جميع كتب التاريخ والسير تجده حديثاً صحيحاً واضحاً كالشمس في رابعة النهار.

المشروعة المتبادلة والمصير المشترك ـ عملا بالحديث ـ المسلم اخو المسلم ـ وامتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **المؤمنون اخوة** ﴾[1] وتطبيقاً لقوله سبحانه : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا** ﴾[2].

ولعبت المؤاخاة الاسلامية دورها الفعال في انتصار المسلمين على اعدائهم في الحروب وجميع المجالات .

لكننا نقول والأسى يعصر قلوبنا أنه عندما بدأت الروابط الاخوية بالانحلال من نفوس المسلمين ، تدريجياً، بدأ الضعف يدب في جسم الهيكل الاسلامي ، الامبراطورية الاسلامية ـ واخذ الاستئثار وحب الذات مأخذه من المسلمين، حتى وصل الأمر بالأمة الاسلامية الى التقهقر والانهيار .

واصبح المسلمون أخيراً آلة صماء بيد المستعمر الطامع يحارب بعضهم بعضاً، لنيل المآرب . . . وتركيز السلطان . . ونسي المسلمون ان مصلحتهم والروابط الاخوية الدينية ، الموحدة لصفوفهم واجتماعهم على اعلاء كلمة الله . . . هي فوق كل مصلحة ، أو معاهدة أو تحالف يكون نتيجته الضرر، على المسلمين والعرب، والتفرقة والتشتيت بعدما كانوا سادة اعزاء مهابي الجانب في جميع انحاء العالم .

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٠.
(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

الاذان ومشروعيته

ذكر الحلبي في سيرته أنه وردت احاديث تدل على أن الأذان شُرِّع بمكة قبل الهجرة . من تلك الأحاديث ما في الطبراني عن ابن عمر قال : لما أسري برسول الله اوحى الله تعالى اليه بالأذان فنزل به وعلمه بلالا .

ومنها ما رواه ابن مردويه عن عائشة مرفوعاً : لما أسري بي - أي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - أذن جبريل فظنت الملائكة أنه - اي جبريل - يصلي بهم ، فقدمني فصليت.[1].

وروى الحر العاملي في وسائله عن ابي جعفر (عليه السلام) أنه قال : لما أُسري برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبلغ البيت المعمور حضرت الصلاة فأذن جبرئيل واقام . فتقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصف الملائكة والنبيون خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وعن ابي عبد الله (عليه السلام) أنه حكى الأذان - لجماعة - فقال : الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، أشهد ان لا اله الا الله ، أشهد ان لا اله الا الله ، اشهد ان محمداً رسول الله ، اشهد ان محمدا رسول

(١) السيرة الحلبية، ج ٢، ص ١٠٠.

الله، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، حي على خير العمل ، حي على خير العمل ، الله اكبر، الله اكبر، لا اله الا الله، لا اله الا الله[1]والاقامة كذلك كما وردت فيها الروايات الا أن فيها : قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، بين حي على خير العمل وبين الله اكبر ـ وان التكبير في ابتداء الاقامة مرتان والتهليل في آخرها مرة واحدة .

ذكر بعض اصحاب السير كابن هشام والحلبي وغيرهما وبعض المؤرخين كابن كثير في البداية والنهاية وابن سعد في طبقاته وغيرهما أيضاً أنه في السنة الاولى من الهجرة شرع الأذان والاقامة .

فعن ابن اسحاق: لما اطمأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة، واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين ، واجتمع امر الانصار ، استحكم امر الاسلام ، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة ، وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الاسلام بين اظهرهم ، وكان هذا الحي من الانصار هم الذين تبوؤا الدار والايمان . وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قدمها انما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها ، بغير دعوة ، فهمَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قدمها ان يجعل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس، فنُحِتَ ليضرب به للمسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك اذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ،

---

(١) وسائل الشيعة، للحر العاملي، ج ٢، ص ٦٤٤.

اخو بالحارث بن الخزرج النداء، فاتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له : يا رسول الله ، انه طاف بي هذه الليلة طائف ، مر بي رجل عليه ثوبان اخضران ، يحمل ناقوساً في يده، فقلت له : يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت ندعوا به الى الصلاة ،قال : أفلا ادلك على خير من ذلك . . قال : قلت : وما هو ؟ قال : تقول الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، اشهد ان لا اله الا الله ، اشهد ان لا اله الا الله ، اشهد ان محمداً رسول الله ، اشهد ان محمداً سول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله اكبر ، الله اكبر، لا اله الا الله .

فلماٰ اخبر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : انها لرؤ يا حق انشاء الله، فقم مع بلال فالقها عليه، فليؤذن بها، فانه اندى(١) صوتاً منك(٢) .

اقول: لا يمكن ان يكون سبب وضع الأذان رؤ يا رآها عبد الله بن زيد الانصاري، او غيره، فهذا كلام غير معقول لا يلتفت اليه، لأن الاحكام الشرعية ما كان الرسول (صلى الله عليها وآله وسلم) يشرعها بالمنامات، أو الاطياف، ولكن ﴿ ان هو الا وحي يوحى ﴾. وقد انكر محمد بن الحنفية ذلك اشد انكار .

روى الحلبي في سيرته عن محمد بن الحنفية وعن ابي العلاء، قال: قلت لابن الحنفية: انا لنتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رؤ يا رآها

---

(١) اندى صوتا ، انفذ وابعد.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥.

رجل من الانصار في منامه .

قال: ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعاً شديداً، وقال: عمدتم الى ما وصل الأصل في شرائع الاسلام، ومعالم دينكم ، فزعمتم أنه كان من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه، تحتمل الصدق والكذب، وقد تكون اضغاث احلام . !

قال: فقلت له : هذا الحديث قد استفاض في الناس.

قال: هذا والله هو الباطل . . . ! ثم قال: وانما اخبرني ان جبريل (عليه السلام) اذن في بيت المقدس ليلة الاسراء، واقام ثم اعاد جبريل الأذان لما عرج بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى السماء[1].

واما ـ حي على خير العمل ـ التي يقولها المؤذنون في الأذان بعد الحيعلتين، فقد كانت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده، حتى زمان خلافة عمر بن الخطاب. يدلنا على هذا ما ذكره الحلبي في سيرته عن ابن عمر وعن علي بن الحسين (عليهما السلام) انهما كانا يقولان في أذانيهما بعد حي على الفلاح، حي على خير العمل[2].

ونقل السيد محسن الامين في سيرته انه روى البيهقي في سننه بسنده عن جعفر بن محمد عن ابيه ان علي بن الحسين كان يقول في أذانه اذا قال حي عى الفلاح : حي على خير العمل. ويقول هو الأذان الأول .

ونقل في الروض عن التحرير بعدة اسانيد في مسند ابن ابي شيبة

---

(١) السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، ج ٢ ، ص ١٠٣.
(٢) السيرة الحلبية، ج ٢ ص ١٠٥.

عن عبد الله بن عمر انه كان يقول في اذانه حي على خير العمل، وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر مثله بعدة اسانيد.

وروى المحب الطبري الشافعي في كتاب احكام الاحكام عن صدقة بن يسار عن سهل بن جنيف أنه كان اذا أذن قال: حي على خير العمل وحكي في الروض النضير[١] عن سعد الدين التفتزاني في حاشية شرح العضد على مختصر الاصول ان حي على خير العمل كان ثابتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وان عمر هو الذي أمر ان يكف عن ذلك مخافة ان يثبط الناس عن الجهاد ويتكلوا على الصلاة »[٢].

واما ما يقوله الشيعة في الأذان ـ اشهد ان عليا ولي الله فليس من اصل الأذان وانما هو امر مستحب في نفسه لقوله تعالى: ﴿**انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[٣].

عن الطبرسي قوله : روى ابو بكر الرازي في كتاب احكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه، والرماني، والطبري، أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه وهو راكع، وهو قول مجاهد والسدي والمروي عن ابي جعفر (عليه السلام) وابي عبد الله (عليه السلام) وجميع علماء اهل البيت وفي ذلك يقول حسان بن ثابت في مدح علي (عليه السلام).

---

(١) جزء، ٢، ص ٤٢.
(٢) سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) السيد محسن الأمين، ص ١١٩.
(٣) سورة المائدة، آية ٥٥.

فانزل فيك الله خير ولايـة وثبتها مثنى كتاب الشرائع[1]

ذكر الحر العاملي في وسائل الشيعة باسناده عن الفضل بن شاذان فيما ذكره من العلل عن الرضا (عليه السلام) أنه قال: انما أُمر الناس بالأذان لعلل كثيرة .. منها ان يكون تذكيراً للساهي، وتنبيهاً للغافل، وتعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عنه، ويكون المؤذن بذلك داعياً الى عبادة الخالق، ومرغباً فيه، مقرا له بالتوحيد، مجاهراً بالايمان، معلناً بالاسلام، مؤذناً لمن ينساها . وانما يقال له : مؤذن لأنه يؤذن للاذان بالصلاة . وانما بدأ فيه بالتكبير، وختم بالتهليل، لأن الله عز وجل أراد أن يكون الابتداء بذكره واسمه . واسم الله في التكبير في أول الحرف . وفي التهليل في آخره . وانما جُعل مثنى مثنى ليكون تكراراً في آذان المستمعين . مؤكداً عليهم إن سها أحد عن الأول لم يسهَ عن الثاني، ولأن الصلاة ركعتان ركعتان . فلذلك جعل الأذان مثنى مثنى، وجُعل التكبير في أول الأذان أربعاً، لأن أول الأذان انما يبدو غفلة . وليس قبله كلام ينبه المستمع له، فجعل الأول تنبيهاً للمستمعين لما بعده في الأذان . وجُعل بعد التكبير الشهادتان ، لأن أول الايمان هو التوحيد والاقرار لله بالوحدانية ، والثاني الاقرار للرسول بالرسالة، وان طاعتهما ومعرفتهما مقرونتان . ولأن اصل الايمان انما هو الشهادتان، فجعل شهادتين كما جعل في سائر الحقوق شاهدان . فاذا أقر العبد لله (عزَّ وجلَّ) بالوحدانية، واقر للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . بالرسالة، فقد اقر بجملة الايمان ، لان اصل الايمان انما هو الاقرار بالله وبرسوله . وانما جعل بعد الشهادتين الدعاء الى الصلاة لأن الاذان انما

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي.

وضع لموضع الصلاة ، وانما هو نداء الى الصلاة في وسط الأذان ، ودعاء الى الفلاح والى خير العمل ، وجعل ختم الكلام باسمه كما فتح باسمه .

المجتمع اليثربي في العهد الأول من الاسلام

بعد دخول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يثرب ـ المدينة المنورة ـ ومؤاخاته بين المهاجرين والانصار ووضع الاسس الصحيحة للدولة الاسلامية ، اصبحت يثرب يتنازعها اربع قوى تختلف قوة ، وضعفاً ، وثروة ، وعدداً . وتختلف طموحاتها ، وغاياتها اختلافا شديدا . فعلى هذا يكون المجتمع اليثربي في ذلك الوقت ينقسم الى اربعة اقسام . وهم المسلمون ، اليهود، المنافقون ، ومن تبقى من المشركين .

القسم الاول : المسلمون

القسم الاول : هم المسلمون ، الذين يمثلون الدين الاسلامي الجديد الذي انتشر في يثرب ، فالمهاجر الكريم محمد (صلى لله عليه وآله وسلم) الخارج من مكة مع بعض صحبه قد اضاف الى يثرب عنصراً جديداً ، وهم المهاجرون ، وصهرالمسلمين من مهاجرين وانصار في بوتقة لها عقيدتها الخاصة في فلسفة الوجود ، وخلق الكون ، واخلاقية عالية لم يتعودها اهل يثرب في كثير من نواحيها ، حيث المسلم اخو المسلم احب ذلك ام كره ، وحيث لا يتم ايمان المسلم حتى يحب

لاخيه ما يحب لنفسه ، ونبذ للانانية وحب الذات ، وتسابق الى التضحية والفداء . وعمل الخير، ينادي بذلك مؤذنهم كل يوم - حي على الصلاة - حي على الفلاح - حي على خير العمل - .

ويهيمن على العلاقات الاجتماعية الاسلامية نظام ينظم علاقة الفرد مع ربه ، ونفسه ، فاوجب عليه الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر، يتوجه بها الى خالقه يطلب المعونة والغفران . كما اوجب عليه الصوم طيلة شهر رمضان، وحرم عليه الخمر، والميسر، والميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما اهلَّ لغير الله . . الى آخره .

واوجب عليه ايضاً نظاماً معاشيا، حيث تمشي في سوق المسلمين لتجد أن لا اثر للربا، والقمار، والغبن، والغش، حيث احل الله البيع وحرم الربا .

ووضع له نظاما كذلك يعتني بتماسك الاسرة، وطهارة البشر وعفافهم . يلغي الفروق بين الطبقات ، فلا فرق بين اسود وابيض او سيد ومسود، فالناس كاسنان المشط - ان افضلكم عند الله اتقاكم - ولا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى .

والنظام الاسلامي يمحو الفقر ، ﴿والذين في اموالهم حق معلوم*للسائل والمحروم﴾[1].

نظام يحافظ على الحريات الا ما ادى الى افساد في الارض . ويؤدي الحقوق نيعطي بحسب الطاقة، والامكانية والحاجة والعطاء.

---

(١) سورة المعارج، آية، ٢٤، ٢٥.

كان المجتمع اليثربي المتراص بحاجة الى قيادة حكيمة . واي قيادة اعظم من قيادة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) افضل المخلوقات والكائنات . وهو الذي يتمتع بالعصمة وما يلازمها من حكمة ، وعلم واخلاص ، وحزم . فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاه هيبة بين اصحابه يفدونه بأرواحهم .

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) ذا رأي ومشورة حتى كان الناس لشدة ايمانهم به يستشيرونه حتى في امورهم الخاصة . وبنى للمسلمين مركزاً ومجمعاً يجتمعون فيه يتدارسون امورهم وهو المسجد النبوي الشريف . يجتمعون فيه كل يوم للصلاة . وحين الضرورات وكل يوم جمعة يخطب بهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين لهم شؤون دينهم ودنياهم . وقد اصبح مركزاً للعلم والتعليم . فللعلم مرتبة عظيمة في الإسلام .

والمسلمون كما امرهم القرآن الكريم ، وعلى ما جاءت به رسالة نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) السماوية من كونها رسالة عالمية لا تختص بامة دون اخرى ولا بزمن دون آخر، كان طموح هذا القسم من يثرب نشر رسالة الاسلام وتعاليم السماء في انحاء المعمورة ، مسترخصين في سبيل ذلك النفوس والاموال .

واما عددهم بادىء ذي بدء فكانوا اقل من غيرهم ، لكن قوتهم تكمن في معنوياتهم وتهافتهم على التضحية والاستشهاد في سبيل الله .

غير ان فيهم ثغرة حاول اعداؤهم استغلالها، وهي انقسام الانصار بين الاوس والخزرج الذين كان بينهم قبل الاسلام حروب

وايام ، ودماء وأثئار، حاول الاسلام ان يزيلها من انفسهم .

ومن جهة الثروة ، لقد كان المسلمون اقل ثراء من غيرهم ، فالمهاجرون تركوا ديارهم واموالهم في مكة ، وجاؤا إلى يثرب فقراء إلا من ايمانهم العظيم وعقيدتهم الراسخة ، ولم يكن الانصار من اهل الثراء كما يجب .

ومن هنا كان المسلمون اكثر الاقسام الاربعة تنظيما . فلهم رئيسهم وزعيمهم ومركزهم وافكارهم وعقائدهم واهدافهم المحددة .

القسم الثاني: اليهود

اليهود قوة في يثرب يجمعهم الدين ووحدة المصير، يرتبطون بغيرهم من يهود شبه الجزيرة في خيبر واليمن وغيرهما من الذين اخرجهم الرومان من فلسطين .

لقد فقدوا السيطرة التامة على يثرب بسبب الاحداث التاريخية التي كانت بينهم وبين الأوس والخزرج كما اسلفنا .

لكن لا زال لهم شوكتهم فيها ، فهم مرهوبوا الجانب، يتطلعون الى سيطرة افضل تشمل انحاء شبه الجزيرة العربية لا يثرب وحدها .

راعهم توسع النصرانية فيها وتغلغلها في بعض قبائلها ، وهي الديانة السماوية التي تعتبر نفسها عالمية يجب اتباعها على كل البشر حتى اليهود ، الذين رأوا من واجبهم محاربتها لأنها خطر عليهم وعلى ديانتهم ونفوذهم .

كان اليهود في يثرب ذوي عدد وثراء، وكانت لديهم افضل الاراضي واغناها ، كذلك كانوا يسيطرون على تجارة الذهب والسلاح والرقيق وغير ذلك من التجارات اجمالا .

ورغم قوتهم واتحادهم في مقابل الاوس والخزرج ، كان ينقصهم الزعامة الواحدة، لانه كان لكل بطن زعيمه .

وكان لديهم احبارهم وعلماؤهم الذين يحظون باحترام كبير من قبلهم ، لكن ينقصهم مركز واحد عام وقيادة موحدة .

وعند وصول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عقد معهم عهداً هو بمثابة معاهدة حسن جوار ، موادعة ، وعدم اعتداء، وان يحترم كل من الطرفين حقوق الآخر ضمن شروط اشترطت كما ذكرنا في باب موادعة اليهود .

القسم الثالث: المنافقون

بعد أن ذكرنا لمحة موجزة عن القسم الأول ، والقسم الثاني من المجتمع اليثربي نأتي على ذكر القسم الثالث . . المنافقون: وهم الفئة التي ارتدت رداء الاسلام لتحاربه من الداخل بعد ان ايقنت انه لا يمكن محاربته من الخارج،وعلى رأسهم عبد الله بن ابي بن ابي سلول رأس الشرك والنفاق وكان اشد خطراً على الاسلام من اليهود، وبديل بن الحارث وغيرهما ، وجاء في الروايات ان عبد الله بن ابي سلول كان الاوس والخزرج يصنعون له الخرز ليتوجوه ملكاً عليهم ، فلما قدم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومال القوم عن ابن ابي سلول الى

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اعتبر هذا المنافق الكبير ان ذلك سلب لملكه.

ومن هنا يمكن أن نقول ان الغاية الرئيسية لمنافقي يثرب هي تحطيم الاسلام من الداخل.

وقد ركب هذا المركب الكثير من المشركين، ومن اليهود أيضاً، قد اسلموا نفاقا يتظاهرون بانهم تدينوا بدين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). فهم اذن مجموعة من يثرب تكونت منذ دخلها الاسلام، اي كان وجودها تبعاً لوجوده من دون ان يكون لها غاية سوى حرب الاسلام والقضاء عليه، لحقد وكراهية ولدَّها تحطيمه لمصالحهم وانانياتهم. وفي المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالسلم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويسرون الغدر، ويستغلون المناسبات لاثارة الفتن وايجاد الفجوات بين المسلمين، انزل الله في كتابه الكريم قوله تعالى: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين*يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون*في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون*واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون*ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون*واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون*واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن﴾**[1].

---

(١) سورة البقرة، آية ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤.

هذه الآيات الكريمة في عبد الله بن أبي بن ابي سلول وجدّ بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم، واكثرهم من اليهود، كما ذكر ذلك الطبرسي في تفسيره ، بحيث أنهم كانوا يقولون صدَّقنا بالله وما انزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيظهرون كلمة الايمان ولكن قصدهم أن يطلعوا على اسرار المسلمين لينقلوها الى الكفار، ظنوا بعملهم هذا أنهم ينجحون بمكرهم وخداعهم في نيل مآربهم وقد كذبهم الله جل جلاله بقوله : ﴿ يخادعون الله ﴾ الآية. فالله سبحانه تعالى شأنه لا تخفى عليه خافية ، ولا يحيق المكر السيء الا باهله .

وخلاصة القول انه نتيجة لعدم تظاهر المنافقين بالكفر لم يكن لهم مركز يجتمعون فيه سوى دور زعمائهم ، ولذا كان من جملة الغايات في بناء مسجد ضرار تكوين مركز وجامع يجتمعون فيه مقابل مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الا ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هدمه كما سيرد ذكره .

مسجد ضرار

عندما رأى المنافقون امر الاسلام يتسع، وشوكة محمد تقوى، لجأوا إلى حيلة مبتكرة البسوها ثوب الاسلام المزيف ظناً منهم انها تمكنهم من محاربة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الداخل، فبنوا مسجداً ضراراً لتفريق كلمة المسلمين واضعاف شوكتهم ، وطلب الغوائل للمؤمنين .

لكن الله جل وعلا عالم الغيب وما تخفي الصدور فضح أمر المنافقين وكذَّب احدوثتهم وأنقذ الاسلام من حبال مكائدهم ، حيث انزل الله

سبحانه على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله :

﴿ والـذين اتخذوا مسجـداً ضـراراً وكفـراً وتفـريقـاً بـين المؤمـنين وارصاداً لمن حارب الله ورسـوله من قبـل وليحلفنَّ ان اردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبـون * لا تقم فيه أبـداً لمسجد أُسس عـلى التقوى من أول يوم احق ان تقوم فيـه فيه رجـال يحبون أن يتـطهروا والله يحب المطهرين * افمن أسس بنيـانه عـلى تقوى من الله ورضـوان خير أم من أسس بنيـانه عـلى شفا جـرف هار فـانهار به في نـار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[1] .

ذكر الطبرسي في تفسيره أن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأتيه ، فاتاهم وصلى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا : نبني مسجدا فنصلي فيه ، ولا نحضر جماعة محمد، وكانوا اثني عشر رجلا ، وقيل خمسة عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، ونبتل بن الحرث، فبنوا مسجداً الى جنب مسجد قباء، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يتجهز الى تبوك فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة ، والليلة الشاتية ، وانا نحب أن تأتينا فتصلي فيه وتدعوا بالبركة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : إني على جناح سفر ولو قدمنا اتيناكم انشاء الله فصلينا لكم فيه ، فلما انصرف رسول الله من تبوك نزلت عليه الآية في شأن المسجد.

---

(١) سورة التوبة : آية، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.

فوجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني، ومالك بن الدخشم ، وكان مالك من بني عمرو بن عوف، فقال لهما : انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه .

وروي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث عمار بن ياسر ووحشياً ، فحرقاه ، وأمر بان يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف .

وروى الطبرسي ايضاً : ان مسجد ضرار سمي ا ضرار ـ للضرر باهل مسجد قباء أو مسجد الرسول ليقل الجمع فيه .

والمراد بقوله تعالى ﴿ وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ اي ارصدوا ـ المنافقون ـ ذلك المسجد واتخذوه واعدوه لأبي عامر الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل ، وكان من قصته أنه كان قد ترهب في الجاهلية ، ولبس المسوح .

فلما قدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة حسده وحزب عليه الاحزاب ، ثم هرب بعد فتح مكة الى الطائف، فلما أسلم اهل الطائف لحق بالشام وخرج الى الروم ، وتنصر .

وسمى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا عامر الفاسق، وكان قد ارسل الى المنافقين ان استعدوا وابنوا مسجداً فاني أذهب الى قيصر وآتي من عنده بجنود ، واخرج محمداً من المدينة ، فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون ان يجيئهم ابو عامر . فمات قبل ان يبلغ ملك الروم .[١].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي.

القسم الرابع : المشركون

تقدم الكلام على المجتمع اليثربي وانه بعد ظهور الاسلام واقامة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في يثرب ـ المدينة المنورة ـ اصبح يتنازعه اربع قوى وهم : المسلمون ـ واليهود ، والمنافقون ، والمشركون . وقد ذكرنا لمحة موجزة عن المسلمين . . واليهود . . والمنافقين ، والآن ماذا عن المشركين ؟ .

المشركون وهم من بقي على شركه من اهل يثرب، حيث اقاموا على جاهليتهم ، يتخلقون باخلاق الجاهلية ويدافعون عن عقيدتها . تجمعهم عصبية الدفاع عن آثار الآباء ودين السلف يقدسون الاوثان ويعبدون الاصنام .

وجاء في الروايات ان خطمة ، وواقف ، ووائل، وامية ، وتلك اوس الله، وهم حي من الأوس، اقاموا على شركهم . . .

ولم يكن عندهم زعيم ذو طاعة ، ومركز يأوون اليه ، وحيث لم يستطيعوا تحمل وجودهم الى جانب المسلمين الذين اخذ يزداد عددهم وتقوى شوكتهم ويتسع نفوذهم ، اكل الحقدوالبغضاء والكراهية والحسد قلوبهم فلجأ بعضهم الى الهجرة من يثرب الى مكة معقل المشركين في زمانهم .

الفَصْل

التاسع والعشرون

تحويل القبلة

عندما أمر الله سبحانه وتعالى الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتحويل القبلة من جهة بيت المقدس الى جهة الكعبة المشرفة. وجد اليهود والمنافقون والمشركون مجالا للتشويه والدس وباباً يدخلون منه للخديعة والمكر . لعله بامكانهم تفريق كلمة المسلمين ، ومحاربة الرسول الكريم ، ورسالته المقدسة ، لكن الله سبحانه وتعالى ، عالم الغيب والمطلع على السرائر وما تكنُه الصدور ، اخبر رسوله الكريم عما سيلجأ اليه اعداء الإسلام ، وعما سيحدثوه من الضجة والتشويش .

تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم * وكذلك جعلناكم امة وسطا[1] لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم * قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

---

(١) الوسط من كل شيء، اعد له وافضله : وقيل في صفة النبي : كان من اوسط قومه ، أي من خيارهم .

وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون*ولئن اتيت الذين أُوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعدما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين ـ الى قوله تعالى ـ : ﴿ ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾[1].

آيات بينات وردت في تحويل القبلة . . ولكن لا بد لنا من ذكر المدة التي قضاها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يصلي فيها متوجها الى بيت المقدس قبل ان يؤمر بالتوجه الى الكعبة .

يحدثنا التاريخ واصحاب السير ان الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما كان يصلي في مكة المكرمة كان يتوجه الى بيت المقدس وذلك من مبعثه (صلى الله عليه وآله وسلم) الى ان مضى عليه مدة من الزمن بعد هجرته الى المدينة ـ يثرب ـ واختلفت الاقوال في تحديد الزمن الذي صلى فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون في توجههم الى بيت المقدس .

ففي مجمع البيان للطبرسي : « عن ابن عباس: كانت الصلاة الى بيت المقدس بعد مقدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة سبعة عشر شهراً . وعن البراء بن عازب قال : صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر

---

(١) سورة البقرة، آية ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٠.

شهراً، ثم صرفنا نحو الكعبة، اورده مسلم في الصحيح .

وعن أنس بن مالك ، انما كان ذلك تسعة أشهر او عشرة أشهر . وعن معاذ بن جبل ثلاثة عشر شهراً .

ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق (عليه السلام) قال : تحولت القبلة الى الكعبة بعدما صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة ثلاث عشرة سنة الى بيت المقدس، وبعد مهاجرته الى المدينة صلّى الى بيت المقدس سبعة اشهر، قال: ثم وجهه الله الى الكعبة، وذلك ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقولون له انت تابع لنا تصلي الى قبلتنا ، فاغتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك غماً شديداً وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء، ينتظر من الله تعالى في ذلك أمراً.

فلما اصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين ، فنزل عليه جبرائيل (عليه السلام) فاخذ بعضديه وحوله الى الكعبة »[1] وانزل عليه ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء . . .** ﴾ الآية .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي.

سبب تحويل القبلة

ذكر المفسرون واصحاب السير وجوها في سبب تحويل القبلة بعد أن صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مدة من الزمن متوجهاً الى بيت المقدس مقر الانبياء والمرسلين (عليهم السلام) .

وقبل ذكرها اقول : لا يمكننا تقصي الحقيقة في ذلك ، لأن علل الاحكام والمصالح الخفية ليست في متناول عقول البشر لا يعلمها الا الله تعالى وذلك لقصور العقل البشري عن ادراك ما هيات الكائنات ومكنوناتها ، وتفصيل الكلام في هذا المقام في علم الكلام .

من هنا كان اقتضاء المصلحة لتحويل المسلمين لقبلتهم نحو الكعبة مقام نبي الله ابراهيم (عليه السلام) ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للّذي ببكة مباركا وهدى للعالمين** ﴾(١) .

من الوجوه المذكورة كما في رواية الطبرسي : كانت الكعبة احب القبلتين الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لجبريل : وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل (عليه السلام) انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فادع ربك وسله ، ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يديم النظر

(١) سورة آل عمران، آية ٩٦.

الى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل ربه فانزل الله تعالى ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام . .** ﴾ .

وقيل : لأن الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم (عليه السلام) وقبلة آبائه عن ابن عباس .

وقيل: لأن اليهود قالوا : يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا عن مجاهد .

وقيل : ان اليهود قالوا : ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد .

وقيل : كانت العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم فكان في التوجه اليها استمالة لقلوبهم ليكونوا احرص على الصلاة اليها. وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) حريصاً على استدعائهم الى الدين .

ويحتمل ان يكون إنما احب ذلك (صلى الله عليه وآله وسلم) لجميع هذه الوجوه اذ لا تنافي بينها .

وقال الزجاج : إنما أُمر (صلى الله عليه وآله وسلم) لجميع هذه الوجوه اذ لا تنافي بينها .

وقال الزجاج : إنما أُمر (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة بيت الله الحرام كانت العرب آلفة لحجه ، فاحب الله ان يمتحن القوم بغير ما ألفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه .

وقيل كان المسلمون بمكة قد أُمروا أن يتوجهوا الى بيت المقدس

ليتميزوا من المشركين الذين كانوا يتوجهون الى الكعبة ، فلما انتقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة كانت اليهود يتوجهون الى بيت المقدس، فأمروا بالتوجه الى الكعبة ليتميزوا من اولئك . ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ هو امرٌ من الله سبحانه لنبيه أن يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم من بيت المقدس الى الكعبة : المشرق والمغرب ملك لله سبحانه ، يتصرف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته ، وفي هذا ابطال لقول من زعم ان الارض المقدسة اولى بالتوجه اليها لأنه مواطن الانبياء، وقد شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها ، فرد الله سبحانه عليهم بان المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد.

وفي السيرة الحلبية : خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زائراً أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاماً وحانت صلاة الظهر فصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باصحابه في مسجد هناك ، فلما صلى ركعتين نزل جبريل فاشار اليه أن صل الى الكعبة واستقبل الميزاب ونزل قوله : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ الآيات وسمي ذلك المسجد « مسجد القبلتين » والى هذا يشير بعض الشعراء بقوله :

كم للنبي المصطفى من آية ... غراء حار الفكر في معناها
لما رأى الباري تقلب وجهه ... ولاه ايمن قبلة برضاها

موقف اليهود من الاسلام

لما عقد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الالفة بين المهاجرين والانصار ووادع اليهود الذين كانوا يقيمون في داخل المدينة وما حولها ، وآخى بين المسلمين تلك الاخوة التي جعلتهم في عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) صفاً واحدا بل شخصا واحدا يؤثر بعضهم بعضا بالهبات والعطايا والاموال، بل في كل مصلحة يرى الانسان المسلم لاخيه ما يراه لنفسه .

قوة عظيمة ما مثلها قوة ، ووحدة متينة ما مثلها وحدة، ورص للصفوف بقي اثره على مدى الاجيال .

فتعاليم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) القيِّمة العظيمة واخلاقه العالية ، وما رافقهما من حسن التدبير، والحنكة والمقدرة السياسية، وحسن المعاملة ، جعلت الناس يدخلون في دين الله افواجا .

قويت شوكة المسلمين ، ولم يبق بيت في الجزيرة العربية الا وذكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في داخله وبين اهله ، ولم يبق شخص في الجزيرة ايضا الا وقد اخذ يفكر برسالة محمد .

علا شأن الاسلام وسار مسير الشمس في الآفاق .

عند ذلك خاف اليهود القاطنون في المدينة ـ يثرب ـ وما جاورها من هذا المد العظيم ، ومن تهافت الناس على الدخول في الاسلام ، وقد ظنوا من قبل أنهم يستميلون محمداً ويجعلونه في صفهم ليزدادوا به قوة ، وتقول بعض المرويات ان اليهود بادروا باديءالأمر إلى استقبال محمد ظناً منهم أن في مقدورهم استمالته اليهم وادخاله في حلفهم ، والاستعانة به على تأليف جزيرة العرب حتى تقف في وجه النصرانية التي اجلت اليهود عن فلسطين ، ولم يدر في خلدهم ان الاسلام دين الحق والعدالة يعلو ولا يعلو عليه شيء، وان ما كان يدور في خلدهم وما خططوا له من ابقاء نفوذهم على اهل يثرب قد ذهب ادراج الرياح .

عند ذلك اخذ اليهود يفكرون من جديد في الكيفية التي تضعف شأن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقف في طريق رسالته المقدسة فما كان من مفكريهم الا ان التجأوا الى المكر والخديعة والفتنة والوقيعة بين الانصار، لعل هذه تعيق تقدم الاسلام وتزعزع نفوس المسلمين .

كما كان من قصة شاس بن قيص وسعيه في الوقيعة بين الانصار .

ولم يكتف اليهود بالسعي بالدس والوقيعة والفتنة بين الانصار كما ذكرنا ، بل كانت عداوتهم شديدة جداً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واتباعه من المؤمنين ، مع علمهم ان محمداً هو النبي المنتظر وصفته موجودة عندهم في كتبهم .

ولكن انانيتهم لم تسمح لهم بالانصياع لكلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعاليمه السماوية . بل أصروا على ضلالهم عنادا وحقدا وكفرا . (قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر) .

قصة حيي بن اخطب

ذكر الحلبي في سيرته عن صفية ام المؤمنين بنت حيي بن اخطب قالت : كنت احب ولد ابي اليه والى عمي ابي ياسر وكانا من اكبر اليهود واعظمهم ، فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة غدوا إليه . . ثم جاءا من العشى فسمعت عمي يقول لابي : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! . .

قال : اتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم .

قال : فما في نفسك منه ؟

قال : عداوته والله ما بقيت . .

وفي رواية أخرى أنها قالت : ان عمي ابا ياسر حين قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة ذهب اليه وسمع منه (صلى الله عليه وآله وسلم) وحادثه ، ثم رجع الى قومه فقال : يا قوم اطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه .

ثم انطلق ابي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع منه ثم رجع الى قومه ، فقال لهم : اتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا ، فقال له اخوه ابو ياسر : يا ابن ام اطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعد لا تهلك ، فقال : والله لا نعطيك . . ثم وافق اخاه حيياً فكانا اشد اليهود عداوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا ، فانزل الله فيهما وفيمن

كـان موافقـاً لهما[1] ﴿ودَّ كثـير من اهل الكتـاب لـو يـردونكم من بعـد ايمـانكم كفـاراً حسـداً من عنـد انفسهم مـن بعـد مـا تبـين لهم الحق﴾[2] .

قصة كعب بن الاشرف

جـاء في مجمـع البيـان للطبـرسي أن كعب بن الاشـرف خـرج في سبعين راكباً من اليهود الى مكـة بعد وقعـة احد ليحـالفوا قـريشاً عـلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبـين رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ، فنـزل كعب عـلى ابي سفيان فاحسن مثواه ، ونزلت اليهود في دور قريش، فقـال اهل مكـة : انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ، فلا نـأمن أن يكون هـذا مكراً منكم ، فـان اردت ان نخرج معـك فاسجـد لهذين الصنمـين وآمن بهما ففعل، فذلك قوله تعالى : ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ .

ثم قـال كعب : يا اهـل مكة ليجيء منكم ثـلاثون ومنـا ثـلاثـون فنلصق اكبـادنا بـالكعبة فنعـاهد رب البيت لنجهـدن على قتال محمـد، ففعلوا ذلـك . فلما فرغـوا قـال ابـو سفيـان لكعب : انـك امـرؤ تقـرأ الكتـاب . . وتعلم . . ونحن اميون لا نعلم . . فـاينـا اهـدى طـريقـا واقرب الى الحق . . نحن ام محمد ؟ قال كعب : اعرضـوا علي دينكم ! فقال ابو سفيان : نحن ننحر للحجيج الكوماء، ونسقيهم الماء، ونقـري الضيف ونفـك العاني، ونصـل الرحم ، ونعمـر بيت ربنا ونـطوف به ، ونحن اهـل الحرم . ومحمـد فارق دين آبـائه ، وقـطع الرحم ، وفـارق

---

(1) السيرة الحلبية، ج ٢، ص ١١٢.
(2) سورة البقرة: آية ـ ١٠٩ .

الحرم ، ودیننا القدیم ـ ودین محمد الحدیث .

فقال : أنتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانزل الله ﴿ ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا* اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ﴾[1] .

قصة فنحاص

ذكر الطبرسي في تفسيره: كتب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضاً حسناً ، فدخل ابو بكر بيت مدارستهم فوجد ناساً كثيرا منهم اجتمعوا الى رجل من اليهود يقال له فنحاص بن عازوراء. فدعاهم الى الاسلام والصلاة والزكاة .

فقال فنحاص: ان كان ما تقول حقاً فان الله اذاً لفقير ونحن اغنياء . . ولو كان غنياً لما استقرضنا أموالنا !

فغضب ابو بكر وضرب وجهه فانزل الله ﴿ **لقد سمع الله قول**

(١) سورة النساء، آية، ٥١، ٥٢، قيل ان المعنيّ بالآية، حيي بن اخطب، وكعب بن الأشرف، وسلام بن ابي الحقيق، وابو رافع في جماعة من علماء اليهود. والجبت الاصنام ، والطاغوت تراجمة الاصنام الذين كانوا يتكلمون بالتكذيب عنها ، عن ابن عباس ، وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيطان عن ابن زيد ، وقيل الجبت ابليس والطاغوت أولياؤه ، وقيل هما كلما عبد من دون الله منْ حجر او صورة او شيطان .

الذين قالـوا ان الله فقير ونحن اغنيـاء سنكتب ما قـالوا وقتلهم الانبيـاء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٨١.

قصة لبيد بن اعصم اليهودي .. والسحر

ذكر اكثر اهل التفاسير واصحاب السير قصة لبيد بن اعصم اليهودي الذي سحر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على حد زعمهم .

ففي الدر المنثور عن زيد بن اسلم قال : سحر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل من اليهود فاشتكى فاتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال : ان رجلا من اليهود سحرك ، والسحر في بئر فلان .. فارسل علياً فجاء به ، فامره ان يحل العقد ويقرء آية فجعل يقرء ويحل حتى قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانما نشط من عقال .

وفي رواية عن السيرة الحلبية ان لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مشط له (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقيل في اسنان من مشطه ومشاطة من شعر رأسه الشريف ، اعطاها لهم غلام يهودي كان يخدمه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وغرز فيه ابراً ، وجعل معه وتراً عقد فيه احدى عشرة عقدة وان الابر كانت في العقد ، ودفن ذلك تحت راعونه في بئر ذي أروان . وقد مسخ الله تعالى ماءها حتى صار كنقاعة الحناء فكان يخيل اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله . ومكث

في ذلك سنة وقيل ستة أشهر وقيل اربعين يوماً .

وعند ذلك نزل جبريل (عليه السلام) وقال له : ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقداً ودفنها في محل كذا ، فارسل (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك خفة حتى قام كأنما نشط من عقال[1] .

روى ابن كثير في تفسيره عن الثعلبي : قال ابن عباس وعائشة (رضي الله عنهما) كان غلام من اليهود يخدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة رأس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها ، وكان الذي تولى ذلك رجل يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان .

فمرض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانتثر شعر رأسه ، ولبث ستة اشهر يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن ، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه .

فبينما هو نائم اذ أتاه ملكان فجلس احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذي عند رأسه للذي عند رجليه ما بال الرجل ؟ قال : طب . . قال : وما طب ؟ قال : سحر . . قال : ومن سحره ؟ قال : لبيد بن اعصم اليهودي ، قال : وبما طبّه ؟ قال : بمشط ومشاطه ،

(١) السيرة الحلبية، ج ٢، ص ١١٣.

قال : واين وهو[١]؟ قال في جف طلعة ذكر[٢]تحت راعوفة في بئر ذروان ـ.

فانتبه رسول الله مذعوراً قال : يا عائشة اما شعرت ان الله اخبرني بدائي ، ثم بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه واسنان من مشطه ، واذا فيه وترمعقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالابر .فانزل الله تعالى السورتين . فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خفة حين انحلت العقدة الاخيرة ، فقام فكانما نشط من عقال .

وجعل جبرائيل (عليه السلام) يقول : بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين . . الله يشفيك . فقال : يا رسول الله افلا تأخذ الخبيث تقتله ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « اما انا فقد شفاني واكره ان اثير على الناس شرا » هكذا رواه ـ الراوي ـ بلا اسناد فيه غرابة ، وفي بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد مما تقدم والله اعلم[٣] .

---

(١) هكذا وردت في الاصل .
(٢) الجف، غشاء الطلع اذ جف، وعم به بعضهم فقال: هو وعاء الطلع، قيل: الجف قيقاءة الطلع وهو الغشاء الذي على الوليع. وفي حديث سحر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل سحره في جف طلعه ذكر ودفن تحت راعوفة البئر، لسان العرب لابن منظور.
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

واورد صاحب مجمع البيان في تفسيره هذه الرواية كما رواها ابن كثير وغيره مع اختلاف بسيط في بعض الالفاظ ولكنها بمعنى واحد تقريبا الا انه قال : وهذا لا يجوز لأن من وصف بانه مسحور فكانه قد خبل عقله ، وقد ابى الله سبحانه ذلك في قوله تعالى : **﴿ وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾**[١]ـ **انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا ﴾**[٢] ولكن يمكن أن يكون اليهودي او بناته على ما روي اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه واطلع الله نبيه على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج وكان ذلك دلالة على صدقه وكيف يجوز ان يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدة عداوتهم له .[٣].

يقول صاحب التبيان في تفسيره : لا يجوز ان يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سحر على ما رواه القصاص الجهال لان من يوصف بانه مسحور فقد خبل عقله وقد انكر الله تعالى ذلك بقوله : **﴿ ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾**[٤].

اقول : يأخذني العجب من قول صاحب السيرة الحلبية وغيره من الرواة « وطعنت المعتزلة وطوائف من اهل البدع في كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد سحر وقالوا لا يجوز على الانبياء أن يسحروا ولو جاز ان يسحروا لجاز أن يجنوا وقد عصموا من الناس ».

---

(١) سورة الاسرى، آية ٤٧.
(٢) سورة الفرقان، آية ٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي.
(٤) التبيان ، للشيخ الطوسي.

ليت شعري كيف غاب عن ذاكرة صاحب السيرة الحلبية وغيره ان الانبياء ليسوا كسواهم من البشر . . . فهم معصومون من الزلل . . . وكيف يجوز على النبي وهو الامين على الوحي ان يخيل اليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وهذا متعلق بالعقل والادراك فلا يصح عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) اي شائنة لأنه المبلغ للرسالة .

وعن ابن العربي أنه قال : ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعباً واستجراراً الى القول بابطال معجزات الانبياء (عليهم السلام) والقدح فيها ، وأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء (عليهم السلام) وبين فعل السحرة وان جميعه من نوع واحد » .

اعود فاقول أن على كل منصف وصاحب عقيدة صحيحة ان ينبذ جميع الاقوال التي لا يقبلها العقل ولا يقرها الوجدان .

ومما لا شك فيه ان التشويش والدس ظاهر في حديث كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد دخل عليه السحر ، ومرض من جراء ذلك وتغير مزاجه الشريف مدة سنة . . . أو ستة اشهر . . . او اربعين يوماً على اختلاف الروايات ، فهذا شيء فيه كثير من الغرابة والاستنكار،وهو بلا شك من موضوعات المنافقين ، والملحدين اعداء الإسلام ، واعداء الله .

وما حملهم على ذلك الا حرب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعداوته ، والتشكيك في رسالته . لأنه اذا جاز على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المبلغ الامين للرسالة المقدسة كما اسلفنا ، أن يصبح في مرحلة من مراحل حياته يخيل اليه (صلى الله عليه وآله

وسلم) أنـه يفعـل الشيء وهــو لا يفعله بـدون وعي ولا تفكــير . . . فيجـوز عليـه حينئـذ ان يقـول عـلى الله مـا لم يقله وهــو لا يدري . . . وحـاشـا للنبي المعصــوم (صـلى الله عليــه وآلـه وسلم) الــطاهـر من مفتريات المنافقين والدساسين والملحدين اعداء الله ورسوله .

قصة شاس بن قيس ، وسعيه في الوقيعة بين الانصار

ذكر ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق انه قال :

مرَّ شاس بن قيس وكان شيخاً قد عسا[1] ، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نفر من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأوس والخزرج ، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من الفتهم وجماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية .

فقال قد اجتمع ملأ[2] بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار .

فامر فتى شاباً من يهود كان معهم ، فقال له : اعمد اليهم ، فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث[3] وما كان قبله ، وانشدهم بعض ما

---

(١) عسا : اسنَّ، وولى.

(٢) ملأ القوم: اشرافهم، وقيل: جماعتهم .

(٣) كان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج بالجاهلية، وكان الظفر فيه يومئذٍ للأوس على الخزرج . وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الاشهلي، ابو أُسيد بن حضير.
وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقتلا جميعا .

كانوا تقاولوا فيه من الاشعار .

قال ابن اسحاق : ففعل . فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، اوس بن قيظي، احد بني حارثة بن الحارث من الاوس . وجبار بن صخر ، احد بني سلمة من الخزرج ، فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه : ان شئتم رددناها الآن جذعة[1]، فغضب الفريقان جيمعا وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة : الحرة ـ السلاح . . . السلاح . فخرجوا اليها .

فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فخرج اليهم فيمن معه من اصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ، ألله الله ، أبدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام ، واكرمكم به، وقطع به عنكم امر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بين قلوبكم ، فعرف القوم انها نزغة[2]من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا . ثم انصرفوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سامعين مطيعين ، قد اطفأ الله كيد عدو الله شاس بن قيس [3].

وانزل الله في شاس بن قيس وما صنع : ﴿ **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون*قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وانتم شهداء وما الله بغافل**

---

(١) رددناها الآن جذعة، معناها رددنا الآخر الى أوله .

(٢) النزغة ـ الافساد بين الناس.

(٣) سيرة ابن هشام، ج ٢ ص ٢٠٤، ٢٠٥.

عما تعملون[١]وعن الطبرسي في تفسيره : معناه لم تمنعون المؤمنين عن دين الاسلام الذي هو دين الله وسبيله . وقيل انهم ـ اليهود ـ كانوا يغرون بين الأوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصبية فينسلخون عن الدين [٢] .

وانزل الله سبحانه وتعالى في أوس بن قيضي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما من الاوس والخزرج الذين تنادوا الى القتال عندما ذكرهم اليهودي بايام الجاهلية: قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين*وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ﴾**[٣].

---

(١) سورة آل عمران، آية ٩٨، ٩٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي.
(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٠، ١٠١.

اسلام عبد الله بن سلام

لقد كان من بين احبار اليهود من عرف الحق فاتبعه واستنار بنور الاسلام فكان مثالا للاخلاص والتضحية ، كعبد الله بن سلام ، ومخيريق وغيرهما . كما جاء عن ابن اسحاق في السيرة الهشامية :

كان من حديث عبد الله بن سلام كما حدثني بعض اهله عنه وعن اسلامه حين اسلم ، وكان حبراً عالماً ، قال : لما سمعت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف[1] له ، فكنت مسراً لذلك ، صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة ، فلما نزل بقباء،في بني عمرو بن عوف اقبل رجل حتى اخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي اعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كبرت ؛ فقالت لي عمتي ، حين سمعت تكبيري : خيبك الله ! والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت ! . . .

قال : فقلت لها : أي عمة ، هو والله اخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به .

---

(١) نتوكف: معناه، نترقب، ونتوقع.

قال : فقالت : أي ابن اخي ، أهو النبي الذي كنا نُخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟

قال : فقلت لها : نعم . فقالت : فذاك اذاً . . قال : ثم خرجت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاسلمت ، ثم رجعت الى اهل بيتي أمرتهم فاسلموا .

قال : وكتمت اسلامي من يهود ، ثم جئت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت له : يا رسول الله ، ان يهود قوم بهت[1] واني احب ان تدخلني في بعض بيوتك وتغيبني عنهم ، ثم تسألهم عني، حتى يخبروك كيف انا فيهم ، قبل ان يعلموا باسلامي ، فانهم ان علموا به بهتوني وعابوني .

قال : فادخلني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض بيوته ودخلوا عليه ، فكلموه وساءلوه ثم قال لهم : اي رجل الحصين بن سلام فيكم[2] ؟ قالوا سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا .

قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله انكم لتعلمون أنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فاني اشهد انه

---

(١) بهت: معناه، الباطل، وفي رواية الحلبي في سيرته: قوم بهت وغدر.

(٢) ذكر المؤرخون واصحاب السير عن عبد الله بن سلام أنه رجل من يهود بني قينقاع وكان اسمه قبل الاسلام ـ الحصين بن سلام ـ فلما اسلم وحسن اسلامه سماه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله بن سلام . ويقول صاحب السيرة الحلبية ـ أنه من ولد يوسف الصديق (عليه السلام) .

رسول الله وأؤمن به ، واصدقه واعرفه .

فقالوا : كذبت ، ثم وقعوا بي.

قال : فقلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الم اخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت ، واهل غدر وكذب وفجور .

قال : واظهرت اسلامي واسلام اهل بيتي ، واسلمت عمتي خالدة بنت الحارث وحسن اسلامها[١] .

مخيريق خير يهود

وممن وفى بما عاهد عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من احبار اليهود مخيريق وهو من بني ثعلبة ابن الفطيون[٢] .

جاء عن ابن اسحاق انه قال : « وكان من حديث مخيريق وكان حبراً عالما ، وكان رجلا غنيا كثير الاموال من النخل، وكان يعرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بصفته ، وما يجد في علمه وغلب عليه الف دينه . فلم يزل على ذلك ، حتى اذا كان يوم احد ، وكان يوم احد يوم السبت ، قال : يا معشر يهود ، والله انكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق .

قالوا : ان اليوم يوم السبت !

---

(١) السيرة النبوية لابن هاشم، ج ٢، ص ١٦٣، ١٦٤.
(٢) الفطيون ، الرئيس، او الملك .

قال : لا سبت لكم . . .

ثم اخذ سلاحه، فخرج حتى أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باحد وعهد الى من وراءه من قومه : « ان قتلت هذا اليوم ، فاموالي لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يصنع فيها ما أراه الله . » .

فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل . فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - يقول : مخيريق خير يهود .

وقبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمواله، فعامة صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة منها .(١) .

انتهى الجزء الثاني بعون الله ويليه الجزء الثالث.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ١٦٥ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفصل التاسع عشر :	٥
مبعث الرسول الأعظم محمد (ص)	٧
حياة محمد (ص) في فترة البعثة	١١
عبادة محمد (ص) قبل البعثة	١٣
ذكر نزول الوحي على رسول الله (ص)	١٩
رسالة السماء . . في غار حراء	٢٣
انتباه خديجة (رض) لبرهان الوحي	٢٩
زمن البعثة ونزول الوحي	٣٥
بعض ما ورد في ابتداء نزول الوحي	٣٧
مدة فترة الوحي ـ ونزول سورة الضحى	٤١
الفصل العشرون :	٤٥
المسلمون الأول	٤٧
بعض ما قيل في سبق علي (ع) الى الإسلام وسنه يوم إسلامه	٥١
جعفر بن أبي طالب	٥٧
زيد بن حارثة	٦٣
ابو بكر الصديق	٦٩

الموضوع	الصفحة
عرض وتحليل في افضلية السبق الى الإسلام	٧٥
ابو ذر الغفاري	٨٣
إسلام ابي ذر	٨٧
حمزة بن عبد المطلب (رض)	٩٣
عمار بن ياسر (رض)	٩٧
المقداد بن الأسود (رض)	١٠٣
الفصل الحادي والعشرون :	١٠٩
الأمر باظهار الدعوة للإسلام	١١١
دعوة محمد (ص) لعشيرته الاقربين	١١٧
الوليمة . . والانذار	١٢١
سفارة عتبة بن ربيعة	١٢٥
وفد قريش الى ابي طالب	١٢٩
الهجرة الأولى الى الحبشة	١٣٧
اسطورة الغرانيق	١٤٣
نظرة ـ وتحليل	١٤٧
الفصل الثاني والعشرون :	١٥١
عودة المهاجرين من الحبشة	١٥٣
الهجرة الثانية الى الحبشة	١٥٧
جعفر بن ابي طالب والنجاشي	١٦١
اسلام عمر بن الخطاب (رض)	١٧١
كيفية اسلام عمر بن الخطاب	١٧٣

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث والعشرون : ١٧٩
المقاطعة الإقتصادية والمعنوية لمحمد (ص) واصحابه ١٨١
الصحيفة ١٨٥
قصة ابي البختري مع ابي جهل ١٨٩
نقض الصحيفة ١٩٣
قصة ابن ام مكتوم ١٩٩
الفصل الرابع والعشرون : ٢٠٥
ابو طالب عم الرسول الأعظم ٢٠٧
لمحة عن وفاة ابي طالب (رض) ٢١١
الذكريات ٢١٥
لمحة عن اسلام ابي طالب (رض) ٢٢١
بعض الروايات الواردة في حق ابي طالب ٢٣١
وصية ابي طالب (رض) ٢٣٧
وفاة ام المؤمنين خديجة ٢٤١
شخصية خديجة ٢٤٥
الفصل الخامس والعشرون : ٢٤٩
اسراء النبي (ص) ومعراجه ٢٥١
بحث في الاسراء .. والمعراج ٢٥٥
خروج الرسول الأعظم الى الطائف يطلب النصرة ٢٦١
الرسول الأعظم يدعو القبائل الى الإسلام ٢٦٧
تباشير النصر ٢٦٩

الموضوع ــــــــــــــــــــ الصفحة

قدوم الأنصار الى مكة ٢٧٣
اسلام اياس بن معاذ ٢٧٧
اجتماع الرسول الأعظم (ص) برهط من الخزرج ٢٧٩
بيعة العقبة الأولى ٢٨٣
بيعة العقبة الثانية ٢٨٩
عودة اهل العقبة الى المدينة وقصة عمرو بن الجموح ٢٩٥
هجرة المسلمين الى المدينة ٢٩٩
نزول الوحي بالاذن في القتال ٣٠٥
المهاجرون الأول ٣٠٩
الفصل السادس والعشرون : ٣١٥
هجرة الرسول الأعظم ٣١٧
خروج النبي من داره واستخلافه علياً على فراشه ٣٢٣
الرسول (ص) في الغار ٣٣١
قصة ام معبد الخزاعية ٣٣٩
قصة سراقة بن مالك ٣٤٣
النبي (ص) في طريقه الى المدينة ٣٤٩
الفصل السابع والعشرون : ٣٥٣
لمحة موجزة عن تاريخ المدينة ٣٥٥
النبي (ص) في قباء ٣٥٩
خطبة الرسول الأعظم (ص) في اول جمعة صلاها في بني سالم
بن عوف ٣٦٧

دخول الرسول (ص) الى المدينة ٣٧١
بناء المسجد النبوي الشريف ٣٧٧
اول خطبة خطبها رسول الله (ص) بعد بناء المسجد الشريف ٣٨٣
الفصل الثامن والعشرون : ٣٨٧
عقد الالفة بين المهاجرين والأنصار ـ وموادعة اليهود ٣٨٩
عرض وتحليل ٣٩٥
المؤاخاة ٣٩٩
الأذان ومشروعيته ٤٠٥
المجتمع اليثربي في العهد الأول من الإسلام ٤١٣
الفصل التاسع والعشرون : ٤٢٣
تحويل القبلة ٤٢٥
سبب تحويل القبلة ٤٢٩
موقف اليهود من الإسلام ٤٣٣
قصة لبيد بن اعصم اليهودي . . والسحر ٤٣٩
قصة شاس بن قيس ، وسعيه في الوقيعة بين الأنصار ٤٤٥
اسلام عبد الله بن سلام ٤٤٩